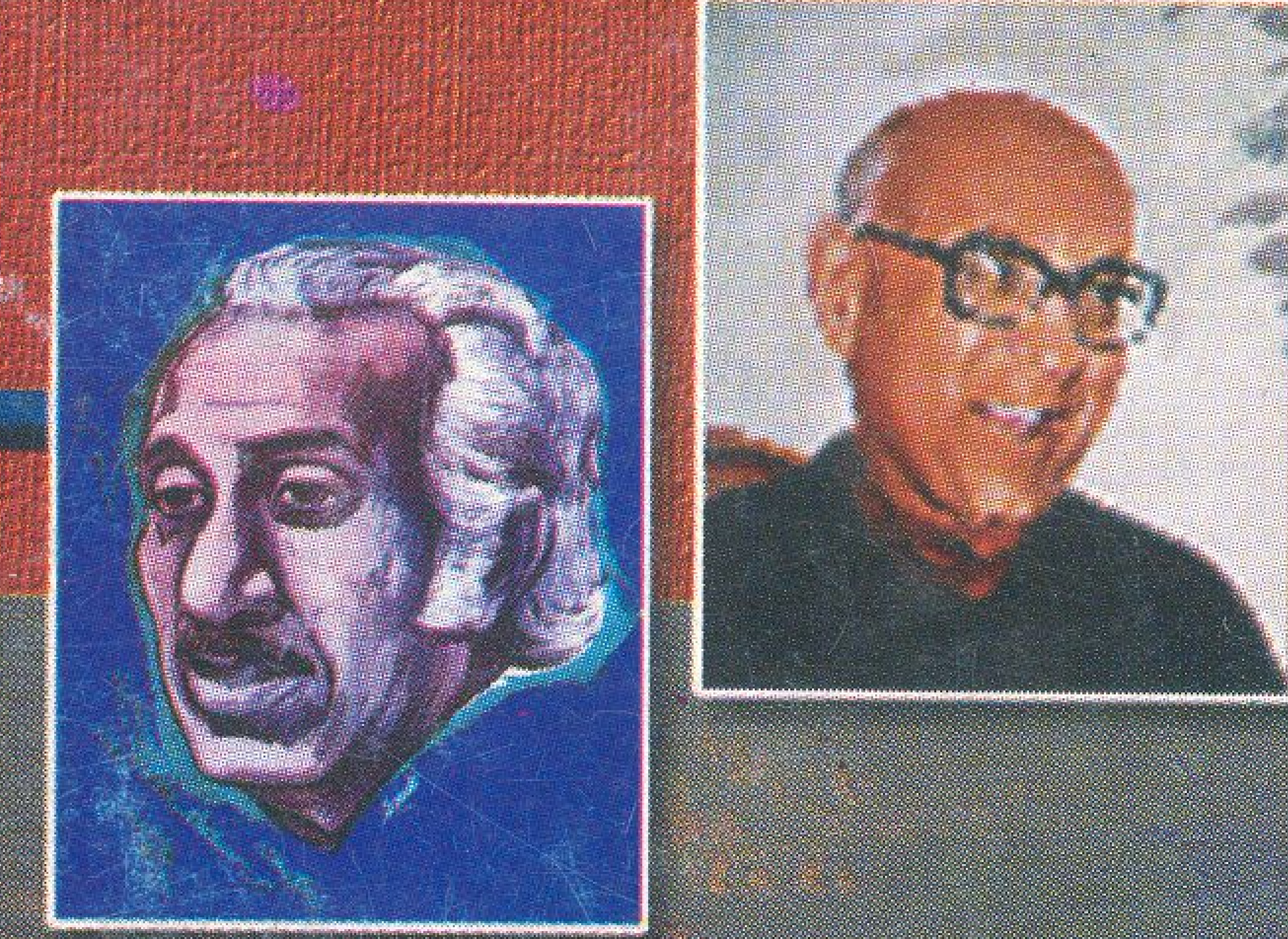
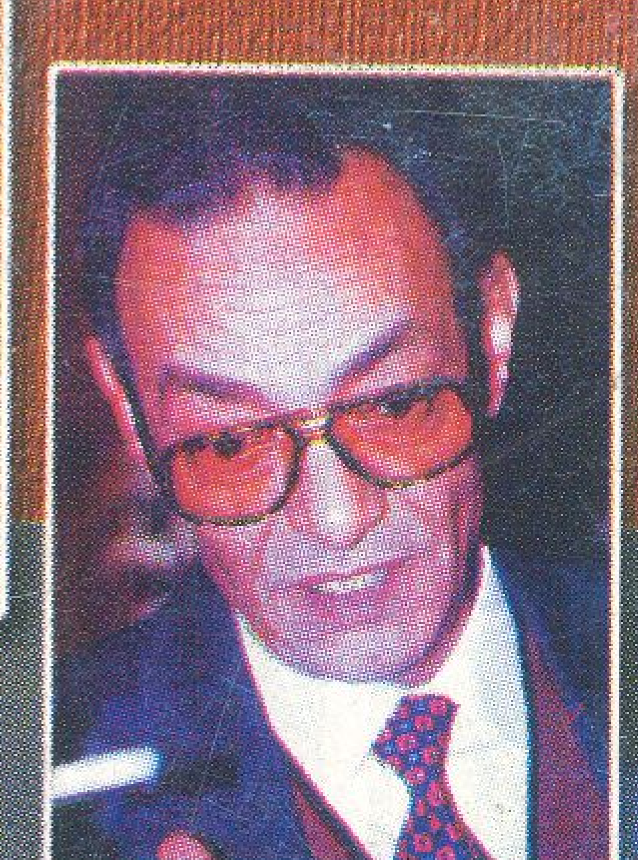
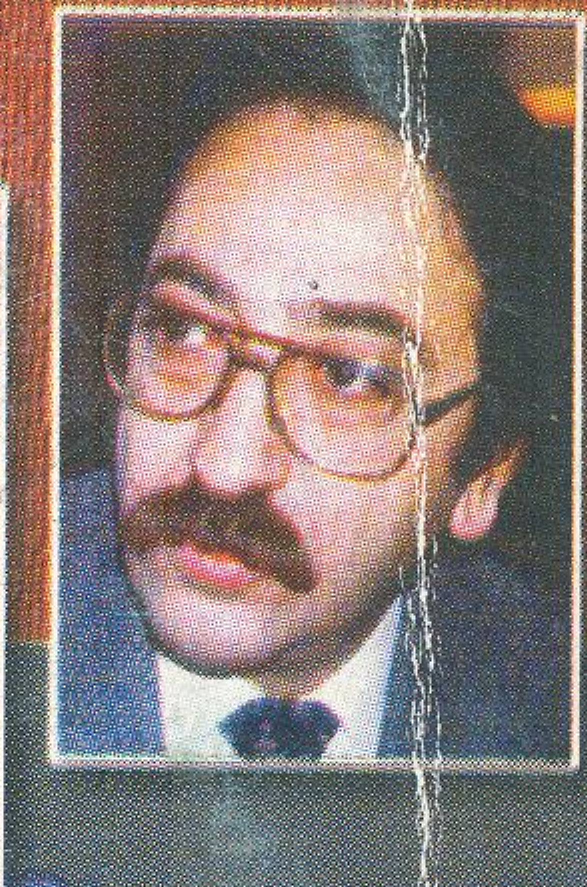
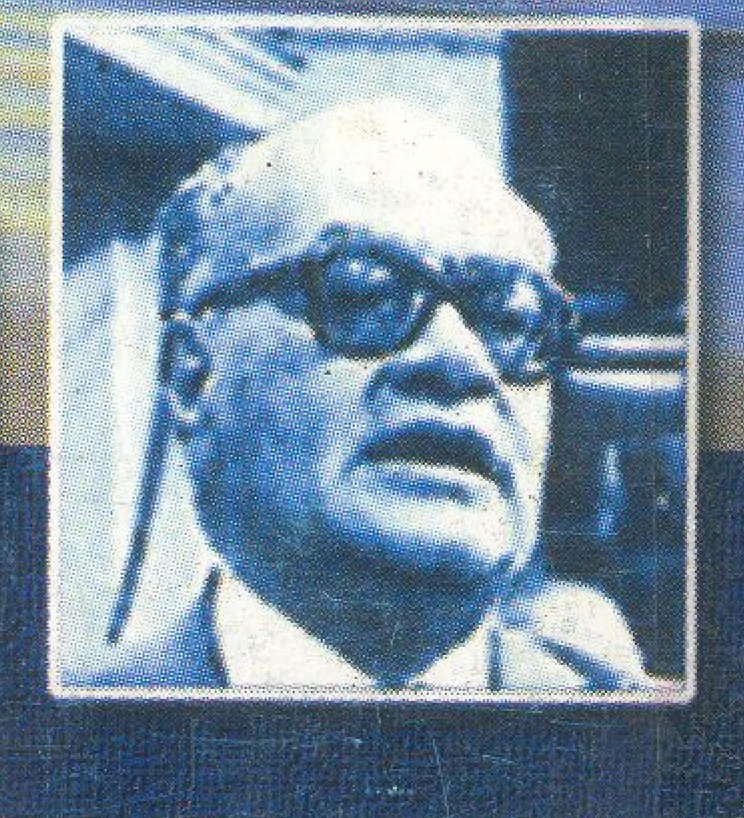
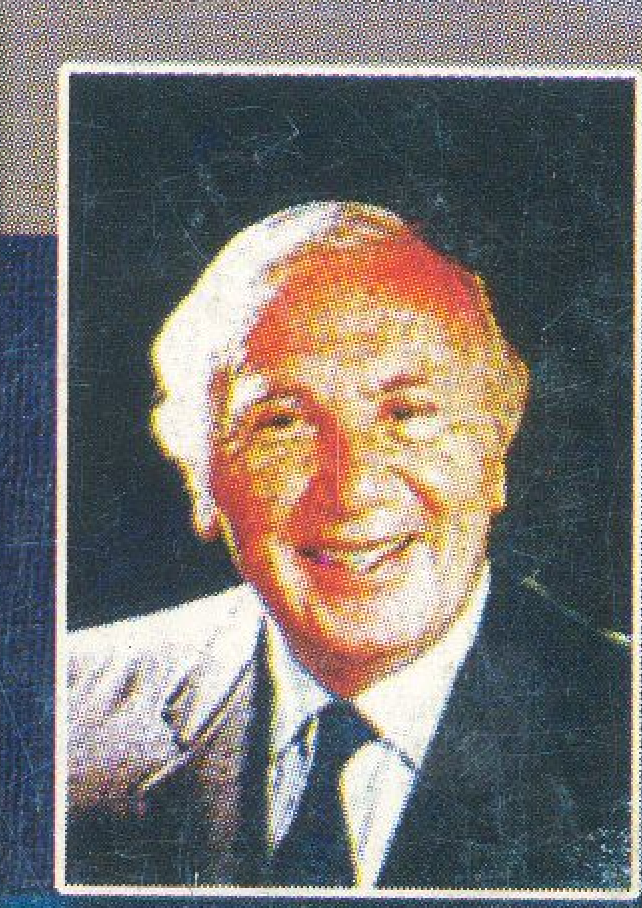
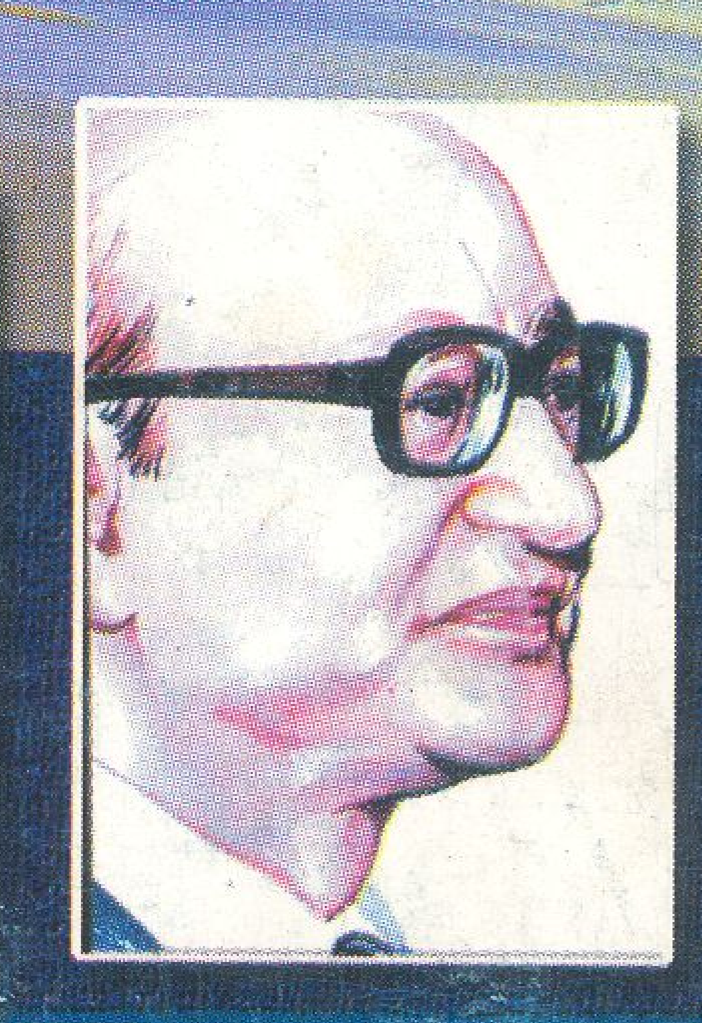






حديث الذكريات



أمينة صبرى

حديث الذكريات



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠١

تصميم الغلاف
والإشراف الفني: صبري عبدالواحد

مقدمة الكتاب

يعيش الإنسان سواء الفرد أو الجماعة بالذكريات وأجمل الذكريات، هى ما تفيض به نفوس المبدعين والخلاقين من أهل الفكر والفن جميعًا.. وحينما بدأت هذا البرنامج «برنامج حديث الذكريت بإذعة صوت العرب» لم يكن يخطر ببالى أن يتجمع لدى هذا النبع المتدفق من تجارب هؤلاء وما تفيض به نفوسهم من خلجات وعواطف وأمنيات وأحلام.

وأدركت أن هذا تراث من نوع جديد لابد أن يقدم للجيل المعاصر الذى سمع عن هؤلاء ولم يقدر له أن يراهم وجهًا لوجه. وقد كان لكل منهم سحره الخاص وجاذبيته الشخصية المتفردة وحضوره الحى. ولكن هذه الأفكار والآراء والحوارات لابد أن ترسب ويكون دائماً دافعاً قوياً يحثهم على الإضافة إليها وعلى إثرائها.. وحينما يأخذ جيل على عاتقه أن يضيف ذكرياته إلى تراث من سبقوه سوف نضمن دائمًا أن حياتنا الروحية والثقافية معيناً لا ينضب أبداً.

أحمد بهاء الدين

سواء أكنت مؤيداً أم معارضًا لما يقول أو يكتب فأنت مضطر للإصغاء إليه واحترام منطقه والتعامل معه بعقل هادئ.. ذلك لأنه «الأستاذ» فى عالم الصحافة، أحمد بهاء الدين الذى يحترم العقل ويتعامل معك بلا انفعالات، عبر أربعين عامًا أو يزيد. كتب فى شتى المجالات التى مهما اختلفت أو تنوعت إلا ما يجمع بينها جميعاً هو أنها تمس عصبًا حساسًا عند القارئ وتقيم جسراً من المودة والاحترام بينه وبين القارئ، فهو يعتبر بحق ضمير الصحافة المصرية ومؤرخها الهام، ويمكننا أن نقول... إن أعمال بهاء الدين هى دعوة ملحة لاستخدام العقل من أجل الحصول للأمة العربية على مكان متميز فى الربع الأخير من القرن العشرين، ولأهمية أستاذنا الكبير احترت كثيراً فى كيفية الغوص وسط هذا المحيط العميق من الثقافة والمعرفة وقررت أن آخذ منه هو البداية فاستعرت من عنوان أحد أهم مؤلفاته وأيضاً أحد أهم الكتب التى حوتها المكتبة العربية الحديثة.. استعرت العنوان لكى أبدأ

معه الحديث وهو عنوان كتابه المهم «أيام لها تاريخ» وسألته بأى الأيام والتواريخ يود أن نبدأ معه الذكريات فقال:

ـ مشكلة الذكريات أنها ليست كالنهر الذى تحده ضفتان، ولكن الذكريات هى أقرب إلى البحر، ولو أن الإنسان استطرد فى الذكريات فسوف يتوه مع ذكريات كثيرة وتفاصيل أكثر، ولكن لنبدأ الذكريات من الجامعة، فقد درست القانون فى كلية الحقوق جامعة القاهرة، فى ذلك الوقت كان المهتم بالشئون العامة وبالسياسة يلتحق بكلية الحقوق، كانت كلية السياسة وكانوا يطلقون عليها «كلية الوزراء» وأنا دخلتها لسببين:

أولاً : الاهتمام بالقضايا العامة فقد كان واضحًا فى ذهنى أننى سأكرس حياتى لقضايا وطنى العامة فقد نشأت منذ الصغر على الاهتمام بالشئون العامة من خلال قراءتى للجرائد اليومية، كان والدى يهوى القراءة ويتحدث وينفعل بالسياسة جداً، وأنا نشأت فى منزل ملىء بنوعين من الكتب.. الكتب السياسية والكتب القانونية وذلك جعلنى ـ دون قصد منى ـ أهتم اهتماماً شديداً بقراءة التاريخ وهو ساخن بمعنى أننى كنت أقضى كل أجازاتى الصيفية ـ وأنا فى المرحلة الثانوية ـ أقرأ الجرائد المصرية القديمة فى دار الكتب، وأنا أزعم أننى قرأت كل الجرائد المصرية القديمة وعايشت الأحداث السياسية القديمة من خلال الجرائد وهذا يختلف عن قراءة كتاب فى التاريخ فقراءة الجرائد اليومية لمرحلة ما يكون بها وهج وانفعال الحدث بكل اتجاهاته ساخناً، هذا الاهتمام بقراءة الصحف القديمة جاء نتيجة قراءة الكتب

السياسية التى نشأت فى وسطها، فعندما كنت أقرأ عن الأحداث التاريخية فى كتاب ما أجد نفسي أذهب لدار الكتب لكى أقرأ عن هذا الحدث وهو طازج من خلال الصحافة، فأنا منذ الصغر كان بداخلى بذرة الاهتمام بالشئون العامة للوطن العربى، وكانت رغبتى الحقيقية هى الاشتغال بالحياة العامة.

• الكتب السياسية كانت فى منزلك لأن والدك كان مهتماً بالسياسة، ولكن لماذا امتلأ بيتك بالكتب القانونية ؟

- كان أمل والدى أن أعمل محامياً ولذلك كان حريصاً على اقتناء الكتب القانونية، ولهذا دخلت كلية الحقوق.

• إذن دخلتها لتحقيق رغبة والدك فقط، فهل أحببت دراسة القانون ؟!

- عشقت القانون؛ لأن دراسة القانون تنظم التفكير، ودراسة الآداب تحتوى على الانطلاق، ودراسة القانون فيها نظام محكم، والغريب أنه رغم حبى للدراسة القانونية إلا أننى اكتشفت أننى لا أحب المحاماة على الإطلاق، فالمحامى له صفات معينة لا أمتلكها وأهم صفة من صفات المحامى هى مواجهة الناس، أن يقف وسط المحكمة ويترافع فى شكل خطابى وقد يتشاجر مع الموكلين على الأتعاب أو يفاوضهم فى ذلك، وأنا لا أستطيع أن أفعل ذلك على الإطلاق، فأنا طبيعتى أقرب إلى الانطوائية، فسعادتى أن أغلق حجرتى على نفسى أقرأ وأكتب، وأنا فى كلية الحقوق اتجهت لكلية الآداب لحضور محاضرات الفلسفة

والتاريخ، وكان يوجد وقتها أساتذة عظام أمثال د. طـه حسين ود. أحمد أمين، وتخرجت فى الجامعة بخليط من الكليتين، الآداب والحقوق.

● رغم أنك بدأت الكتـابة كـمـقـالات فى بعض الصـحف والمجلات أثناء عـملك فى المجال القانونـى إلا أننى أتصور أن بدايتك الحقيقيـة فى عالـم الصحـافة بدأت من مـجلة روز اليوسف الأسبوعية الشهيرة، فكيف تم ذلك؟

ـ لذلك قصة طريفة، فأنا كنت أراسل عدة مـجلات وجرائد، وقبل الثورة بأسابيع أعلنت الحكومة الميزانية الجديدة وكـانت آخر مـيزانية للحكومة قبل الثورة وكانت ميزانية تقليدية غير طموحـة، فكتبت مقالة أنتقد فيها الميزانية نقداً شديداً جداً، وكانت مقالة مختلفة تماماً عما كان يكتب فى الصحافة فى ذلك الوقت، كتبت عن الفرق بين هذه الميزانية وميزانيات دول أخرى، وأجريت دراسة مقارنة لهذا الموضوع من خلال قراءاتى لما يجرى فى العالم من حولنا، وأرسلتها لمجلة روز اليوسف عن طريق بواب المجلة، وأقصى ما كنت أتوقعه هو أن تنشر المقالة، ولكنى فوجئت بأنها نشرت كافتتاحية للمجلة فى الصفحة الأولى، وكنت أكثر الناس مفاجـأة بذلك، وأنا أذكر الفضل لدخولى الصحـافة للسيدة فاطمة اليوسف وللراحل الكبير إحسان عـبدالقدوس. المهم أننى تشـجعت جداً بهذا الموقف وظللت أرسل مقالاتى للمجلة عن طريق البواب وتنشر فور إرسالها فى مكان ثابت وواضح كل أسبوع، وأنا أذكر أن مقالاتى كانت تنشر دائماً فى الصفحـة الثالثـة وظل الحال كذلك فترة إلى أن جاء يوم، وأنا أسلم مـقـالة لى للبـواب أن طلب منى الانتظار لأن شخصًا يريد

مقابلتى ورؤيتى، فانتظرت وجاء إلى الأستاذ عميد الإمام سكرتير تحرير المجلة وأبلغنى أنهم يبحثون عنى وأخذنى لكى أتعرف على صاحبة المجلة وعلى الزملاء، ومن يومها انتظمت فى روز اليوسف وعملت بها وأنا مازلت أعمل فى مجلس الدولة لمدة سنتين، ثم فكرت فى إكمال دراستى للحصول على الدكتوراه من باريس وأن أترك المجلة، والحقيقة أن السيدة فاطمة اليوسف أقنعتنى بأن حياتى فى الكتابة وأنه من الأوفق أن أترك الوظيفة وأنسى موضوع الدكتوراه لكى أتفرغ تماماً للصحافة والكتابة وهذا ما حدث بالفعل.

● كنت أصغر صحفى يرأس تحرير مجلة صحفية عندما ترأست تحرير مجلة صباح الخير الصادرة عن روز اليوسف فكيف وثق بك أصحاب المجلة هذه الثقة الكبيرة وأعطوك فرصة إصدار مجلة للشباب ورئاسة تحريرها؟

- الحقيقة أنا أرجع كل الفضل للسيدة فاطمة اليوسف ولإحسان عبدالقدوس اللذين كانا يبحثان عن المواهب ويقدرانها ويعطيانها كل الفرص، وأنا استفدت كثيراً من هوايتى القديمة فى قراءة الصحف والمجلات القديمة فعندما عملت فى الصحافة لم تكن جديدة بالنسبة لى، كان ورائى خبرة وتجربة ومعرفة حتى إن الكثيرين من القراء ومن الزملاء الصحفيين الذين لم يعرفونى معرفة شخصية ظنوا أننى رجل فى الخمسين من عمرى، وأنا كنت لا أزال فى العشرينات، كل ذلك يرجع لكثرة قراءاتى فى التاريخ وكنت كثيراً ما أستشهد بأحداث وأفعال تاريخية كأننى حضرت هذه الأحداث، كل ذلك لأننى لم أقرأ فقط

الكتب التاريخية ولكننى قرأت الصحف القديمة أيضاً؛ فالصحافة هى الأحداث اليومية بكل تفاصيلها، التفاصيل وليس العموميات فقط.

● بما أنك كنت أصغر رئيس تحرير لأول مجلة شابة فى العالم العربى - وهى مجلة «صباح الخير» - قطعًا حرصت على أن تكون مجلة جديدة شكلاً ومضموناً، فماذا حرصت أن تقدمه للشباب فى مجلة موجهة للشباب؟

- «صباح الخير» فى أول صدورها كانت مجلة موجهة للشباب وهنا كانت تكمن المشكلة، فكل مجلات الشباب كانت تظهر وتفشل وتقفل، فكان هذا تحدياً، المشكلة الأخرى أن اهتماماتى كانت اهتمامات سياسية وليست اجتماعية، المشكلة الثالثة أن «صباح الخير» كانت تصدر من روز اليوسف وهى مجلة شباب ومطبعتها فقيرة وصغيرة فكانت أهم مشكلة أمامى هى كيف تظهر «صباح الخير» مختلفة تمامًا عن روز اليوسف، هذا هو التحدى الكبير وهو أيضًا النجاح الكبير، وظهرت «صباح الخير» بميزانية متواضعة جداً، وأنا حرصت أن يكون كل المشتغلين بها من الشباب الذين لم يسبق لهم العمل فى الصحافة من قبل، ولم يكن بها من عمل بالصحافة من قبل إلا أنا والمرحوم حسن فؤاد المدير الفنى والأستاذ أبو العينين سكرتير التحرير والباقى كانوا من طلبة قسم الصحافة بالجامعة واعتمادى شبه الكامل على مجموعة من الطلبة لم يسبق لهم العمل فى الصحافة كان - بلا شك - مخاطرة كبيرة، وأذكر أن الفنان الرسام المبدع صلاح جاهين كان ضمن هؤلاء الشباب، والغريب أنه لم يكن قد رسم من قبل أى كاريكاتير لأى مجلة كان وقتها

يحاول أن يكون مؤلفًا غنائياً والتحق بالعمل معنا لكى يساعد فى أعمال السكرتارية، ولكنه كان موهوباً إلى حد لا يجارى، ولاحظت أننا أثناء عمل مشروع المجلة على الورق كان يرسم أشكالاً ورسومات غير مسبوقة، وطلبت منه أن يرسم ففاجأنى بقوله إنه يتمنى أن يرسم كاريكاتير ولكن كل المجلات والجرائد رفضت رسمه ولكنى صممت على أن يرسم وفوجئنا بمستواه العالى، وظهرت المجلة ورسومات صلاح جاهين تملأ المجلة وبهرت كل الناس، المهم المجلة كانت كلها من المبتدئين، وكانت المخاطرة كبيرة، وبفضل الله كان النجاح كبيراً.

● نجاح مجلة «صباح الخير» يدل على أنك لست فقط موهوباً فى الكتابة الصحفية ولكنك أيضاً موهوب فى حرفية صناعة الصحافة وكنت لا تزال صغيرًا.

ـ كل ذلك يرجع إلى قراءاتى للجرائد بكثرة فى بداية حياتى، فقد أضاف هذا إلى خبرتى خبرات وإلى عمرى الصحفى أعماراً، وأنا فى الحقيقة هوايتى الصحافة، فكثيراً ما كنت أرسم الماكيت الصحفى وأقوم بعملية توضيب الصفحة، وأنا عملت فى معظم الأعمال الصحفية وحياتى الصحفية مقسمة إلى مراحل، كل مرحلة أخذت من عمرى حوالى سبع سنوات، أى أن حياتى الصحفية مقسمة إلى «سبعات» فى روز اليوسف و«صباح الخير» ظلت سبع سنوات، ثم ذهبت للأخبار وعملت رئيسًا لتحرير أخبار اليوم لمدة سبع سنوات ثم انتقلت عام ١٩٦٥ إلى دار الهلال حيث عملت رئيسًا لمجلس إدارتها لمدة سبع سنوات أيضاً، ثم ذهبت لجريدة الأهرام حيث عملت أطول فترة كرئيس تحرير ثم ككاتب.

• من روز اليوسف وصباح الخير إلى جريدة الأخبار، أتصور أنها نقلة نوعية، فهما مدرستان مختلفتان فى الصحافة، فمن صحافة الرأى،إلى صحافة الخبر فى جريدة الأخبار.

- نعم هذا صحيح، والصحافة يجب أن تحتوى على المدرستين، ويجب أن يكون هناك الرأى والخبر فى الصحافة، المجلة أسبوعية، الرأى فيها يكون أغلب والجريدة يكون الخبر فيها أغلب، وأنا عملت كل الأعمال الصحفية من رسم وتوضيب وكتابة ولكن أصارحك القول بأن الفجوة فى حياتى الصحفية هى الخبر، لأننى بدأت من الجلوس على المكتب والكتابة أو المراجعة أو الرسم أو التوضيب، كله على المكتب، لم أنزل السوق للإتيان بالأخبار فى حين أن القاعدة أن يبدأ الصحفى بالنزول للسوق ويأتى بالأخبار ولكنى لم أبدأ كذلك، وأعتبرها نقطة ضعف عندى، أنا مثلاً قابلت معظم المسئولين فى العالم العربى عدة مرات وكانت مقابلات شخصية وودية للغاية وفى كل مقابلة تنقلب الجلسة إلى محاورة سياسية والتحدث عن سلبيات وإيجابيات حدث ما أو قرار ما ولا أفكر أبداً فى الحصول على خبر من هذا المسئول أو ذاك.

• إذن كان انتقالك من روز اليوسف مجلة الرأى إلى جريدة الخبر يعتبر نقلة لا أدرى إن كانت قد أسعدتك أم أتعستك.

- كل عمل صحفى يسعدنى وأنا فى الأخبار ظللت أكتب كتابة الرأى والتحليلات السياسية بجانب عملى كرئيس للتحرير حيث العمل الصحفى الحرفى، ما يجب أن يبرز وما لا يجب أن يبرز، تحليل

الأخبار، توجيه المحررين، معرفة وتحقيق مصدر الأخبار، ولكن لم يكن جمع الأخبار أو الحصول عليها من همومى الصحفية ليس لأنه عمل غير مهم ولكن لأن طبيعتى وميلى كان للتحليل والكتابة السياسية وليس لجمع الأخبار وكل ميسر لما خلق له.

● فى مجلة صباح الخير كنت أصغر رئيس تحرير وسط مجموعة من الشباب لا خبرة لهم ولكن عندما انتقلت إلى دار الأخبار كنت رئيس تحرير لزملاء كبار مشاهير كان من بينهم من هو أكبر منك سناً، فكيف سارت معك الأمور فى جريدة الأخبار؟

- أنا أعتقد أن حظى فى الصحافة حظ جيد، فأنا عملت مع أفضل الأسماء الصحفية مع أساتذة فى الصحافة من جيلى ومن قبل جيلى بكثير، ولكنى لا أذكر أن عرقل طريقى أحد... بالعكس كنت دائماً ألقى الترحيب والاحترام، ومن ناحيتى فإن حياتى كانت اندماجا كاملاً فى الصحافة، وهذا يدل على أن النجاح فى أى مهنة يأتى من حب هذه المهنة، فالصحافة تسلب الإنسان من نفسه، فلو سار الصحفى مثلا للتنزه تأتى إليه فكرة ولو شاهد فيلمًا أراد أن يكتب عنه، فكل حياة الصحفى للصحافة، وأنا دائما أقوم بواجبى بإتقان، وكنت دائما أجد التقدير من الذين عملت معهم كرؤساء لى أو أصحاب جرائد أو من الزملاء والمرؤسين، وكل الذين عملت معهم أصدقاء.

● بعد عملك فى أخبار اليوم، عملت فى دار الهلال ثم الأهرام، بماذا تقيم عملك فى الأهرام؟

ـ الأهرام يحتوى على المدرستين مدرسة الصحافة الخبرية وصحافة الرأى والتحليل، فالأهرام مثل أى جريدة يومية نجد الخبر مهما والتحليل أيضاً مهما، ولكن يوجد شىء أساسى وهو مقولة أنه ليس فقط الرجل المناسب فى المكان المناسب وإنما الرجل المناسب فى الوقت المناسب له أيضا فالإنسان أحيانا يصل إلى مكان فى وقت يناسب تطوره هو وتطور المكان، فأنا دخلت الصحافة فى وقت كانت المهنة تتغير فى العالم كله، والانتشار الخطير لوسائل الإعلام الآن لم يعد الخبر المجرد أو السبق المجرد هو أهم شىء، لأنه فى حياتنا الواقعية نستطيع أن نعرف الخبر وقت حدوثه من الإذاعة والتليفزيون قبل قراءته فى الجرائد ولكن الذى يجعل الصحافة تعيش وتستمر هو الخبر المفسر، والآن فى كل الجامعات والمعاهد التى تدرس الصحافة تدرس مادة الخبر المفسر، فالقراء نوعان نوع يهمه أن يعرف الخبر فقط وهذا لا يحتاج كثيراً إلى الصحافة فهو يستطيع أن يعرفه من الراديو أو التليفزيون، أما النوع الثانى فهو الذى يريد أن يعرف الخبر وتفسيره وهذا النوع هو الذى يشترى الجريدة، فالخبر المفسر أظهر نوعاً جديداً من المجلات فى العالم مثل: التايم، والنيوزويك، فى حين أن المجلات الأخرى أغلقت مثل مجلة «لايف» لأنها كانت تهتم بالخبر فقط فجاء الراديو والتليفزيون وقضيا عليها، الخبر المفسر أدخل على المادة الخبرية الجزء الخاص بالثقافة الخبرية، لماذا حدث الخبر وما وراءه وما أسبابه وتطوراته .

● ولكن هذا النوع من الكتابة يحتاج إلى نوعية معينة من الكتاب!

ـ قديماً كانت الكتابة هى الفصاحة اللغوية، السجع والتعبيرات الصعبة، اليوم الأسلوب الفصيح هو منطق وسهولة ومعلومات، الفهم والتبسيط، وأكبر خطأ يقع فيه الكاتب أن يبدو متعاليًا على القارئ، يجب أن يتحدث الكاتب مع القارئ بنوع من المساواة والتبسيط الشديد، هذه هى الفصاحة الحقيقية، كذلك تنطبق هذه النظرية على الأدب أيضاً، وأنا أذكر أنه عندما ذهب الكاتب الروسى الشهير «تشيكوف» لكى يعرض أعماله الأولى على الكاتب الروسى الكبير «تولستوى» نصحه تولستوى قائلا: «البساطة ياسيدى البساطة.. الشمس تشرق والطيور تغرد والفنان هو الذى يرسم الصورة بلمستين من ريشته.»

● أنت مارست أشكالاً عديدة من الصحافة وفى أجواء مختلفة، فقد عملت فى الصحافة المصرية قبل أن تؤمم وعملت فيها وهى مؤممة وعملت أيضاً فى صحافة قطاع خاص عندما رأست تحرير مجلة «شموع» وعملت فى صحافة عربية كويتية فى مجلة «العربى» فما هى خلاصة هذه التجارب لديك؟ وهل توجد صحافة أفضل من غيرها؟

ـ هذا موضوع كبير جداً، فكل نوع من الصحافة أو من العمل الصحفى له مزاياه.. ولكن دعينا نحصر حديثنا فى السؤال لأنه سؤال يحتاج إلى دراسة ومجلدات.. ما أستطيع أن أقوله إنه فى تجربتنا الصحفية فالصحفى لا ترضيه السلطة المطلقة لصاحب الجريدة على سياسة الجريدة وعلى أشخاصها وتوجهاتها، وفى الوقت نفسه لا ترضيه أيضًا السلطة المطلقة لملكيه الدولة، ولكن فى تجربتنا المصرية أنا أزعم

أن قانون تنظيم الصحافة الذى ظهر فى الستينيات ولم يطبق كما كان يجب أن يطبق لأنه كان يحتوى على مثالية شديدة فكان يتضمن القيادة الجماعية و٥٠٪ من إيراد الجريدة يستثمر فى التوسع وأشياء مثالية أخرى، وكانت النتيجة أن الصحافة تخلفت فى مجالات عديدة منها المنافسة الصحفية وهذه مشكلة مطروحة فى العالم كله، فصحافة ما كان يسمى من قبل بالمعسكر الشرقى كانت ملكاً للدولة وكانت لا ترضى القارئ لأنها نغمة واحدة ورأى واحد وشىء مفروض، والصحافة فى العالم الغربى لا ترضى الناس مائة بالمائة، ففى إنجلترا مثلا الجريدة اليوم تكون ملكاً لشخص ما وفجأة تباع الجريدة بما فيها من صحفيين وعاملين الى شخص آخر قد يكون مختلفاً فى الرأى والسياسة عن المالك القديم، وقد حاولو أن يحدثوا قوانين لإصلاح الصحافة ولكن لم يستطيعوا، ولكن ما يعادل هده المعضلة فى الغرب ما يسمى بقانون السوق؛ فلأن صاحب الجريدة يريد المكسب يجب أن يكون لديه صحفيون جيدون، ما أريد أن أقوله إن كل نظام له عيوبه أيضاً، ولكن توجد بعض تجارب قليلة جداً ترضى الصحفى مثل جريدة «لوموند» الفرنسية، فهى مؤسسة صحيفة يملكها صحفيون وهم ينتخبون رئيس التحرير حقاً، ولكنها حالة تكاد تكون وحيدة فى العالم ، إذن الوضع المثالى للصحافة غير موجود، ولكن كلما تعددت الصحف وتعددت ألوانها واتجاهاتها يكون أفضل للصحفى وللصحافة.

● إذا تركنا إهتمامك الأول وهو الصحافة وانتقلنا إلى اهتمام آخر فى حياتك وهو مؤلفاتك، فنجد أنك أثريت المكتبة العربية بمؤلفاتك المتميزة، والكثير منا يذكر ما

أحدثه كتابك المهم «أيام لها تاريخ» فى الأوساط العربية بمختلف اتجاهاته.

- فى الواقع أنا كتبت حوالى ١٨ كتاباً، ولكن ما أعتبره كتباً حقيقية حوالى أربعة كتب: «أيام لها تاريخ، شرعية السلطة، محاوراتى مع السادات، وأفكار معاصرة » فهذه الكتب ألفت لكى تظهر فى كتاب ولكن معظم الكتب الأخرى تكون أصلاً مقالات ويقترح علىّ ناشر ما أن يجمع هذه المقالات فى كتب.

● مقالاتك اليومية فى جريدة الأهرام وفى بعض الجرائد العربية تجعل من يتابعك فى هذا العمل يطلق عليك وصف مؤرخ هاو.

- أنا مؤرخ مكبوت، لو كان لى أن أبدأ من جديد كنت اخترت أن أكون مؤرخاً، فالصحافة تأثيرها أقوى وأسرع، ولكن الكتابة تأثيرها أبقى، وكنت أتمنى لو أننى أعطيت وقتاً أكبر لبعض الموضوعات الصالحة للكتب لكى يرجع إليها القارئ وقت أن يشاء بدلاً من المقالة الصحفية. أنا أتمنى ذلك ولكن الصحافة عندى داء، والمشكلة عندى أن الكتابة التاريخية تحتاج وقتا وتفرغا، وعجلة وسرعة العمل الصحفى لا تهدأ.

● الملاحظ أنه أيضا من أهم همومك فى الحياة هو تحريك المياة الراكدة فى مجتمعاتنا، فأنا أتذكر مثلا دقك لناقوس خطر التخلف عن الركب العلمى السريع، وصيحتك المعروفة بوصف الانسان الأمى بأنه ليس من يجهل القراءة

والكتابة وإنما من يجهل لغة الكمبيوتر، فهموم المجتمع العربى هى همومك الشخصية.

- هذا صحيح فأنا أعتقد أن من يتصدى لمهنة الكتابة فى القضايا العامة لا يستطيع أن يتحرك خارج هذه المنطقة فكل أجهزة الاستشعار لديه تكون مصوبة نحو القضايا المهمة للمجتمع، لذلك أنا أقول إن مهنة الكتابة الصحفية لمن يستوعبها استيعاباً حقيقياً من أشق ما يمكن، فهى لا تترك لصاحبها أى فترة من فترات الراحة، فدائماً يترجم ما يراه الى مادة مفيدة لبلده ولقارئه، فلا يستطيع أن يعيش حياة خاصة، فأنا لا أستطيع مثلاً أن أقرأ قراءة لمتعتى الخاصة أو أن أرى عملا فنيًا لكى أستمتع به فقط.

● وهل هذا يؤثر على حياتك الخاصة فى المنزل مع زوجتك وأولادك؟

- ألى حد كبير، أولادى الآن كبروا وتخرجوا ولكنى أستطيع أن أقول انهم إلى أن اصبحوا فى سن المراهقة لم أكن منتبهًا لهم، ليس إهمالاً ولكننى لم أجد الوقت الكافى للجلوس معهم ومناقشتهم والتحدث معهم، ولكنى تنبهت لذلك فحاولت أن أعوضهم. عموما شئونى الخاصة دائماً فى المؤخرة وأنا لا أستمتع بحياتى الخاصة وبشبابى كما كان يجب أن أستمتع.

● أرجع بك إلى البدايات وأُسألك عن دراستك للقانون، هل أفادتك فى الكتابة فنحن نرى أن المنطق وتنظيم الفكر عاملان أساسيان فى كتاباتك فهل اكتسبت ذلك من دراسة القانون؟

- أنا أعتقد ذلك ، فالقانون أفادنى فى الكتابة لأن القراءة الأدبية والفنية يمكن أن يقرأها الإنسان دون دراسة أو جامعة ولكن القانون يجب أن يدرس، والقانون أساسه المنطق والتنظيم والبناء المتكامل.

● وهل لك تلاميذ من نفس مدرستك فى الصحافة العربية ؟

- أنا اعتبر أن كل الصحفيين زملائى، فأنا أعتز بهم، بالصحفيين الشباب الذين بدءوا حياتهم معى فلهم مكانة خاصة عندى، وأزعم أن جميع من عملوا معى فى بدء حياتهم الصحفية هم من أحسن العناصر الصحفية فى الجرائد العربية، وأنا دائماً أطلب من الصحفى شيئين: الكفاءة والأخلاق الحميدة فالكفاءة لا تغنى عن المسئولية الأخلاقية.

● أخيراً أتوجه إليك وأنت الأستاذ فى عالم الصحافة والكتابة الصحفية بسؤالى الأخير، فأنا أريد أن أعرف أمنياتك لمهنة الصحافة التى أخذت منك كل حياتك ؟

- أنا أرى أن مهنةالصحافة مهتمة أكثر من اللازم بالتقدم التكنولوجى، رغم أهميته الكبرى فمهم أن يكون لدينا أحدث الآلات وأفضل المطابع .. إلى آخره، ولكن أهم شىء فى مهنة الصحافة هو العنصر البشرى - الصحفى - فيجب أن يبذل مجهوداً أكبر فى تنمية الكفاءات والقدرات البشرية التى تصنع الصحافة لأن فى النهاية ما يصنع الجريدة ليس الماكينة التى تطبع مليون نسخه فى الساعة ولا الماكينة التى تطبع سبعة ألوان، ولكن من يصدر الجريدة ويكون السبب فى ظهورها هو الصحفى، فالصحفى أهم مائة مرة من الأجهزة والآلات.

وسكت قلم الأستاذ

وانقطع الحوار

لأن الأستاذ سكت قبل الأوان بأوان

وما أشد احتياجنا اليوم إلى قلمه وإلى منطقه.

* * * *

الأديب بهاء طاهر

هو (شوبان) الأدب العربى، تتميز كتاباته بعذوبة ساحرة، وموسيقى شعرية سلسة وباهرة.

أما هو فيتمتع بإنسانية عالية، أبدع للمكتبة العربية الأدبية العديد من الأعمال القيمة من قصة قصيرة إلى رواية إلى ترجمات، إلى دراسات نقدية.

فقدم المجموعات القصصية التالية (الخطوبة، بالأمس حلمت بك، أنا الملك جئت - ذهبت إلى شلال).

ورواياته (شرق النخيل - قالت ضحى - خالتى صفية والدير - الحب فى المنفى - نقطة النور).

وأبدع من الدراسات عشر مؤلفات نذكر منها (أبناء رفاعة - الثقافة والحرية - ساحر الصحراء (ترجمة) - فاصل غريب (ترجمة) ضيفنا. حصل على جوائز عدة منها: جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٩٨م،

جائزة - جوزيف بى أتشيربى الإيطالية عن رواية (خالتى صفية والدير).

جائزة الشاعر اليونانى (كفافس) عن مجمل أعماله.

وجوائز معرض القاهرة الدولى للكتاب، ففى عام ١٩٩٣ حصل على جائزة أفضل كتاب فى الفكر الثقافى (أبناء رفاعة) وعام ١٩٩٥ جائزة أفضل رواية عن رواية (الحب فى المنفى) وجائزة أفضل مجموعة قصصية عام ١٩٩٨ عن المجموعة القصصية (ذهبت إلى شلال) (وجائزة اتحاد الإذاعات العربية) عام ١٩٧٥ عن أفضل دراسة بعنوان (البرامج الثقافية فى الإذاعة).

إنه الأديب الكبير (بهاء طاهر) والذى قال عنه الأديب الكبير (يوسف إدريس) عندما نشر أول رواية له فى مجلة (الكاتب) الأدبية عام ١٩٦٤، قال: (هذا كاتب لا يستعير أصابع غيره ولم يقلد أحداً، هذا كاتب بهائى طاهرى) فذكرياتنا مع الأديب الكبير بهاء طاهر.

● الذى يقرأ لبهاء طاهر يعرف أنه من صعيد مصر وهذا واضح فى رواية (خالتى صفية والدير) ومن قبلها رواية (شرق النخيل)، أستاذ بهاء تأثير هذه البيئة عليك وهل أنت قد عشت فترة فى الصعيد؟

- لم أعش كثيراً فى الصعيد ولكن الصعيد عاش عندى، فوالدى كان مدرسًا وكان رحمة الله عليه يتنقل شأن المدرسين بين مدارس الجمهورية ولذلك فكل واحد من إخوتى مولود فى بلد مختلف وأنا كنت آخر الأولاد فى الفترة السابقة على المعاش وولدت فى الجيزة، وكنا

نسافر في العطلات الصيفية للأقصر، وكان بيتنا لا يخلو مطلقاً من العائلة والأقارب، ووالدتي رحمة الله عليها والتي تركت البلد وهي في السادسة عشرة من عمرها كانت تنتقل في مدن متعددة ولكنها لم تفارق القرية لحظة واحدة فظلت حتى آخر عمرها متمثلة القرية في وجدانها، تعرف كل صغيرة وكبيرة عن القرية وكانت (راوية) من الطراز الأول وكانت هذه اللحظة هي أجمل لحظة في حياتي وأنا أجلس معها، وهذا أثر في كتابتي لرواية (شرق النخيل) فهي تدور في حادثة محورية عن هذا الأب والابن اللذين يقتلان في أحضان بعضهما البعض. فهذه الصورة مستمدة من إحدى قصص والدتي رحمة الله عليها.

ولكني أشعر أنني صعيدي مزيف لأني لم أعش فترة طويلة في الصعيد ولكني عشت من خلال روايات والدتي في الصعيد.

● إذن الوالدة لها تأثير كبير في تكوينك الثقافي؟

- نعم تأثير محوري، تأثير كبير جداً جداً، فقد كانت حكائة من الطراز الأول وكانت كل حكاياتها لي واقعية.

● ما هي الروافد أو المكونات الثقافية التي كونت بهاء طاهر، وماذا فعلت بهذا التكوين ولهذا التكوين؟

- وأنا طفل كان والدي لديه مكتبة عامرة تضم العديد والعديد من الكتب القيمة فكان البيت كله عبارة عن مكتبة، فيها كتب التراث وكتب الدين وتفسيرات القرآن الكريم؛ - لأن والدي كان أزهري ومتخرج من كلية دار العلوم -، وأيضاً كتب الشعر، وكتب الجاحظ، والمتنبي، وكتب

التراث، وكان بيتنا عبارة عن مكتبات متلاصقة وكان والدى يحترم الكتاب ويجلده، ولكنى وأنا طفل لم أكن مستوعبًا لكل هذا، ولكن هواية القراءة بدأت عندى منذ الصغر المبكر فلقد دخلت المدرسة وأنا عندى ثلاث سنوات ونصف وتعلمت القراءة مبكراً جداً جداً. وكان لدينا كتاب مصور ولازال أحب الكتب إلى قلبى هو كتاب (كليلة ودمنة)، وقرأت مصرع كليوباترا لأحمد شوقى ولم أكن أفهم الشعر مبكراً. ولكنى كنت أحاول فهم كل ما أقرأ.

ولكن الاكتشاف الذى قلب حياتى كان فى المدرسة الابتدائية حينما اكتشف أحد زملائنا روايات الجيب، ولأنى كنت أحبها فقد قرأتها، وقد تعلمت القراءة مبكراً جداً لأنى قد التحقت (بالكتّاب)، وقد أفادنى فى حفظ القرآن الكريم الذى هو الوسيلة الأساسية فى تقويم اللسان فضلاً عن قراءتى للكتاب المقدس.

ودخلت ا لمدرسة الإلزامية، ثم الأولية، ثم الكُتّاب ودائمًا كنت أُشيد بنظام التعليم الرسمى.

وفى سن الثامنة التحقت بالسنة الثانية مباشرة دون الأولى لأننى قد اجتزت الامتحان لأننى متعلم القراءة من قبل ذلك، فالتعليم الابتدائى كان أربع سنوات، ورابعة ابتدائى كانت تعادل شهادة هامة جداً وكان يتم التعيين بها والتوظيف. وروايات الجيب كانت معظمها عن (أرسين لوبين) وشرلوك هولمز) وكان ممنوع قراءتها فى المدرسة.

● **هذا العالم (الذى دخلت فيه واكتشفت هذا الاكتشاف الأدبى الآخر: أى قراءة الكتب والانفتاح على الأدب العالمى).**

ـ لقد قرأت (الجريمة والعقاب) ولم نستطع فى هذه السن المبكرة أن نفطن لكل ما نقرأ، وهذه الروايات استطاعت أن تدخلنا لبوابة الأدب العالمي والتعرف عليه.

ونظام التعليم فى هذه الفترة كان جاداً جداً فكنا ندرس (مون فيليت)، وفى (سبيل التاج) للمنفلوطى، وكانت كتب المطالعة تقدمك لعالم الثقافة العربية والعالمية حيث أنه فى كتب المطالعة توجد أسماء المخترعين وأشهرهم، فالتعليم كان جاداً ولم يكن هناك دروسًا خصوصية، وكان المدرس يضرب من لم يحفظ القواعد وأنا مع الضرب الذى لا يضر ولكن القصد منه التعليم فقط، وكنا نحب أساتذتنا جداً.

● وهل كانوا يحبونكم ويشجعونكم؟

ـ نعم، كانوا يشجعون النابهين منا.

وأنا كتبت أول قصة فى حياتى بناء على قراءة الكتب، ولكن المدرسين كانوا غير مصدقين أننى الذى أكتب موضوعات الإنشاء معتقدين أن والدى هو الذى يكتبها ولأجل ذلك كانوا يعطوننى درجات ضعيفة حتى الثانوى.

● وماذا عن القصة التى كتبتها؟

ـ طلب منا كتابة قصة وفى الطابور كان الضابط يمر علينا لكى يتمم على نظافة الطلاب وكانت شخصية هذا الضابط مهيبة جداً ففوجئت به ينادى على اسمى وأنا غير سامع أو عملت أننى لم أسمع ثم ذهبت ووجدته يقول : إن هذا الطالب أخذ الدرجة النهائية على موضوع الإنشاء فتم تدريسه وتقريره للمدرسة كلها.

● أستاذ بهاء (ألم يلفت هذا الموضوع انتباهك لنفسك) ؟

ـ نعم، فقد كنا جميعًا أنا وزملائى نحاول أن نؤلف القصص وأنا مازلت أزعم أننى قارئ نهم، فكنت أقرأ كل ما يقع تحت يدى، فقد قرأت البخلاء للجاحظ ونفذتها فى إذاعة (صوت العرب) وقرأت المتنبى فى الثانوية وغيره ولكنى مازلت أعشقه (المتنبى).

● وعلى ذكر المتنبى فلقد قلت إنك لا تستطيع أن تعيش بغير شعر.

ـ نعم يصعب علىَّ ذلك.

● إذن مكوناتك الثقافية كانت نهمك الشديد لقراءة كُتب التراث العربى ؟

ـ نعم، وطبعاً حينما انتقلت للثانوية قرأت كتب الأدب العربى الرفيع ودرسنا عيون الشعر العربى، وكتب طه حسين والمسرح اليونانى والأوربى، وكان السبب فى ذلك نظام التعليم الذى كان شيئاً مثالياً وإنه بالفعل قد خلق منى إنساناً مثقفاً.

● أستاذنا بهاء متى فتحت أمامك آفاق الأدب العالمى ؟

ـ حينما قرأت روايات الجيب، ثم إننا قد درسنا أدباً عالميًا، وكانت هناك جمعية الجراموفون خاصة بالموسيقى فسمعنا بيتهوفن.

وكانت هناك الجمعية التاريخية، والتى لعبت دوراً أساسياً فى حياتى بعد ذلك حيث إننى تخرجت من كلية الآداب قسم التاريخ وقد كنت رئيس الجمعية التاريخية ومنذ كنت فى ثانوى قرأت الأدب الروسى، ودوستوفسكى وتشيكوف، وفى الأدب الفرنسى قرأت (فلوبير،

موباسان)، وقرأت شكسبير في الأدب الإنجليزى. كان من السهل أن يتثقف الإنسان وكان هناك ما تسمى بمكتبة الفن وما فيها من كتب عن فان جوخ وغيره من الفنانين وكانت تحتوى على الكثير من التماثيل لمحمود مختار.. الحقيقة سبل الثقافة كانت ميسرة تماماً أمام الجميع.

● عملك فى الإذاعة هل هو من ضمن روافد تكوينك الثقافى؟

- نعم. بكل تأكيد، فالعمل فى البرنامج الثانى كان عبارة عن متابعة يومية لكل ما يقدم فى الأدب وبخاصة الإصدارات العالمية.

وأنا أفتخر أننا قدمنا فى البرنامج الثانى مسرحيات مترجمة قبل تقديمها فى البرنامج الثالث البريطانى. مثلاً (المسرحية المشهورة جداً فى انتظار جودو)، وأنا الذى قمت بإخراجها، وهذا لا ينسينى أبداً فضل (إذاعة صوت العرب) لأنها أطلعتنى على أحدث الإصدارات العربية، فقد كنا نقدم برنامج اسمه قصة عربية وهذا البرنامج كنا نقدم من خلاله (القصة) لكل كتّاب الوطن العربى، فلصوت العرب أكبر الفضل في اطلاعى على الثقافة العربية، فمن سوريا قدمنا د. عبدالسلام العجيلى فى القصة، وكنا نحن أول من قدم (ثلاثية نجيب محفوظ) قبل تقديمها فى أى مكان آخر، وأذكر بمناسبة ذلك أننى قد طلبت أجراً خاصاً عن ذلك، وقد وافق عليه أ. أحمد سعيد وكان وقتها أجراً ضئيلاً.

● عمومًا قيمة نجيب محفوظ لا تُقدر بمال وكان صوت العرب أول من قدم إعدادًا دراميًا للثلاثية.

- أنا أخرجت بين القصرين وقصر الشوق، والمرحوم حسن الإمام أخرج السكرية، لأننى قد عدت لموطنى الأصلى (البرنامج الثانى).

● **نعم، يُطلق عليه الآن (البرنامج الثقافى).**

● **أديبنا بهاء الطاهر أنت بعد هذه الفترة تركت الإذاعة وابتعدت عنها عام ١٩٧٥ لأسباب سياسية، فاضطررت أن تترك مصر وتذهب إلى جنيف.**

- ذهبت إلى جميع أنحاء العالم، فمكثت فترة أربع أو خمس سنوات مُبتعداً، وعملت مترجماً فى المنظمات الدولية، وسافرت إلى الهند والسنغال واستقر بى الحال فى جنيف حيث عملت فى الأمم المتحدة لمدة خمسة عشر عاماً.

● **أنت مهتم بالأدب وقارئ نهم وروافد الأدب لديك متشعبة، فلماذا دخلت قسم التاريخ بكلية الآداب ولم تلتحق باللغة العربية؟**

- الالتحاق بالأقسام فى كلية الآداب كان بناء على الدرجات العالية، وخاصة أننى كنت حاصلاً على درجات عالية فى اللغة الإنجليزية، ولكنى مع ذلك دخلت قسم التاريخ، ولم أندم لحظة على ذلك، فقد تعلمت على يد أساتذة فضلاء - رحمة الله على مِن مات منهم - أ. د. أحمد أنيس تاريخ حديث، د. شفيق غربال كان يدرس لنا تاريخاً وسيطاً وعبداللطيف أحمد على ومحمد صقر. كان يدرس لنا صفوة الأساتذة، والحقيقة أنا مدين لهذه الفترة التعليمية لأنها أثرت ثقافتى كثيراً وساهمت فى تكوينى الشخصى.

● **نريد أن نمر سريعًا على خطواتك الحياتية لكى نتعرف بعد ذلك على إبداعاتك الأدبية، أنت بعد أن أنهيت دراستك بكلية الآداب هل التحقت بعدها للعمل فى الإذاعة؟**

- أنا كنت أعمل قبل التخرج مترجمًا، فعملت وأنا طالب بالترجمة لظروف مادية، ثم تخرجت وأعلنت الإذاعة عن امتحان، فالتحقت بإذاعة صوت العرب. وقبلها كنت بالبرنامج الثانى مع الرائد الإعلامى (سعد لبيب) ومكثت بصوت العرب ثلاث سنين. قدمت خلالها (البخلاء)، وأخرجت مسرحيات عالمية وكتابات جديدة ومع الأدباء والشعراء، وعملت عشرات البرامج وبريد المستمعين. برامج كثيرة سواء فى البرنامج الثانى أو إذاعة صوت العرب.

• دعنا نتحدث عن هذه التجربة الهامة فى حياة بهاء طاهر الأدبية، وهى تجربة (الغربة) وتجربة احتكاك المثقف والمبدع العربى والشرقى بالمجتمع الغربى والحياة فى الغرب.

وهذا الخط موجود فى الأدب العربى مرورًا برفاعة الطهطاوى، وتوفيق الحكيم وعصفور من الشرق، ويحيى حقى وقنديل أم هاشم، والطيب صالح وموسم الهجرة إلى الشمال، والعلاقة بين الشرق والغرب دائمًا فى تصارع فمعظم الكتابات كانت عبارة عن نظرة انبهار بهذا المجتمع وجئت أنت وقدمت نظرة مختلفة تمامًا، فأنت حللت هذه النظرة وقلت بأنها نظرة شك بين (الشرق والغرب) وأنه يوجد حل لهذه النظرة (بوحدة الإنسان وحرية الفرد فى المجتمع. نود الحديث عن هذه النظرة وهذه التجربة وعن رؤيتك للعلاقة بين الشرق والغرب.

- كما أشرت يا أ. أمينة، فالفترة الزمنية لها دور، فقد كتب (يحيى حقى والحكيم فى فترة زمنية مختلفة عما كتبت أنا فيه.

فالظروف التى خرج منها هؤلاء مختلفة عن الظروف التى خرجت أنا منها، فالحكيم خرج من دراسته لفرنسا، ويحيى حقى كان يعمل دبلوماسيًا، وكانت نظرتنا وعلاقتنا بالغراب هى (التحرير) وكيف نتخلص من ذلك الاستعمار الجاثم على أنفسنا، ولذلك نرى أن الصراع بين الشرق والغرب متمثلاً فى محاولة إعلاء شأن الحضارة الشرقية على الغربية بما تتسم به من (روحانية)، (مثلما فعل يحيى حقى فى قنديل أم هاشم ،وكما فعل (توفيق الحكيم) فى رواية (عصفور من الشرق)، وهذا ما تم تجسيده لطبيعة هذه الفترة. والطيب صالح كتب فى فترة الصراع الدموى مع الاستعمار فى أفريقيا فكتب عن ثورة (الماوباو) والثورات الأفريقية المسلحة، ولذلك فأنت تجدين هذه الروح الغاضبة في كتاباته (موسم الهجرة إلى الشمال).

أما أنا فقد خرجت فى ظروف وأوضاع مختلفة فقد خرجت بعدما انتهت مرحلة الاستعمار المسلح ضد المجتمع الغربى وأيضاً خرجت وأنا فى سن الأربعين ولم أكن طالباً وكنت وقتها أعمل فى إذاعة البرنامج الثانى وكنت مطلعاً وقتها على ما يكتب عالمياً فى الأدب الأوروبى. فلم يكن هناك الانبهار ولا الانبهار الجديد، فأنا كنت على معرفة به، ولكن ليس معنى هذا أننى كنت أعلم ما هو هذا العالم، فالمعرفة من خلال القراءة تختلف عن المعرفة من خلال المعايشة الطويلة الأجل غير رؤية السائح. فلقد اكتشفت جوهر هذا العالم ولذلك لم أكتب إلا بعد سنوات عن تجربة الغرب وكانت أول قصة هى (بالأمس حلمت بك)، وقد لفت نظرى استمرار علاقة الهيمنة من الغرب على الشرق، ومازالت نزعة التحرر موجودة من قبل الشرق والانحياز السافر (لإسرائيل)، وأنا مازلت أرفض هذا الاستغلال من الغرب للشرق والانحياز السافر

لإسرائيل والصهيونية. ولكن بغض النظر عن هذا الموقف فأنا أتكلم عن الإنسان الغربى العادى وليس السياسة فلفت نظرى وحدة الهم الإنسانى فحزن الإنسان الأوربى لم يختلف عن الإنسان الافريقى وتجسيد هذا فى الأدب واحد، فأنا تكلمت عن أمرين فى وقت واحد: (غربة الإنسان الغربى فى مجتمعه، ولا سيما إن كان هذا الإنسان لديه درجة من الوعى تتيح له أن يرى العالم فى شموله. وهذا واضح فى رواية (الحب فى المنفى). فأنا أمثل الشخصيات الذين تجاوز وعيهم الحدود الجغرافية وأصبح وعى عالمى.

لقد تناولت أيضًا نوعًا آخر من الغربة فى روايتى (وقالت ضحى) و(بالأمس حلمت بك) الإنسان الغربى والشرقى معًا عندما يواجهان موقفاً واحداً يقتضى بالضرورة أن يكون رد الفعل واحد وهذا واضح جداً من رواية (بالأمس حلمت بك).

ولهذه الأسباب - (لكونى ذهبت للغرب فى مرحلة ما بعد التكوين ولكونى ذهبت فى مرحلة مغايرة لغيرى من أساتذتنا الكبار (حقى والحكيم) وغيرهم - ، فإن طبيعة المعالجة مختلفة ولقد انتبه إلى ذلك الباحثين فى دراساتهم.

● أنت ذكرت أنك فى فترة الغربة تعرفت على الأدب العربى أكثر. هل هذا يعتبر دفاعًا عن النفس فى غربتك المكانية؟

- بالفعل يا أستاذة أمينة لقد وضعت يدك على السبب الحقيقى فعلا، فأنا كنت فى مصر على اطلاع دائم بما يكتب فى الأدب العربى وحينما سافرت كان هدفى ألا تنقطع هذه الصلة بينى وبين الأدب العربى، وأن أقرأ كل ما يصدر فى مصر من ابداعات وكان هذا لا يمنع

قراءتى لبعض الأعمال الأوربية، ولكن كان تركيزى الأكبر على الإبداع العربى والشعر وأنا لا أحب قراءة الدراسات بل يهمنى قراءة العمل الإبداعى فى حد ذاته.

• فى تصورى إن لك استعمالاً خاصًا جدا فى اللغة. فلغتك يبدو أنها سلسلة جدًا وسهلة جدًا وفيها شاعرية كبيرة جدًا ولكن لا أحد يستطيع تقليدها فلغتك فيها عذوبة وتصل بسهولة فهل أنت واع لذلك وتعيه وتمارسه تلقائيًا أم أنك تعبت من أجل الوصول لذلك؟

- لقد تعبت كثيراً وأنا كنت قبل ذلك أقرأ ابن المقفع صاحب الأسلوب السهل والذى قال: (إن البلاغة هى التى إذا قرأها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها).

فالبساطة شىء صعب جدا وأنا تأثرت بأسلوب ابن المقفع وأسلوب محمد التابعى الكاتب الصحفى الكبير، والذى اذا فتحتى كتبه تجدين نفسك فى الصفحة الأخيرة، فهذه البساطة والسهولة والسلالة عند الجاحظ ويحيى حقى) . الذى لا أمل من ذكر اسمه - تفتننى. فأنا أكره الافتعال والتصنع، وإذا ذكرت بالبساطة مثل كتابات يحيى حقى فسوف أكون سعيداً جداً.

• هل أنت من الكتاب الذين يخططون بعقلانية شديدة يتركون أنفسهم لمزاجهم؟

- يا ليتنى فعلت. وإلا كان زمانى كتبت خمسين رواية فأنا لا أجبر نفسى لى الكتابة فأنا لا أستطيع مثلا كتابة رواية مسلسلة فى الجرائد، فالكتابه لها لحظات معينة يكون فيها الاستعداد النفسى فى ذروته وتلح

عليك شخصيات تريدين كتابتها، فأنا لا أستطيع ولا أعرف التخطيط لكتابة رواية ـ وهذا عيب وليس ميزة وهذا عيب ـ.

● إنها طريقة فقط للابداع وليست عيباً

ـ الرواية عندى كلية متكاملة ـ الإلحاح عليها والفكرة والشخصيات فكما يقول الفلاسفة إنها أشياء متكاملة وكلية وأنا حينما أقول بتأليف الرواية لا أفكر مسبقًا فى ذلك وإنما تتداعى الرواية والقصة أمامى فى نسيج واحد مترابط.

لوتحدثنا مثلاً عن الهم الذى بداخلك (الهم الوطن، وهم الأمه فنحن نجد جزءاً كبيراً من هم الوطن فى كثير من رواياتك وأعمالك ـ خاصة: (خالتى صفية والدير) وفى (قالت ضحى) و (حب فى المنفى) ـ تحمل بداخلها هم الأمة العربية كلها وخاصة الاجتياح الإسرائيلى بيروت عام (٨٢) ومجزرة صابرا وشاتيلا هذه الرواية لا يوجد أحد يقرؤها إلا ويتأثر بها. فكيف تسير بكل هذه الهموم دائمًا، من خلال الأدب.فهل تجد أن للأدب دور غير الإبداع، ولماذا يكتب الأديب؟ لماذا تكتب أنت؟

هذا سؤال هام جداً وأنا أكتب لأننى أشعر أن علىّ ديناً لأبناء وطنى، أن كل إنسان يحقق شيئًا عليه أن يردد هذا الدين لأبناء وطنه ـ، فأنا تعلمت وأتيح لى أن أطلع وأقرأ وأسافر، وهذه مكتسبات ـ ويجب أن أرد جزءاً من هذه المكتسبات لأبناء وطنى، فأنا غير مؤمن بفكرة الالتزام فى الكتابة، ولكنى مؤمن بأنه نوع من رد الدين لأصحابه فأنا اكتب لكى أرد هذا الدين لوطنى، فلقد تعلمت مجانا ووطنى قد أعطانى الكثير، وأنا أتصور أن رد الدين لا يكون من خلال الكتابة عن همومى

الخاصة لأنها لا تهم أحد وكم من رواية قد تركتها وعزفت عنها بسبب ذلك، وأنا غير ملتزم فى الكتابة ولكنى ملتزم بما أعبر عنه من خلال الوطن، وحينما أقرأ أى عمل أدبى فأنا أبحث عن الرسالة التى يريد توصيلها الأديب لقرائه.

● حينما نتكلم عن يوسف ادريس نعرف نه قد أثر فى معظم الروائيين والقصاصين، فهل استطعت أن تخرج من عباءة يوسف أدريس وكيف السبيل لذلك؟

(يوسف ادريس) كاتب عظيم وأنا فعلت ذلك بصعوبة شديدة جدا، وكم من كاتب قلد يوسف إدريس ووقعوا فى أسره وأسر نجيب محفوظ. ولكن من خلال الجمعية الأدبية التى تزعمتها حاولنا أن نتلمس السبيل لطريق جديد.

يوسف إدريس نفسه شهد بذلك بخروجك من عباءة كبار الأدباء وقال عنك (هذا كاتب بهائى طاهرى. ونحن فى هذا اللقاء سعدنا بك أديبا وكاتبا وإعلاميا كبيرا.

****

« حنا مينا »

أقف حائرة أمام ضيفى فهو بحرٌ عميق وهو بجانب كونه بحراً عميقاً فهو أيضاً ابن للبحر وابن للساحل. هو شاعر للرواية العربية، ينقلنا دائماً إلى عالمه الساحر الغامض الجميل بعلاقته المتفجرة بالطبيعة والتى تؤثر فيه وفينا وفى شخوصه المختلفة. هو واحد من أهم الروائيين العرب على الإطلاق، دائماً ما يخترق المألوف ويبهر القارىء الذى تكون روايته بين يديه. أبدع فى مجال الرواية العربية تسعًا وعشرين رواية مطبوعة، وله دراسات عديدة فى الأدب والتجربة الراوئية. كما أنه كتب العديد من الروايات عن سيرته الذاتية. بأختصار ضيفى هو الروائى العربى الكبير الأستاذ حنا مينا.

● أنا سعيدة جداً بأنى معك فى هذا اللقاء الذى طالما اشتقت له. فأنا من المعجبين بإبداعتك الأدبية فأهلاً بك فى حديث الذكريات وأنا أعلم مدى ثراء تجربتك الحياتية.

ـ شكراً وأنا سعيد أن أستعير بعضاً من الوقت من إذاعة صوت العرب. الإذاعة التى تربينا عليها فى الخمسينيات والستينيات وذلك أيام المد التحررى، أيام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر. لقد لعب صوت العرب دوراً مهماً في إيقاظ الشعب العربى فى وطنه الكبير. أما حديث الذكريات فهو حديث واسع وفضفاض ولكننا نستطيع أن نوجز فنقول: «إنى ولدت بالخطأ ونشأت بالخطأ وكتبت بالخطأ وهذا معروف عنى لماذا؟ لأن أمى المسكينة أنجبت ثلاث بنات، وفى ذلك الزمن قبل سبعين سنة، كان مطلوب أن يكون هناك صبى، وهى ابتهلت إلى ربها لكى يرزقها صبيًا وكنت أنا هذا الصبى. كنت عزيزاً، ناحلاً، كنت شمعة تهب عليها الرياح من الجهات الأربعة فلا تطفئها ولسبب ما قاومت هذه الشمعة. والمقاومة هنا كان لها سبب لأن حياتى كان لها قضية ولأجل هذه القضية ناضلت وانتصرت حتى على المرض. إذن جئت فى غير الوضع الملائم، جئت عليلاً وهذا هو الخطأ الأول وبعد ذلك نشأت وأصارحك بأننى كنت جائعاً وحافياً وعارياً ولم أذهب إلى مدارس إلا عند الصفوف الابتدائية، ولذلك وطبقًا لتكوينى كان من الطبيعى أن أبحث عن العدالة الاجتماعية، العدالة التى تعود بالخير وبرغيف الخبز على الفقراء، فتوجهت نحو النضال السياسى وقضيت شبابى فى النضال السياسى، وكان لى أيام الاحتلال حياة نضالية ضد فرنسا فدخلت سجناً وخرجت من سجن إلى سجن وعرفت المنافى ثلاث مرات وآخر منفى طال لمدة تسع سنوات لم أكتب خلالها حرفاً واحداً.

● كان فى الصين آخر منفى ؟

ـ تشردت فى أوروبا حتى وصلت الصين، عرفت الجوع وعرفت الأذى وعرفت كل شيء ممكن أن يعرفه الإنسان.

● هذا الجوع وهذه المعاناة وهذا المنفى والتشرد، هل عمق من رؤيتك الأدبية وجَعل أدواتك أعمق وجعلك ترين النفس البشرية بشكل آخر؟

ـ لاشك فى ذلك، أن يعيش الإنسان. يعنى أن يجرب وأن يجرب يعنى أن يخطيء، ومن الخطأ يتعلم. فإذن، أنا جربت الحياة بكل عمقها ورحابتها وأخطأت كثيراً واستفدت من أخطائى كثيراً ولكن لأمرٍ ما كنت قد بدأت فى كتابة الرسائل للجيران فى حى أمى، لايقرأ ولايكتب حى المستنقع فى روايتى «المستنقع» من ثلاثية السيرة الذاتية.

● فى مدينة اللاذقية ؟

ـ لا فى الإسكندرونة.

● يعنى البداية كانت فى الإسكندرونة ؟

ـ اللواء العربى الصليبى الذى أخذته تركيا إثر المؤامرة الدولية فى بداية الحرب العالمية أو قبل الحرب العالمية بقليل.

وأيضاً كنت أكتب العرائض لإصلاح طريق أو رصيف يعنى كنت أكتب المطالب الشعبية.

● كيف تعلمت القراءة والكتابة ؟

ـ قرأت كثيراً وبدأت كما قلت بكتابة الرسائل ثم العرائض.

● أنت لم تذهب إلى المدرس فى البداية ؟

ـ ذهبت حتى الصفوف الابتدائية وبعد ذلك عملت فى مهن كثيرة .

● مثل :

ـ كنت أجيراً عند مؤجر عجلات، كنت أجيراً فى صيدلية، كنت أجيراً ومربياً لأطفال، كنت حماك في مرفأ، كنت بحاراً على المراكب كما كنت حلاقاً، ثم كنت صحفياً ثم متشرداً فهى قصة طويلة .

● كل ألوان الحياة عاشها الأستاذ حنا مينا ؟

ـ لانريد أن نتذكر المآسى الجتماعية، يكفى الناس مشاكلهم . نحن لانريد أن نزيدهم مآسى .

● وسط كل هذه المعاناة وهذا التشرد وهذا الانتقال من مهنة إلى أخرى لكسب الرزق، لم تكن تكتب فى هذه الفترة إلا العرائض والرسائل ؟

ـ لالم أكن أكتب أبداً، أذكر أننى أول ما بدأت الكتابة كتبت مسرحية . وهذه المسرحية ضاعت، أنا لا أذكر اسمها ولا أين ضاعت ولكننى أذكر أنها كانت مسرحية اجتماعية أخلاقية عبر فيها البطل ـ الذى هو أنا ـ العالم فى ستة أيام ثم استراح فى اليوم السابع . من هنا بدأت الكتابة ثم كتبت القصة القصيرة والقصة الطويلة .

● متى انتقلت إلى اللاذقية ؟

ـ انتقلت إلى اللاذقية فى سنة ١٩٣٩ قبل الحرب العالمية بشهرين أو ثلاثة، وفى اللاذقية بحثت عن طريق لكسب العيش فعملت بائعاً

للصحف، ثم أجيراً فى مطعم ،ولكنى لم أجد أى عمل وعندئذ عملت أجيراً عند حلاق، وبعد ذلك فتحت دكاناً للحلاقة على باب ثكنة من الثكنات العسكرية أيام الفرنسيين، وهذه المهنة لم تعمر كثيراً بسبب إننى كنت أدخل السجون وأخرج منها فكان الزبائن يخافون أن يدخلوا دكانى وبعد ذلك تركت اللاذقية، وتركت دكانى الذى كان لايساوى شيئاً، وذهبت إلى بيروت أبحث عن عمل كأجير عند الحلاقين فلم أجد عملاً، توجهت إلى الشام، وعرضت نفسى على الحلاقين فلم يقبلنى أحد.

● لماذا؟ هل كان ذلك لتاريخك فى مسألة التنقل فى الأعمال أم لتاريخك فى دخولك السجون؟

ـ السجون لم تكن هى العائق فقد كنت مناضّلا، كنت أخوض المظاهرات ضد الفرنسيين وقت احتلال فرنسا لسوريا وذلك طلبًا للاستقلال وفى سبيل العدالة الاجتماعية، لم أختر أنا كل هذه المهن، لقد فرضت علىّ فماذا افعل؟ وعندما لم أجد فى الشام من يقبلنى أجيراً. ذهبت إلى إحدى الصحف التى بحاجة إلى محرر، فعرضت نفسى فسألنى صاحب الجريدة: هل تكتب أنت؟ فأجبت: نعم وعرضت عليه بعض القصص التى كنت كتبتها ونشرتها وأنا حلاق. فأجابنى: إن هذا لايهم، فهذا شيء والصحافة شيء آخر. عرض علىّ هذا العرض المجحف وهو أن أعمل ثلاثة أشهر بلا أجر، وأنا بلا منزل وليس عندى مورد رزق حتى الأكل، ومع ذلك قبلت، ولكن بعد شهر واحد استدعانى صاحب الجريدة وقال: أظهرت كفاءة، ولذلك فسوف نختصر الفترة التجريبية ونعطيك مائة ليرة فى الشهر، ففرحت جداً لأنه كان أول مرتب اتقاضاه فى حياتى. وقلت إذن: أعطينى عشر

ليرات على الحساب، أريد أن آكل. فقال: لا، أعطيك خمس ليرات فقط فأخذت الخمسة ليرات فرحاً.

● وهكذا دخلت إلى عالم الصحافة المختلف عن عالم الأدب؟

- بمسعى منى فى عام ١٩٥١ مع بعض الأدباء فى سوريا أنشأنا رابطة الكتاب السوريين ثم فى أيلول (سبتمبر) من عام ١٩٥٤ بعد زوال حكم الشاتلى، ساد شيء من الديمقراطية، فعقدنا فى إيلول مؤتمراً دعونا إليه معظم الكتاب العرب، ونحن لا نملك أموالاً، فذهبنا نسأل المتبرعين، وجمعنا بعض المال، وأرسلنا زوجاتنا وأولادنا إلى أهلينا وهيأنا منازلنا لاستقبال الأدباء والكتاب الذين سيأتون إلينا. أذكر منهم المرحوم يوسف إدريس وأسعد حليم ومارون حمود من لبنان وبدر شاكر السياب من العراق وأيضاً عبد الوهاب البياتى، وعلى ما اعتقد فلقد اشتركت كل البلاد العربية فى هذا المؤتمر.

● هل كنت بدأت الرواية يا أستاذ حنا؟

- لم أكن قد كتبت الرواية.

- ولأن المؤتمر كان كبيراً ومهماً، فقد تحول إلى رابطة الكتاب العرب، فصار مثلاً بدر شاكر السياب يكتب قصيدة أو مقالة يذاع تحتها بدر شاكر السياب عضو رابطة الكتاب العرب، وكذلك فعل يوسف إدريس وحنا مينا، وتنبهت الدول العربية إلى خطر هذا التجمع الثقافى العربى وأخذت المبادرة وانتزعت المؤتمرات من أيدينا فكان فى تلك السنة أو مؤتمر للأدباء تقيمه دولة ويصبح رسمياً، يصبح فى يد السلطة

وذلك المؤتمر هو مؤتمر الأدباء في برمانه في سوريا، والمؤتمر الثاني عقد في بلودان في سوريا. وهكذا تحولت المؤتمرات التي هي من صنعنا نحن الكتاب إلى مؤتمرات تساعد.الأدباء ولكن تحتويها السلطة وليس هذا هدفنا.

فعلى الكاتب أن يكون مستنفراً ضد الواقع وليس قابلاً لهذا الواقع.

إذا كنت في مؤتمر تنفق عليه السلطة وتحتضنه السلطة فلابد أن يتحدد الكلام فيه لما يرضى السلطة، أو ربما لايغضبها على الأقل. في الحقيقة هذا المشروع الذى كان حلمي أفلت من يدى ومن يد إخواني وزملائي الكتاب الكبار هو في الحقيقة شكل من أشكال البدايات في حياتي الأدبية وفي عام ١٩٥٤ صدرت روايتي «المصابيح الزرق»، وقد استقبلت بحفاوة كبيرة، وخاصة من كبار النقاد في مصر مثل محمود أمين العالم، وعبد العظيم أنيس، وأسعد حليم ونقاد آخرين.

وفي هذه الة بالذات صدرت رواية «زقاق المدق» لنجيب محفوظ ورواية الأرض للشرقاوي واعتبرت الروايات الثلاثة روايات تتجه نحو الواقعية كدليل على التحول من الرمزية والرومانسية التي كانت على رأس الرواية العربية وكان من أبرز كتابها عبد الحليم عبد الله وتحولت الرواية من الرومانسية إلى الواقعية بظهور الروايات الثلاث.

● أستاذ حنا أليس مستغرب إنك لم تكتب مطلقاً وتفاجيء الأوساط الأدبية والقراء بعمل كبير مثل «المصابيح الزرق» ؟

ـ الصراحة إنها لم تفاجيء العالم إلا قليلاً، وكانت عبارة عن علامة وكان فيها تقريرية ومباشرة. نعني بذلك أننا نجيد التجريب ما

لم يكن هناك مفاهيم روائية أو نظريات روائية مترجمة. جربنا فنحن نجيد التجريب وتعلمنا على أساتذتنا ومنهم نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم وشكيب الجابرى من سوريا وتوفيق الحواس صاحب رواية «الرغيف» من لبنان.

○ وكنت لاتزال تعمل فى الصحيفة التى تعمل بها؟

ـ كنت مازألت أعمل فى الصحيفة، وانتقل من صحيفة لأخرى لأن الصحيفة كان بها محرر مساعدة وهى بأربع صفحات، وقد كتب عنى المرحوم المفكر الكبير «حسين مروة» الذى اغتيل فى لبنان، كتب عنى بعنوان «زاوية» فى جريدة «الحياة» فى ذلك الوقت. كتب أديب فى محرقة لأن الصحافة فى ذلك الوقت كانت محرقة. ولكنى لم أحترق كتبت «المصابيح الزرق» واستقبلت بحفاوة طيبة.

وبعد ذلك بسنتين حدث العدوان على مصر وكان هناك إخوة من الصحفيين المصريين فأصدرنا جريدة «الجمهورية» من دمشق وفجر السوريون خط النفط العراقى البريطانى الذى يمر عبر سوريا وكان هناك حشود تركية أيضًا. وقد شكل العدوان الثلاثى منطلقاً لتفجير شجاعة وإقدام ومهارة البحارة العرب، وأنت تعرفين أن «چول جمال» البحار السورى فجر للعدو بارجة وكان هذا الإنسان فى هذا العمل بطلاً، وعندما سمعت بهذه البطولة استيقظت فى ذاتى كأنما من بئر مهجور تصاعدت ذكريات كانت هاجعة فى الأعماق. فتذكرت البحارة وتذكرت أننى عملت فى البحر وأحق من غيرى من أن أكتب عن البحر والبحارة وعندئذ بدأت فى كتابة روايتى المشهورة جداً «الشراع والعاصفة» هذه التى أطلق عليها النقاد اسم الملحمة أو قصيدة البحر أو

ملحمة البحر، ولكن هذه الرواية لم يكن لها حظ الصدور فى وقت كتابتها، تأخر صدورها عشر سنوات. لماذا؟ لأنه كان هناك وحدة بين مصر وسوريا وباعتبار أننا تقدميين اعتبرونا كواجهة لحزب سياسى غير مقبول.

● أنت كنت منضم للحزب الشيوعى؟

- نعم، كنت منضماً للحزب الشيوعى، وأعضاء الرابطة كانوا من انتماءات مختلفة ولكنهم حلوا الرابطة كما حلوا الأحزاب وطاردونا نحن، وكنت فى ذلك الوقت خارج سوريا، وعشت سنة ونصف فى لبنان ثم ذهبت إلى سويسرا وحاولت أن أحصل على عمل وتشردت طويلًا إلى أن انتهى بى المطاف إلى الصين وعشت فى الصين خمس سنوات.

● كتبت أثناءها ولا بعدها ثلاثية الصين؟

- لا، أثناء هذه السنوات التسع لم أكتب حرفاً واحداً.

● ماذا كنت تفعل بحنا مينا الأديب؟

- كنت أحس أننى نبتةٌ لفحتها ريحٌ شموم وأذبلتها أشعة الشمس لأنها نقلت من تربتها إلى تربة أخرى. ولكنى لم أكتب فى هذه الفترة.

وفى إيلول (سبتمبر) من عام ٦٧ وكنت آنذاك فى المجر، وكانت حرب الطيران، هذه النكسة الفظيعة، والهزيمة المدوية. وكنا نجتمع ونستمع إلى الأخبار وعندما أعلن الرئيس عبد الناصر استقالته بكينا بدموع النساء. وكانت سعادتنا كبيرة عندما عاد عبد الناصر ولم يستقل وبكينا مرة أخرى عندما كان ضرورياً أن يكون حياً حتى يتابع هذا المد

التحررى ومع الأسف تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن فرحل عبد الناصر يرحمه الله.

● متى عاودت الكتابة الأدبية، أنت توقفت تسع سنوات متى كتبت مرة أخرى؟

- رجعت إلى سوريا وكنت اشتغل قبل ذلك فى الصحافة، وكنت مراسلاً لمجلة «المساء»، ورئيس تحريرها خالد محى الدين. كنت أنا مراسلاً لهذه المجلة فى دمشق. لكننى لم أعد إلى الصحافة، وفى الحقيقة أيضًا لم يعرض على أحد أن اعمل فى الصحافة، ومن أجل أن أعيش استأجرت چراچًا لكى أعمل حلاقاً كما كنت. ولكن كان لى صديق يعمل مديراً عاماً للإذاعة والتليفزيون، وكان اسمه عطية الجودى، أرسل إلى قائلاً: «تعال إلى دمشق وجئت وقال: أريد منك أن تحول روايتك «الشراع والعاصفة» إلى مسلسل إذاعى. فقلت له: لا أعرف كيف أكتب المسلسل الإذاعى فقال: تعلم فذهبت إلى صديقى «معين بسيسو» الذى كان يشتغل بجريدة «الثورة»، وقلت له يا معين: أريد أن أتعلم كتابة المسلسلات الإذاعية فأعطنى بعض الأفكار وقال لى جرب، فذهبت وعدت بعد عدة أيام ومعى ثلاث حلقات فقرأها وقال لى أنت ستكون جزار المسلسلات الإذاعية بعد الآن وهكذا قضيت سنتين فى كتابة المسلسلات الإذاعية ما بين فصيح وعامى.

● هل كانت هذه الكتابة الإذاعية لأعمالك فقط أم لأعمال الأدباء الآخرين؟

- كانت معظم هذه الكتابات لأعمالى. كنت أحول أعمالى إلى مسلسلات. لقد كتبت مسلسل بعنوان «البركان» عن الثورة السورية ثم

كتبت مسلسلاً باللهجة السورية الدارجة. كتبت العديد من الروايات خصيصاً للإذاعة. كان بعض الناس يريدون أن يكتبوا مسلسلاً إذاعياً فكانوا يكتبون خمس حلقات ثم يضيع الخيط منهم. فيأتون إلىّ ويقولون: أكمل لنا هذا المسلسل ونعطيك أجراً حسناً فأنا كنت لا أكتب المسلسلات فقط بل كنت أيضاً أصلحها.

● كل هذه التجارب يا أستاذ حنا؟

ـ نعم.

ـ كان وزير الثقافة (سهيل القذى وكانت د/ نجاح العطار، والتى كانت تعمل بالوزارة إلى أن أصبحت وزيرة كانت تشتغل فى ميدان التأليف والترجمة، وسألها وزير الثقافة: هناك شخص اسمه حنا مينا وكان قد قرأ روايتى «الشراع والعاصفة». وقال أحد أعضاء لجنة التأليف والترجمة وهو إحسان حسنى: هذا هو (هامبيل العرب)، وعلى هذا الأساس نقبل أن يأتى ويعمل، وهكذا عملت فى الوزارة وكانت هذه أول مرة أعرف الوظيفة بعد الـ ٤٥ من عمرى. ولكن بعد عودتى تفجر كل ما كان مكبوتاً فى صدرى . فبدأت أربع روايات دفعة واحدة وكنت أشتغل كالمجنون. كنت أتفجر، وكان علىّ أن أنظم وقتى وأنتهى من رواية بعد رواية. أما عن رواية «الياطر» والتى صارت شهيرة وطبعت خمس عشرة مرة، كما ترجمت إلى الفرنسية. وهذه الرواية لها قصة، فى ليلة رأس السنة ذهبت إلى مسبح «چول جمال» فى مدينة اللاذقية وكنت أنا عاشق للبحر، ذهبت إلى هناك نصف الليل والريح باردة شديدة البرودة. قررت أن أنزل وأسبح فى البحر. ولم تنفع النصائح ولم تكن هناك مناشف فى هذا المساء وكان المسبح مغلقاً فى الشتاء فحصلت

على مايوه ولبسته ونزلت فى البحر ووقعت فى ورطة شديدة إذ ارتفعت إلى فوق الماء الريح تلسع جلدى وإن غسطت فى الماء، تصبح الماء كالكرابيج تنهش فى هذا الجسد النحيل. حاولت أن أعود إلى الشاطىء ولكن الريح قذفتنى بعيداً. يعنى باختصار أمضيت ليلة رأس السنة والبحر يطاردنى وأنا أطارده ،وكان هذا الموقف هو المبارزة الثالثة أو الرابعة بينى وبين البحر وأعترف أن البحر انتصر علىّ، لأنه قذفنى إلى الشاطىء لانفع منى ولاضرر، بين الموت ،والحياة فالتقطونى وذهبوا بى إلى المستشفى وبعد ذلك شفيت.

وفى اليوم الثانى على مرور هذه الحادثة، استيقظت وأسرعت إلى القلم والورق وبدأت فى كتابة الياطر»، مصادفة عجيبة وغريبة، أنا لم أفهم إلى الآن ما هو الدافع بعد ليلة عاصفة ومريرة ألا أكمل روايات تنتظر الإكمال وأختار أن أكتب رواية جديدة بعنوان «الياطر». «الياطر» هو الهلب عندكم فى مصر وهو يعنى مرساة السفينة، هذا هو الجزء الأول الذى صار شهيراً، وفى الحقيقة لقد وعدت أن أكتب الجزء الثانى ومنذ ثلاثين عاماً لم أكتب هذا الجزء الثانى لأن اللياقة التى كنت عليها قبل ثلاثين سنة لم أعد أمتلكها، وناشرى د/ سهيل إدريس صاحب دار الآداب التى تنشر رواياتى يسألنى كل يوم: يا حنا، هل بدأت فى كتابة الجزء الثانى من «الياطر». أذكر لك أن أميرة من دول الخليج أرسلت إلىّ مندوبة قالت لى: إن الأميرة معجبة برواية «الياطر» وهى تريدها إهداءً لها، فكتبت شيئًا لايضر ولاينفع وبعد مدة رجعت إلىّ المندوبة وهى تقول: كم تريد لكى تكتب رواية مثل «الياطر» وهكذا انتقلنا من أسلوب الجاهز إلى التفصيل، وأنا لا أكتب تفصيلًا وقلت لها: شكراً.

ـ أنا مجنون على طريقتى، ولن أكتب هذا الجزء حتى يفرجها ربنا، ويبدو أن الرب لم يساعدنى حتى الآن حتى أكتب هذا الجزء من «الياطر».

● ولكنك أبدعت أعمالاً أخرى كثيرة فأنت كتبت ستًا وعشرين رواية ؟

ـ بعد دخولى وزارة الثقافة فى عام ١٩٦٩، أكملت كتابة الروايات والقراءات والكتب. أقرأ هذا الكتاب وأضعه على الفراش أو على الكوميدينو وبعد ذلك وجدت أن ذلك غير معقول، يجب أن أتم قراءة الكتب التى بدأت بها وأتم كتابة الروايات التى بدأت بها وأنظم حياتى وأتخلص من هذا التفجر وهذا الجنون، وهكذا بدأت أنهى رواية بعد رواية إلى أن وصلت إلى هذا العمر المتقدم، ونحن لانزال فى هذه الخميلة الجميلة، خميلة الرواية، هذه اللعنة الكبيرة التى تسمى الرواية والتى أتعذب كى يوم من أجل أن أكمل الكتابة فيها.

● كيف تأتيك الرواية ؟

ـ أنا عشت الحياة بعمق، وكنت أزعم فى يوم أن التجارب منقوشة على ظهرى. كنت أقول إن الناس تلهث وراء التجارب أما أنا فالتجارب هى التى تجرى ورائى. وجدت بعد سنة أن هذا الإدعاء كاذب لأن نصف ظهرى لم ينقش عليه أى تجربة ومن أجل ذلك أنا أغامر وأخطىء وأتعلم من أخطائى وهكذا يمتلأ ظهرى شيئًا فشيئًا بنقوش التجارب وربما يبقى فارغاً فى سفينة اللاعودة.

● هذه التجارب هى التى جعلتك تكتب ؟

ـ هى قدمت لى مادة مطواعة، مادة حديثة قائمة على التجربة والمعاناة. أنا لا أكتب إلا ما رأيته وعشته. فأنا رأيت البحر وكنت بحاراً ورأيت الغابة، وكنت قد عشت فى الغابة ورأيت الجبل وكتبت عن الجبل وكتبت عن الثلج لأننى كنت أقضى حياتى وأضيع فى عواصف ثلجية فى جبل «فتوشا» فى بلغاريا ووصلت إلى مرحلة قد تجمدت فيها والعاصفة الثلجية تغمرنى شيئًا فشيئاً وكانت معى صديقة هى التى أصرت أن تبقى معى حتى نموت مع بعضنا وظلت تدفعنى قليًلا حتى وجدنا مكاناً نلتجىء إليه. وهكذا عرفت أنا الحياة. أنا لا أعيب الكتابة عن الحياة الاجتماعية البسيطة. فمثلاً بهاء طاهر كتب رواية «خالتى صفية والدير» وكان فيها جميًلا جداً. فهناك العديد من الروايات التى تتحدث عن العلاقة بين الرجل والمرأة والزواج والطلاق وكل هذا ولكنى اخترت لنفسى طريقًا آخر. أن أكتشف البحر والغابة والجبل والثلج.

• علاقتك القوية بالطبيعة، هل هى علاقة عضوية أيضاً؟

ـ من البحر أخذت أصابعى وحروفى، ومن الغابة أخذت نضارة الخضرة التى تمدنى بالحماس.

• هذه العلاقة القوية المتفجرة بينك وبين الطبيعة هل تعتبر جزءًا من حيوتك؟

ـ الوظيفة لاتتلاءم مع الكاتب، الكاتب عليه أن يعيش بين الناس والوظيفة تجعله يعيش بين أربعة جدران.

● رغم أنك محتفظ بالوظيفة إلى الآن وتعمل فى وظيفة رسمية ؟

ـ مرغم صديقك لابطل. على أية حال فأنا أعمل فى وزارة الثقافة وهو محيط ثقافى، كل شيء فيه مرتب وجيد وناجح. ولكن أنا أكتب فى الليل وأكتب إلى وقت متأخر بالليل. لا تسأليني كيف كتبت ومتى كتبت وكيف انجزت هذه الروايات، وكيف تنجز الروايات الأخرى لأن هذه الأشياء لا أعرف كيف أنجزتها. أنا نصفى عاقل ونصفى مجنون وأحب نصفى المجنون أكثر.

● هل النصف المجنون هو النصف الأكثر إبداعاً ؟

ـ الإبداع لايعيش إلا على القلق، والحب كذلك لا يعيش إلا على القلق. لا شيء يقتل الحب والإبداع إلا الطمأنينة. إذا دخلت الطمأنينة فى هذين المجالين قتلت الإبداع وقتلت الحب أيضاً. لذلك أنا لا أضيق بالقلق وأعيش حتى الآن بالقلق وآخذ كمية كبيرة من المهدئات وإلى الآن، أنا أبارك هذا القلق. أباركه لأنه يتيح لى إمكانية أن أحيا وأعيش وأكتب وأن أحتفظ بشيء من الحيوية برغم هذا السن المتقدم.

● ضيفنا الكبير الأستاذ حنا مينا، هل لى أن أسألك لماذا تكتب، وما هو هدفك من الكتابة ؟

ـ هدفى أن أمنح الرؤية للناس، أن أفتح عيون الناس على الحقائق من حولهم، أن أدعوهم للنضال من أجل التحرر الوطنى ومن أجل التقدم الاجتماعى؛ لأن بلادنا تحتاج إلى عدالة. ثم لكى نوقظ الأرض كما فى رواية «الشمس والمغايب». الراقص كان يدق الأرض، لابنته النائمة ليوقظها. أنا أكتب أيضاً لكى أجعل هذه الأرض تستيقظ، لكى

أجعل الكائنات كلها من حولى تفتح عينيها، ترى ما حولها،، تسأل من أين جئت؟ ولماذا جئت؟ وأين أسير؟ وما هو المصير؟ الأدب وظيفته أن يسأل الأسئلة ومن حسن الحظ أننى أمتلك أداة التوصيل فى أعمالى. لايمكن للقارئ أن يقرأ رواية لى ثم يتركها. الرواية تأخذه بعيداً ولذلك ذكرت اننى أملك أداة التوصيل بشكل جيد.

ـ أما لماذا أكتب؟ لأن لدى ما أقوله للناس، وما أقوله فى صالح الوطن وفى صالح الشعب وفى صالح العدالة الاجتماعية.

● أديبنا الكبير الأستاذ حنا مينا، عندما نقرأ أدبك البديع نشعر بحنا مينا فى أحد شخوص الروايات، هذا بجانب أنك كتبت سيرتك الذاتية فى الثلاثية، ولكن بجانب هذه الثلاثية نحن دائماً نستطيع أن نضع أيدينا على شخصية حنا مينا، فى كل رواية تكتبها يكون هناك جزءًا ذاتيًا منك أنت شخصياً؟

ـ لماذا تسألون عن هذه البطلة فى رواياتى، من هى ومن تكون؟ وتسألون عن البطل فى هذه الرواية، من هو ومن يكون؟ الحقيقة لابد للمؤلف كمبدع من أن يكون هناك شيئًا بسيطاً جداً من خصال شخوصه، ولكن الكاتب ليس هو البطل، وأنا لا أتناول من الحياة الشخصيات الجاهزة فهذا يقتل الإبداع. أنا اخذ نطفة من الحدث ثم تنمو مع الصياغة وآخذ شخصيات من الحياة تنمو وتكبر حتى تصل إلى مصائرها.

نحن على أرض الواقع ولكن يجب، أن نضيف الفن من خلال الخيال والتخييل والابتكار، وإلا لكان تقرير خط السير فى حد ذاته قصة

أو رواية. الفرق هنا أننا نضيف إلى الواقع الفن. نضيف الخيال والتخييل والابتكار. وهذه القضية ليست هى بالقضية السهلة. لذلك أنا أقول، إن الكتابة هى اللذة والخطيئةوالكارثة الكبرى وأنا لا أعرف متى سأتخلى عن الكتابة ومتى سأعتزل الكتابة ولكنى أجد السبيل إما إلى الموت وهو الراحة وإما إلى الانعتاق من أسر الورق والقلم.

• فى إحدى المرات ذكر الأديب نجيب محفوظ سنة ١٩٤٥ أن الرواية هى شعر الدنيا الحديث والنقاد يقولون: إن الرواية ديوان العرب؟ الحديث ونظراً لكونك من أكبر الروائيين العرب، هل ترى أن الرواية هى ما يلتف حوله الناس وهى بالفعل ديوانهم؟

ـ بصراحة أقول، إن أول من قال هذا الكلام وتنبأ بأن الرواية ستكون ديوان العرب كان حنا مينا فى عام ١٩٨٢. فى حديث صحفى قلت: إن الرواية ستكون ديوان العرب فى القرن الحادى والعشرين. الرواية أصبحت ديوان العرب. الرواية أصبحت تتقدم الأجناس الأدبية ليس فقط فى المحيط العربى. بل فى العالم شرقاً وغرباً، وذلك لأن القصيدة تقدم لحظة الانفعال بينما الرواية تبنى عالماً بأكمله فيه الأمل والطموح.

• أستاذ حنا مينا، أنت كتبت الكثير من الدراسات النقدية خاصة أنك كتبت سلسلة من الدراسات النقدية فى القصة القصيرة فى إحدى الصحف، أنت أيضاً كتبت سيرتك الذاتية وأيضاً كتبت ثلاثية من أجمل الإبداعات الأدبية هى ثلاثية الصين والغريب أنك لم تكتبها فى الصين ولكنك كتبتها حديثاً بعد أن تركت الصين بسنوات عديدة؟

ـ الرواية لاتكون بنت ساعتها. الرواية تحتاج إلى وقت كى تختمر وتنضج. ثم كان علىّ أن أنجز روايات أخرى. الرواية الثلاثية تبدأ برواية عنوانها «حدث فى بيتاخو» وهو مصيف صينى على المحيط الهادى. البطل «زبيد» يعيش بين الأجانب الذين كانوا يأتون للصين ليعملوا كخبراء فى شتى المجالات باعتبار أن الصين فى عام ١٩٤٩ قد تحررت وتوحدت نهائياً. بعد هذه الرواية التى لقيت قبولاً جميلاً كان هناك الجزء الثانى ورواية بعنوان «عروس الموجة السوداء» ثم الجزء الثالث صدر باسم «المغامرة» الأخيرة» بهذا الشكل أنا أعتبرها نوعاً من أنواع اكتشاف المناطق المجهولة. أن أجعل القارىء فى هذه الرواية لايذهب إلى الصين بل تأتى الصين إليه. أنا وضعتها فى كف القارىء يراها ويرى ما كان سائداً فى تلك الأيام من جمود عقائدى وتحجر مذهبى وهذا الخلاف السوفيتى الصينى الذى كان سائداً. ما فعلته هو رؤية أيضاً من خلال حياة عربى يعيش فى الصين، وكذا فقد اكتشفت منطقة مجهولة فى أقاصى الدنيا وقدمت للقارئ حياة غريبة وعجيبة هى حياة الصين بكل ما تزخر من حضارة عريقة ومذاهب غريبة من الكنفوشية إلى البوذية. وفى هذه الثلاثية أيضاً لا ابتعد كثيراً لأن الحدث الروائى فى الثلاثية يدور على شاطئ البحر أيضاً، فأنا دائماً قريب من البحر لا أستطيع الابتعاد عنه.

● هل ربط بعض النقاد بين أدبك وأدب چوزيڤ كونراد لأنه أيضاً كان يحتفى بالبحر؟

ــ لا أعرف ولكنى أذكر الكاتب صالح مرسى كاتب رواية «رأفت الهجان» أرسل لى تحية وأخبرنى أنه كان بحاراً، وأنا أعلم أنه كتب

رواية أو روايتين عن البحر وربما كتب بعض الأقاصيص. إذن فى بحثى عن المجهول ومحاولة اختراقه ثم استعادته فى قالب روائى أو قصصى، كان علىّ أن أوجد فى الأدب العربى ما يسمى أدب البحر لأنه موجود ولأنه ركن أساسى من آداب العالم. وروايتى «الشراع والعاصفة» ترجمت إلى الإيطالية وفى عام ١٩٩٣ بعد صدورها بسنة أو سنتين نالت جائزة أفضل رواية ترجمت إلى الإيطالية والاحتفاء بها لأنها تتحدث عن البحر وقصيدة البحر. إذن فأدب البحر هو ركن أساسى فى الأدب العالمى من «العجوز والبحر».

وضعت هدفاً أمام عينى هو أن اكتشف المناطق المجهولة التى لم يكتب عنها الروائيون الآخرون. وأنا فى هذه المناسبة أدعو الروائيين الشباب أن يغامروا، ألا يخافوا الجياة، ألا يخافوا الموت، وعن طريق المغامرة ومجابهة الحياة وجعل الحياة تخاف منا لأننا نخاف منها، بهذه الوسيلة يمتلكون التجربة والمعاناة ويخرجون من دائرة ضيقة إلى عالم رحب كبير ملىء بالأحداث. نحن قضيتنا ساخنة، نحن بلد نزدحم بالقضايا الساخنة التى نتناولنا من كل جانب، قضايا النضال ضد أعداء خطرين وشرسين هم الصهاينة أو إسرائيل وأيضاً أمريكا التى بغير منطق تريد أن تضرب العراق لماذا؟ لأنه لم ينفذ قرارات الأمم المتحدة وفى نفس الوقت، إسرائيل لاتنفذ العديد من قرارات الأمم المتحدة ولكنها لاتتخذ ضدها أى قرارات تعسفية، وهذا ما نسميه الكيل بمكيالين وقال هذا الكلام الرؤساء العرب جميعهم، ولكن على ما أظن الضربة لن تكون سهلة. وعلينا فعلاً أن نناضل وانتم فى مصر، ناضلتم أيضاً على مدى تاريخ يمتد إلى عشرين عاماً. الغزو الثقافى، وثبتم فى الميدان ولم يستطع العدو الإسرائيلى الذى أبرمتم معه اتفاقية «كامب ديفيد»، أن

يدخل إلى النسيج الثقافى المصرى. نضال المثقفين المصريين فى الوقت الحاضر هو قدوة للمثقفين العرب فى جميع الأماكن العربية، وهذا لا عجب فيه، لأننا فى الأصل تتلمذنا على أساتذتنا من الكتاب المصريين الذين صنعوا نهضة ثقافية لم تتم لأن النهضة الصناعية المصرية لم تتم لأنها كانت تابعة للمركز الرأسمالى. تأخرت النهضة الصناعية ومعها النهضة الثقافية، النهضة التى كان فيها أحمد أمين وطه حسين وعبد الرازق وسلسلة طويلة من الأدباء.

نحن فى سوريا أعدنا طباعة جميع الكتب التى تتحدث عن حوارات النهضة لماذا؟ لكى نستأنف هذه النهضة التى تقرب اليوم الذى يكون فيه مد تحررى ثورى يغير الأوضاع القائمة ويمتلك القوة الكافية لردع الأعداء وهذه القوة موجودة فى البلدان العربية ولكن الذى ينقصها هو التضامن والتنسيق والوحدة. إذا كانت الوحدة كمثل أو كحلم نبيل ثورى لانستطيع الآن تحقيقه فعلى الأقل نتضامن ونأمل خيراً إن شاء الله.

● عودة مرة أخرى إلى أدبك وعلاقتك بالبحر، هل علاقتك الآن بالبحر كإنسان مازالت قائمة ولا المشاغل أبعدتك قليلاً عن البحر؟

ـ الهموم الأخرى لم تبعدنى عن البحر، إنما أنا اعتزلت البحر. وهذا سجلته فى روايتى «الرحيل عند الغروب» كنت أيامها فى البحر وكان معى ابنى «سعد مينا» الممثل المشهور كنا فى البحر معًا وحاولت أن أقذف به إلى البحر كما كنت أفعل ولكنى لم أستطع فلقد صار شاباً.

بدلاً من أن أمسك به، أمسكنى هو وألقانى ثم غطس تحت الماء وأنا مشهور بطول النفس إلا أننى لم أستطع اللحاق به. ووقفت عند الغروب وتأملت وقلت: يا حنا أنت لم تعد ذلك البحار، ودع البحر ومع ذلك الغروب رحلت عن البحر وودعته وكان وداعاً أخيراً.

● ماذا كتبت بعد ذلك؟

- كتبت روايات كثيرة، كتبت «الولاعة»، «النهاية تعاود الشاعر» الذى تحول إلى مسلسل تليفزيونى شهير. كتبت ثلاثية الصين وكتبت رواية صغيرة بعنوان «المرأة ذات الثوب الأسود».

● أنا سعيدة أن إنتهاء علاقتك بالبحر لم ينتج عنها إنتهاء علاقتك بالكتابة. أ حنا مينا قضية السعى للرزق انتهت وأصبحت لاتسعى هذا السعى والمعاناة للحصول على الرزق.

- طبعاً، كونى أوسع الكُتّاب الغرب انتشاراً فأنا أكسب كثيراً ولكنى أنفق كثيراً.

● أنا أعلم أنك تنفق كثيراً على الأدباء الشبان الذين تساعدهم كثيراً من أجل نشر كتبهم ومساعدتهم على عملية الكتابة؟

- لست أنا من يرتاد المقاهى والخمارات لأننى لا أحب هذا النوع من الحياة. إذا كنت أنا أنفق فأنا أنفق فى الوقت المناسب وفى المكان المناسب وهذا بينى وبين ربى. كل ما بينى وبين ربى يجب أن يبقى ولا نتحدث عنه لأنه واجب إنسانى. فأنا لا أشعر بفضل على أحد.

● وهكذا دائما الكبار.. وأديبا المبدع حنا مينا هو فعلا من الكبار.

دريد لحام

عشق الفن ووهب حياته وجهده وفكره له.. عندما اختار الفن خطاً أساسيا فى حياته كان وراء هذا الاختيار وجهة نظر.. رسالة يود أن يرسلها لمجتمعه الصغير ثم لوطنه الأكبر.. أراد أن يقدم دعوة للتفكير والتأمل لكى يتغير المجتمع إلى الأفضل والأحسن.. واختار البسمة والضحكة أسلوباً وشكلاً لإيصال فنه ورسالته.. قدم العديد من المسرحيات الكوميدية والمسلسلات التليفزيونية والإذاعية وعدداً من الأفلام وأصبح واحداً من النجوم الذين يحملون هموم الوطن على أكتافهم أينما ذهبوا ولذلك أختير أيضاً سفير النوايا الحسنة من قبل الأمم المتحدة نشأ فى حى قديم من أحياء دمشق القديمة.. حيث ولد عام ١٩٣٤ بجوار الباب القديم الذى دخل منه خالد بن الوليد دمشق عند الفتح.. ويفخر هو بذلك ويقول.

- أنا من دمشق داخل السور.. فقد كان لدمشق القديمة سبعة أبواب ولها سور تاريخى.. وكانت عبارة عن أحياء وحارات شعبية غاية فى

الجمال والتكوين المعمارى الأصيل.. كانت مثل الحضن.. فقد كنت تشعرين بأن الأحياء تحتضن بعضها البعض.. الزقاق الضيق الصغير والغرف فوقه.. كما لو كانت الغرف تتعانق بعضها مع البعض.. عندما تنظرين من أعلى.. كان شكل البيوت يوحى بالحضن.. كانت الأحياء القديمة مثل نسخة سماوية وأطرافها مجموعة من الغرف.. كل غرفة لعائلة صغيرة.. فتجدين العائلة الكبيرة تجتمع فى صحن الدار يومياً حيث يوجد فى صحن كل دار بركة ماء تأتى من نهر بردى.. كل منزل كان يأتيه الماء من بردى وفى هذا الصحن توجد بعض الأزهار والياسمين.. وفى المساء حيث تجتمع العائلة يحلو السمر والأحاديث.

• ولكن رغم أنك نشأت فى دمشق القديمة الجميلة حيث الود والحميمية والحضن كما تقول إلا أنك عانيت كثيرا فى طفولتك من صعوبة العيش والظروف القاسية للحياة فى أسرة كثيرة العدد قليلة المورد

ـ أنا نشأت فى عائلة تعدادها اثنا عشر فرداً وظروف الحياة كانت صعبه علّى وعلى كل من حولى.. وكنت أتميز بالهدوء والخوف والخجل إلا أن هذه الظروف لم تشلنى.. لم تمنعنى من البحث عن حياة أفضل، فجو الفقر لم يولد فى نفسى النقمة وإنما ولد فى نفس الصبر والجلد والطموح.. ولذلك عملت وخضت غمار العمل وأنا صغير فى المدرسة الابتدائية.

• هذا بالقطع أكسبك خبرة ومعرفة كبيرة بالحياة والنفس البشرية وأغنى تجربتك فى الحياة وأعتقد أنك كوّنت مخزوناً هاماً استفدت منه فيما بعد.

ـ نعم.. أنا عملت أعمالاً متعددة.. عملت كحداد وترزى وعملت فى كى الملابس وبائع أقمشة وبائع جوّال وشيال.. هذه النشأة أعطتنى نظرة خاصة بالحياة.. فالحياة بالنسبة لى مثل الكيمياء معادلة.. تضع إيمان وجهد وتعب تلقى نجاحًا.. فأنا لا أومن أن الحياة ضربة حظ أو أن الحياة يانصيب فنسبة الحظ هو واحد فى المائة ألف.. فالذى يريد أن يعتمد على الحظ فلينتظر دوره ونسبته فى الواحد على كل مائة الف.. بينما الإنسان بجهده وتعبه سينجح وسيصل إلى مايصبو اليه.. طبعا قد يضيع من الجهد الكثير. فأحيانا يضيع الجهد على الفاضى.. ولكن حتى بعد أن يضيع جزء من الجهد فما يبقى منه كافٍ للنجاح.. فيجب أن نقيس هذه المسألة بشكل فيزيائى ممثلاً عندما كانت القطارات القديمة تسير بالبخار الذى يعتمد على الفحم الحجرى كان معروفًا بحسابات الفيزياء إنه عندما يضع الوقاد الفحم الحجرى فى موقد الآلة لكى يسخن الماء لينتج البخار ويسير القطار.. فالحسابات الفيزيائية تقول إن ٧٠٪ من الطاقة الحرارية تذهب سدى عبر المدخنة فى الهواء ولا يبقى من هذه الطاقة سوى ٣٠٪ وهذه الثلاثين فى المائة هى الكافية لتسير القطار ولكى يصل للوجهه التى يريدها.. وهكذا الحياة بالنسبة للإنسان ولتحقيق أهدافه فى الحياة.

• وطبعًا ليس بغريب على أستاذ لمادة الكيمياء.. فأنت عملت كمدرس للكيمياء لفترة.. وأعتقد أنك طبقت هذه النظرية فى حياتك ولكن أتصور أنك حققت من النجاحات والأهداف أكثر بكثير من الثلاثين فى المائة.

ـ والله لا أعرف بالضبط.. ولكن إذا كان لى شىء فى قلوب الناس فهذا بالنسبة لى غاية فى حد ذاته.. وأعتقد أننى حققت الكثير من خلال هذا الشىء.

• وأنت مازلت صبيا عملت فى أعمال متعددة أعمال شاقة بالنسبة لسنك، ومع ذلك كنت تواصل دراستك بتفوق كبير فهل كان لديك وقت للاستمتاع بأشياء أخرى مثل متابعة الفن أو ممارسة هواية من الهوايات؟

ـ الحقيقة لم يكن لدى وقت لهذا الترف.. يوجد مثل صينى يقول «لو معك قرشين اشتر بأحدهما رغيفًا والآخر وردة» طبعاً يقصد بالوردة ماهو جميل.. وأنا ياسيدتى لم يكن لدى إلا قرش واحد للرغيف.. لم يكن هناك فائضًا كانت هموم الحياة تخطفنى وتخطف كل جهودى.. كان علّى لكى ابقى أن أكافح وأكافح.. أنا من مواليد ١٩٣٤ ؟؟ كان الاستعمار الفرنسى يسيطر على سوريا.. وكانت هموم الحياة كثيرة.. بالإضافة إلى أن البيئة فى ذلك الوقت لم تكن تسمح لوصول الفن بسهولة فالراديو لم يكن منتشراً.. وكانت الكهرباء نوعًا من أنواع الفرجة فعندما دخلت الكهرباء فى بيوتنا كنا نسهر لنتفرج عليها وليس للاستفادة منها.. كان شيئاً جميلاً فى ذلك الوقت أن نضغط على أزرار الكهرباء فتنير المنزل.. كانت الكهرباء شيئًا جديداً علينا فقد كنا نعيش على الجاز وتتحلق العائلة كلها حول موقد الجاز للتدفئة والتسامر.. وحضن هذا الموقد كان مدعاة لأن يلتصق الأخ بالأخ والأم بالأب الحياة كانت صعبة وشاقة ولكن الغريب أن الحياة الآن بكل وسائل الراحة والرفاهية من حولنا ليست أجمل على الإطلاق.. فقدنا الحضن فقدنا هذه الحميمية فى التحلق والجلوس فى صحن الدار وسط العائلة والقربى.. الحياة تعقدت وأصبحت واسعة.

● إذن دفع الإنسان ثمنًا غاليًا للحصول على راحة شكلية تاركًا متجاهلاً جزءًا كبيرًا من العضوية والتلقائية والبراءة.

ـ معلوم.. الإنسان عندما يتذكر لحظات السعادة يذكر أيام الطفولة مهما كانت قاسية ويبدأ يبحث عن آثارها حتى لو كانت فى حجر ضيق أو شجرة كانت يتفيأ ويستظل بظلها.. والآن تبدلت الشجرة الجميلة الوارقة ببنايه اسمنتية قبيحة.

● ظلت الحياة تسير بك مابين جهود عمل وتحصيل علم ومحامله للبقاء وسط حياة قاسية.. متى بدأ التغيير؟

ـ عندما دخلت الجامعة فى كلية العلوم التابعة للمعهد العالى للمعلميين ونظراً لتفوقى كنت أقبض راتباً أثناء الدراسة.. هنا فقط بدأت أرتاح قليلاً وتوقفت عن العمل كصبى لبعض الحرف وكنت أمارس التدريس هنا وهناك بجانب الراتب الذى كنت أتقضاه كطالب فتمكنت من أن ارتاح قليلاً وأساعد أسرتى من هذا الدخل حيث أن عائلتى ضحت لأجلى كثيراً ومهما قدمت لها فلن أستطيع أن أقدم ذرة مما فعلت لأجلى.

● هل أفهم من ذلك أن عائلتك كانت ترى فيك شيئًا واعدًا وأملاً مستقبلاً برغم كثرة الإخوة من حولك؟

ـ الأصغر دائمًا يكون مدللاً.. وأنا أصغر الإخوة.. فدائمًا أحسن الأشياء تكون الأصغر.. ومن جمله الأحسن الذى تلقيته من عائلتى هو الحرص على تعليمى.. فأخى الذى يكبرنى حصل على التوجيهية بعدى أحبوا أن يوصلونى أنا أولاً.. وأخى الذى يكبرنا جميعًا لم يستطع

أن يكمل تعليمه فقد كانت وراءه مستوليات أسرية كبيره ولذلك فانا مهما فعلت فلن أستطيع أن أرد لهم الجميل.

● إحساسك بالراحة واليسر المادى جعل لديك القدرة لكى تنظر حولك وتشترى الوردة أى أن ترى الجمال وتستمتع بالفن.. فما هى أول وردة استمتعت بها؟

ـ اشتريت آلة اكورديون

● إذن دخلت الفن على طريق الموسيقى؟

ـ نعم. كنت أشارك كهاوٍ للموسيقى فى فرقة الجامعة.. ومن هنا تم خطفى إلى دنيا الفن.. بدأت كعازف ثم بدأت ألعب بعض الأدوار المسرحية فى فرقة الجامعة.. ومن الطريف أن أول دور لعبته كان دور فتاة.. ففى ذلك الوقت كان صعباً على الفتاة أن تظهر على خشبة المسرح فلعبت أنا دور الفتاة على اعتبار إننى صغير وقليل الحجم.. ومن هناك انطلقت أى من خلال فرقة الجامعة.. فقدمنا حفلات عديدة فى المناسبات الطلابية وكنت أعمل كممثل وعازف فى آن واحد.

●عندما تخرجت فى الجامعة وفى كلية التربية عملت فترة كمدرس لمادة الكيمياء فى المدارس والجامعة.. فهل عطلك عملك كمدرس عن مواصلة ممارستك للفن؟

ـ ظللت أمارس هوايتى فى الموسيقى والعزف على اعتبار أننى أستطيع أن أعزف بشكل منفرد ولكنى انقطعت عن التمثيل نظراً لانشغالى فقد كنت أعمل كمدرس لمادة الكيمياء فى المدارس الثانوية خارج دمشق لمدة أربعة أيام فى الأسبوع وأرجع لدمشق لكى أعمل

مدرسا بالجامعة اليومين الآخرين ولذلك انقطعت عن التمثيل فى تلك الفترة.

● ولكنى أعتقد أن افتتاح التليفزيون السورى عام ١٩٦٠ وقت الوحدة مع مصر أتاح لك فرصة كبيرة لبداية هامه وحقيقية فى الفن أسفر عن احترافك الكامل للفن فيما بعد؟

ـ د. صباح قبانى شقيق الشاعر الكبير الراحل نزار قبانى كان أول مدير للتليفزيون السورى وكان على درايه واسعه بالساحة الفنية والثقافية السورية، وكان على معرفة بجميع نوادى الهواه وعلى دراية بأنشطة الجامعة المختلفة.. وكنت أنا معروفا كممثل وموسيقى بالجامعة وكان اسمها الجامعة السورية حيث كان هناك جامعة واحدة فى كل أنحاء سوريا.. ولأن وقتها كان هناك جامعة واحدة فى سوريا فكل مايحدث بها كان ملفتاً للنظر.. على العموم استدعانى د. صباح قبانى ضمن من استدعى من الهواه ومحبى الفنون وطلب منى تقديم بعض الأعمال الفنية التى كنت قد قدمتها فى الجامعة.. وهناك اجتمعت مع الأستاذ الكبير نهاد قلعى.

● وهل ظهرت فى هذا الوقت شخصية «غوار» التى اشتهرت بها كثيرًا وأعتقد أنها كانت سبباً من أسباب شهرتك الواسعة فى العالم العربى؟

ـ شخصية غوار بدأت بعد ذلك.. فأنا بدأت بلعب دور «كارلوس ميراندا» وهى شخصية من شخصيات الفلوكلور الغنائى الأسبانى الفلوكلور. وقدمت هذه الشخصية فى اسكتشات مع الفنانين (نهاد قلعى، ومحمود جبر)، ولكن لم تلق استحسان من الجمهور رغم أن الجماهير

في بداية إرسال التليفزيون كانوا يتشوقون لمشاهدة أى شىء حتى إنهم كانوا يفتحوا التليفزيون قبل الإرسال بنصف ساعة لكى يشاهدوا صوره وردة مثلاً أو شارة المحطة ورغم هذا الجو المتاح لنا للوصول للناس لم تتعاطف الناس مع هذه الشخصيات.. وظللت أفكر وأحلل سبب عزوف الناس وعدم قبولهم مانقدمه واكتشفت أن الناس تتعاطف وتنسجم أكثر مع الشخصيات النابعة منها وليست الغريبة عليها وأحس الناس أن كارلوس هذا شخصية معلبه مستورده فابتعدوا عنها.. وأهتديت لشخصية «غوار الطواشي» وهى شخصية من البيئة من صميم البيئة السورية.. تجدها من حولك فى الحارة والشارع والزقاق بلباسها التقليدى وشكلها.. ومن وقتها (أى منذ عام ١٩٦٠) قدمنا العديد من الأعمال الناجحة جداً.. واشتهرت شخصية غوار وأصبح اسم غوار يكاد يطغى على اسمى.. وحاولنا أن نطور فى الشخصية فحدثت تعديلات عليها كثيرة.

● هنا ظهرت خبرتك ومعرفتك بالحياة التى عشتها وسط بيئتك الأصيلة وتجربتك العريضة بالحياة.. فالعثور على فكرة شخصية غوار هو نوع من أنواع المعرفة بثقافة الحياة فقد استوحيت ذلك من البيئة والمواقف التى عايشتها؟

- الشخصية كشكل وملابس موجودة فى أحياء دمشق القديمة فالقبقاب مثلاً كان يلبسه كل سكان دمشق.. وذلك لأن دمشق مدينة أرضها رطبة، فنهر بردى يتفرع قبل دخوله دمشق إلى سبعة أفرع ويدخل لكل البيوت ويخرج منها عبر قنوات خاصة تسمى «الطوالع» ويدخل عبر كل بيت عبر سواقى لهذا السبب كانت أرض دمشق رطبه

فكانوا يستعملون القبقاب الخشبى لعزل الرطوبة .. والآن أصبح القبقاب موضة لبعض شركات الأحذية

● شخصية «غوار» الدمشقية الأصيلة كانت سببًا فى شهرة دريد لحام على مستوى الوطن العربى كله.. فإذا تركنا هذه الشخصية جانبا وانتقلنا إلى جزء هام جدًا فى حياتك وهو المسرح.. نجد أنك رغم إصرارك على أن يكون فنك من الفنون الهادفة الحاملة لرسالة ما. إلا أنك أخترت الكوميديا كشكل وإطار لتوصيل أفكارك ورسائلك فلماذا اخترت الكوميديا بالذات؟

ـ أنا أعتقد أن الكوميديا أقدر على التعبير عن الأفكار الجادة من أى شكل آخر.. قد يخالفنى البعض فى هذا الرأى وأنا أحترم رأى الآخرين.. ولكن اعتقادى الشخصى أن الكوميديا تستطيع أن تطرح أكثر الأمور جدية وتجعلها أقرب للوصول.. الكوميديا تهيئ الآخرين نفسياً.. عندما يريد الطفل من أبيه شيئاً فإنه يهيئه عن طريق قبله على خده أو أن يصبح الطفل مطيعًا لكى يحصل على مايريد بسهولة.. الكوميديا تفعل نفس الشىء فهى تهيئ المشاهد نفسيًا.. الشخص عندما يكون مبتسماً يصبح نفسيًا جاهزا للتلقى.. الكوميديا تحضر المتلقى لكى يتلقى فتصبح الفكرة أسرع دخولاً للقلب والعقل.

● متى إذن بدأ مسرح دريد لحام.. فلقد ظللت سنوات تقدم مع نهاد قلعى اسكتشات غوار فى التليفزيون منذ عام ١٩٦٠؟

ـ فى عام ١٩٦١ قدمت مع نهاد قلعى مجموعة من الأعمال المسرحية الصغيرة فقدمنا مسرحية صغيرة باسم «عقد اللؤلؤ» تحولت

إلى فيلم بعد ذلك، ولكن بدايتى المسرحية الفعلية كمحطة أولى حقيقية كانت عام ١٩٦٩ أى بعد مرور عشر سنوات على احترافى الفن وكان ذلك بمسرح «الشوك»، فقد أقيم وقتها مهرجان للمسرح العربى بدمشق وعرضنا فيه تجربة مسرح الشوك.. وكانت فكرة أستاذ المسرح بسوريا «عمر حجو» وأنا تبنيت هذه الفكرة معه.. قدمنا عرضاً لفت أنظار العالم العربى كله بمسرحية «الچرك».. أما ثانى محطة هامة فى حياتى المسرحية فكانت مسرحية «ضيعه تشرين» قدمناها عام ١٩٧٤ شاركت الكاتب الكبير الاستاذ محمد الماغوط فى كتابتها، وهذه المسرحية كانت تعبيراً عما أحدثته فينا حرب أكتوبر - تشرين وكيف انتشلتنا من الهزيمة الداخلية التى لم تفارقنا منذ نكسة ١٩٦٧.

● أنت دائمًا تحمل هموم الوطن على أكتافك، فهزيمة ١٩٦٧ كسرتك نفسياً ونصر أكتوبر أو تشرين طار بك لآفاق واسعه من الفرح.. فأنت تنصهر مع الوطن فى أفراحه وأتراحه فأنت صاحب وجهة نظر.. صاحب رؤية محملة بهموم الوطن وهموم الإنسان العادى المطحون وسط دروب هذا الوطن الحزين وكل ذلك ينعكس فى أعمالك.. وأعتقد أن المتلقى يشعر دائمًا إنك تعبر عنه وإنك منحاز له.. منحاز للإنسان البسيط المتعب ومنحاز للقضايا القومية انحيازًا تاماً.

- بعد هزيمة ١٩٦٧ استيقظنا على شيء أذهلنا.. غيرنا.. دمرنا. زرع فى داخلنا الهزيمة والإحباط وأصبح الفن يعبر عن هذه الحالة.. وأتت ٧٣ لتنتشلنا من هذه الهوة المرعبة التى كدنا نستسلم لها وأصبحنا ننتظر النهاية فقط.. وكانت المسرحيات مع الأستاذ محمد الماغوط تعبر

عن هذه الحالة فقدمنا مسرحية «غربة» عام ١٩٧٦ ثم «كأسك ياوطن» ١٩٧٩ وفيلم الحدود.. وكل هذه الأعمال كانت تعبر عن هموم الوطن والمواطن، فبالنسبة لى الفن ليس مجرد مهنة.. فالفن يعنينى كقضية تعبير.. أعبر من خلاله عما يجيش فى خاطرى عما أرى عما أتفاعل.. وعندما لا أرى شيئًا أعبر عنه سأتوقف حتمًا.. وأتحول إلى بائع شاورمة أو ترزى أو بائع متجول.. فالفن قضية وليس مهنة.

● إذن أنت لاتعتبر نفسك ممثلاً ولكنك إنسان صاحب وجهة نظر تريد أن توصلها للناس وطريقتك فى توصيلها هو فن الكوميديا.

ـ بالضبط هذا هو أنا

● أنت كتبت معظم مسرحياتك مع الكاتب الكبير محمد الماغوط وأيضًا أخرجت مسرحياتك ونجحت نجاحًا باهرًا فى المسرح وكممثل تليفزيونى.. وقدمت أفلامًا نستطيع أن نقول أنها أيضًا نجحت.. ولكن نجاحك فى السينما كان أقل بكثير من نجاحك فى المسرح أو لم يكن متساويًا معه.. فما تفسيرك فى ذلك؟

ـ صحيح أنا لم أنجح فى السينما كنجاحى فى المسرح فأنا دائما مهزوم سينمائياً ومنتصر مسرحيًا.. ولهذا كثيراً مافكرت فى أن أتوقف سينمائياً.. مع أننى مثلت أكثر من العشرين فيلمًا مع فنانين ومخرجين كبار.. وكثير من هذه الأفلام نجح جماهيرياً ولكن هذا النجاح الجماهيرى بالنسبة لى ليس هو النجاح الذى أطمح إليه.. وليس مايرضينى كفنان..

● ألا تلاحظ معى أن معظم فنانى المسرح الكوميدى فى عالمنا العربى لايلقوا فى السينما النجاح الذى يلقوه على المسرح ؟

ـ أمام كاميرا السينما يشعر الفنان بأنه بعيد عن رقابة الجمهور وحسه فاحتمال يهادن قليلاً فى فنه، ولكن فى المسرح لايستطيع الفنان أن يهادن.. الجمهور جالس يرقبه.. ويحاول الفنان أن يكون قريبا من الجمهور لطرح قضايا تهمه.. وعادة أنا يهمنى من العمل الفنى القدر الذى أتفاعل معه به.. فالعمل الفنى قد يكون للفرجة وقد يكون للتفاعل.. وعندما ينقلب المشاهد إلى متفاعل ينجح العمل الفنى.. أما إذا كان المشاهد مجرد متفرج فهو حيادى والعمل بالنسبة له شىء من السياحة.. فالمسرح باعتبار أن المحلفين والقضاه موجودون (الجمهور) يحاول الفنان أن يكون أقرب إليهم بما يطرحه عليهم.. أما فى السينما فهذه المعادلة غير موجودة.. لذلك يوجد فى بعض الأحيان غربة بين الأعمال السينمائية والمشاهدين وأنا أعتقد أن النص هو السبب.

● أنت لم تكتف بنجاح مسرحك داخل سوريا ولكنك تجولت بمسرحك فى كثير من البلدان العربية.. فهل كان هناك سبباً وراء ذلك ؟

ـ المسرح بالنسبة لى قضية.. فالفن قضية للتعبير.. أريد أن أصل بالتعبير هذا إلى أكبر وأعرض جمهور ممكن.

● دخلت الفن عن طريق الموسيقى وانطلقت بعد ذلك لآفاق أخرى فى الفن.. تمثيل.. تأليف.. إخراج.. فهل نسيت الموسيقى فى زحمة نجاحاتك الأخرى ؟

ـ لم أعد عازفًا الآن.. فأنا كنت أعزف سماعى فقط وليس قراءة نوتة موسيقية ولذلك لم أتقدم موسيقياً بالشكل المطلوب.. ولكنى أحب الموسيقى وأقدم فى أعمالى بعض المواقف الغنائية إذا تطلب الدور منى ذلك.

● متى تركت الوظيفة كمدرس وتوقفت تماما عن كونك مدرسًا للكيمياء؟

ـ فى عام ١٩٦٠ عندما عملت فى التليفزيون لم يكن فى ذهنى على الإطلاق أن أتوقف عن التدريس ولكن بعد أن قدمت بعض الأعمال الكوميدية أصبح من الصعب أن أجمع بين التمثيل والتدريس.. لم أستطع أن أواجه الطلبة.. أصبح التلاميذ يتساءلون.. هل الذى أمامنا ويكتب لنا معادلات كيميائية بالأحماض والتفاعلات النووية هل هو مدرس الكيمياء أم هو غوار الطوشى؟ وشكلت هذه المسألة اشكالية كبيرة بالنسبة لى وكان على أن أختار.. إما أن أترك التمثيل نهائيًا وأتفرغ للتدريس أو العكس.. وأخترت احتراف الفن مع أننى لازلت أعتبر نفسى هاوياً.. ولذلك تركت التدريس منذ أواخر عام ١٩٦٠.

● رغم احترافك وانغماسك فى الفن هل مازلت مهتمًا بالعلم والتطور العلمى المذهل من حولنا؟ هل مازلت مهتمًا بالقضايا العلمية ومازال الكتاب العلمى والخبر العلمى يجذبك أم بعدت تماما عن العلم وأصبح مايجذبك الآن هو الفن وقراءات فنية فقط؟

ـ لم أبتعد إطلاقًا عن القضايا العلمية.. فالقراءة الآن لم تصبح هواية بل أصبحت ضرورة، فالثقافة ضرورة.. أنا أقرأ كل ماتقع عليه

عينى من روايات (تان تان) و(ميكى) للأطفال إلى آخر أخبار الذرة والاكتشافات العلمية مروراً بالأدب بفروعه المختلفة والمقالات الأدبية والمواد الاقتصادية.

● أريد أن أسالك سؤالاً يحيرنى.. فأنت من أسرة دمشقية بسيطة عانيت أنت وأسرتك الآمرين لكى تحصل على وظيفة محترمة فى المجتمع وهى مدرس لمادة الكيمياء بالجامعة.. وحصلت على هذه الوظيفة بشق الأنفس.. وفجأة تتحول إلى ممثل كوميدى فى وقت وزمن كان التمثيل فيه ليس بالشيء الذى يسعد الأسر ولايعطى الأمان المادى للفنان ذاته.. فهل لم تجد صعوبة بينك وبين نفسك لترك الوظيفة التى تمثل لك الأمان أم أنت مغامر بطبعك.. وكيف وافقتك أسرتك على ذلك بعد أن تنفست معك الصعداء بالوظيفة الآمنة؟

ـ الحقيقة لم يقمعونى ولكن لم يشجعونى فى نفس الوقت. أنا معك فالقرار كان قراراً خطيراً. فإنسان يدرس لمدة سبعة عشر عاماً دراسة ما ثم يترك كل ذلك لكى يظهر على شاشة التلفزيون فى وقت لاتسمح التقاليد ولاتشجع ذلك ويترك الوظيفة المأمونة لكى يدخل للمجهول.. لم يكن قراراً صعباً بل كان قراراً نابعاً من الحب، حب الفن وعشقه. وأهلى لم يكونوا فرحين بذلك. وافقوا على مضض بدون حماس فلقد أحسوا بان القرار ليس بيدهم.

● وبعد نجاحك الباهر سعدت أسرتك بك كفنانه؟

ـ جداً وهذه السعادة التى أشعرونى بها أسعدتنى أنا جداً.

● أنت أبو ثائر فهل لديك أولاد أخرين؟

ـ ثائر هو ابنى الكبير وهو مهندس كهرباء فى مجال الاتصالات الفضائية والأقمار الصناعية، ولدى بنتان.. واحدة اسمها عبير متزوجة والصغرى دينا مهندسة كهرباء أيضًا، وأنا تزوجت مرتين ابنى ثائر وابنتى «عبير» من زوجتى الأولى، وتزوجت من والدتهما وأنا فى السنة الأخيرة من دراستى الجامعية، ولم أكن قد احترفت الفن بعد.. واحترافى للفن جعل هناك خللاً فى التفاهم بينى وبين زوجتى الكريمة التى أذكرها بكل خير وهى أم أولادى «ثائر وعبير» واتفقنا على أن نفترق بشكل كريم ومحترم وافترقنا. أما زوجتى الثانية فهى السيدة هالة البيطار فأنجبت منها ابنتى رينا، وزوجتى الثانية كانت وهى طالبة فى التوجيهية تعمل فى فرقة الفنون الشعبية التابعة للتليفزيون، وأنا كنت أستاذاً لها فى فرقة الفنون الشعبية.. وحدثت قصة حب بيننا وتزوجنا وتركت هى الفرقة لكى تتفرغ لى فهى الآن لاتعمل فى الفن ولكنها زوجتى وأم ابنتى.

● أنت تقاسمك العلم والفن، أما أولادك فلم يأخذوا منك إلا جانب العلم فقط.. ألا تجد غرابه فى ذلك؟ وهل أنت الذى اخترت لهم ذلك أم هذا ماأرادوه هم؟

ـ أبداً.. هذا ما أرادوه هم ولم أختر لهم أنا الطريق.

● أنت دائمًا تردد بأنك مهزوم سينمائيًا ومنتصر مسرحيًا رغم أن فيلمك «الحدود» نجح نجاحًا باهرًا فى أنحاء الوطن العربى وكان هذا الفيلم هو الفيلم الأول الذى أخرجته لنفسك.. فبعد هذا النجاح لفيلم الحدود ألم تشعر بالندم

بأنك لم تخرج أفلامك التى مثلتها من إخراج غيرك قبل فيلم الحدود؟

ـ أبداً أنا تعاملت مع مخرجين كبار وتعلمت منهم الكثير، فأنا تعلمت من المخرج الكبير يوسف شاهين الكثير.. تعلمت منه كيف يكون الأداء الداخلى، وتعلمت من الأستاذ عاطف سالم الكثير أيضاً.. وتعلمت من الأستاذ المرحوم حلمى رفله ومن المرحوم يوسف معلوف ويوسف عيسى.. ولكن دعينى أقل لك شيئاً.. فيلم الحدود لم ينجح هذا النجاح الكبير لكونى أنا أخرجته بل لكونه حمل فكرة جيدة.. لم ينجح فيلم الحدود لأن دريد لحام شارك فى كتابته وأخرجه ومثله لا.. الفيلم نجح بسبب موضوعه الموضوع كان هو البطل.. الناس أحبت الفيلم وأقبلت عليه بسبب موضوعه، والدليل على ذلك أن فيلم الحدود عندما عرض لأول مرة بالقاهرة التى لم يتعود جمهورها على مشاهدة أفلام عربية غير مصرية.. كان إقبال الجمهور على الفيلم شديداً قبل مشاهدته، والجمهور كان بأعداد كبيرة جداً قبل الدخول للسينما وظل الجمهور ينشد أناشيد حب للواطن وأناشيد حماسية قبل مشاهدة الفيلم.. هذا كله كان احتفالاً وابتهاجاً بالموضوع ذاته.. فالموضوع هو البطل.. الموضوع مس قلب كل عربى.. هذا النجاح الكبير شغلنى كثيراً وحملنى مسئوليات تجاه جمهورى كبيرة جداً.

● أنت نجحت نجاحاً كاسحاً فى المسرح الكوميدى.. وأنت فنان أستاذ فى فن الكوميديا المسرحية.. فإذا سألتك عن حال المسرح الكوميدى فى العالم العربى بماذا تصفه؟

ـ المسرح الكوميدى الآن ضائع.. لأن الظروف من حولنا ضائعة.. نحن تقريبًا لاندرى إلى أين نحن ذاهبون فالمسرح الكوميدى أو التراچيدى المسرح عموما يعبر عن حاله النفس ونحن لاندرى إلى أين نحن ذاهبون ومعنا المسرح فى نفس الحالة.

● وماهى معاناة المسرح الكوميدى الآن؟

ـ أهم معاناة هى حالة الإنسان العربى.. حالته صعبة وبالتالى أضحاكه صعب وأيضًا هامش الحرية شيء صعب جداً.. فإذا سمح له أن يقول أولا يقول هذه أيضا تشكل مشكلة.

● لو طلبت منك أن تضع اسم عادل إمام فى جملة مفيده فماذا تقول؟

ـ إنه أقرب إلى قلبى من قلبى وأنا متابع لأعماله وواحد من معجبيه.

● ألا تفكر فى عمل يجمع بينك وبين عادل إمام؟

ـ الفنان عادل إمام فنان كبير جداً.. وأنا أرى أنه إذا قدر لنا أن نعمل سوياً فيجب أن يكون عملاً مدروسًا متأنيًا لكى يظهر بالمظهر اللائق أى أن يكون عملاً (على الهدى) كما نقول نحن فى سوريا وأنا منتظر هذا العمل وهذا اليوم بفارغ الصبر وقد اجتمعت أنا والفنان عادل إمام عدة مرات وناقشنا سويا مقومات العمل الفنى الذى سوف يجمع بيننا.

● لوحدث وظهر هذا العمل الفنى الذى سيجمع بينك وبين عادل أمام والذى نسمع أخبار عنه كل فترة ولم يتحقق إلى

الآن رغم مرور سنوات على هذه الأخبار وهذه الأمنيات. ولكن فرضنا أنه تحقق فسيكون بأى لهجه فى تصورك؟

ـ اللهجة ليست لغة.. اللهجه هى نغم ونحن كلنا أبناء لغة عربية واحدة.. كلنا بنحكى عربى.. بنحكى نفس الشىء ولكن بأنغام مختلفة فإذا حاولنا أن نبعد من اللهجة الكلمات التى ليست لها أصول عربية لن يكون هناك حائل فى مشكلة الفهم.

● هل أصبحت مادة الكيمياء التى تخصصت فيها على الهامش الآن من حياتك؟

مازالت فى حياتى بصورة مختلفة.. فالكيمياء كمعادلات كمفهوم مازالت فى حياتى.. يعنى فى الكيمياء إذا وضعت مادة ما على مادة أخرى تعطى نتيجة ما نظراً لتفاعلات المادتين.. وكذلك الحياة.. فالحياة هى كيمياء.. إذا وضع الإنسان جهداً زائداً (إيمان يساوى نجاح).. فالحياة معادلة كيميائية.

● أنت نجحت فى وضع عناصر الكيمياء التى شكلت نجاحك فى الحياة فماذا تتمنى الآن؟

ـ ليس لى أية أمنية سوى أن أبقى محتفظاً بهذا القليل من النجاح الذى حققته إذا كنت قد حققت شيئاً وهذا مايقلقنى دوماً.

● وهكذا دائماً الفنان الحق دائم القلق ودائم المعاناة.

* * *

مشوار حياة فيلسوف عربى

د. زكى نجيب محمود أحد فلاسفة العرب المعاصرين تشهد له بذلك الجامعات العربية والأجنبية وساحات البحث والعلم وقاعات الدرس وأرفف المكتبات التى تحمل العديد من مؤلفاته .. تلك المؤلفات التى تحوى عطاءه الذى يسير فى ثلاثة محاور : المحور الفلسفى، والمحور الأدبى، والمحور النقدى .. والتى تحوى المنهج الذى احتضنه، والذى يتمثل فى تيار الوضعية المنطقية أو التجريبية العلمية.

فى الحوار معه تحدث حول مشوار حياته ورأيه فى عديد من القضايا الفلسفية والثقافية ... وفى البداية سألناه : لماذا الظن بأن الفيلسوف يبعد عن أرض الواقع؟ فقال:

الفيلسوف إنسان يعيش مشكلات وقضايا مجتمعه بكل عناصرها وتفاصيلها وتداعياتها .. ولكنه يصعد بها عدة درجات، ومن هنا يأتى

الاعتقاد بأنه بعيد عن أرض الواقع، فى حين أن هذه الدرجات التى تفصله عن الأرض مازالت موجودة يستطيع أن يهبطها درجة درجة كما صعدها..

والفيلسوف يحاول دائماً أن يأتى بالعمليات العامة تاركاً التفصيلات جانباً.. وهذا لاينفى إطلاقا أن تكون العلاقة وثيقة - بل يجب أن تكون كذلك .. بين الفيلسوف ومجتمعه.

مثال ذلك الفيلسوف اليونانى «أفلاطون» عندما صور فى كتابه (الجمهورية) كيف تكون الدولة .. فهل كان يمكن أن يتصور كيف تكون الدولة ويرسم لنا صورتها كما يراها إلا أن يكون فى ذلك رد متضمن للآراء السياسية الموجودة فى عصره؟

فى المقابل لذلك فى الفلسفة الإسلامية لو أخذنا «الفارابى» عندما كتب ما يساوى جمهورية أفلاطون فى المدينة الفاضلة عندما كتب آراء أهل المدينة الفاضلة هل كان يمكن أن يصنع تلك التركيبة دون أن يكون قد استمد دماء الفكرة من الثقافة القائمة فى عصره؟ إن ذلك يسرى أيضاً فى عصرنا الحالى.

ولأن أهم ما يدور حوله فكر العصر هو العلم أساساً وما يقابله من فنون لترد على موضوعية العلم فإننا نجد أن الفيلسوف الآن إما أن يكون فيلسوف علم مثل حال الفلسفة التحليلية السائدة فى الشمال الغربى من أوروبا والولايات المتحدة.. أو أن يكون فيلسوفاً يحلل الإنسان كفرد مثلما الحال فى الوجودية.. أو كعضو فى المجتمع كما فى المادية الجدلية .. وسواء كان هذا أو ذاك فهو يبدأ سيره من نقطة قائمة بالفعل

من ثقافة الناس التى يعيشونها .. ولو عزل الفيلسوف نفسه عن الثقافة المحيطة به لما وجد المادة الخام التى يبنى عليها فلسفته، اللهم إلا إذا كانت الفلسفة كما يظنها بعض الناس مجرد تخليط ألفاظ لا معنى لها حتى يقال أنها عميقة وغامضة.

● وهل أنت كفيلسوف تندمج مع أفراد المجتمع العاديين وتشاركهم أحاديثم العادية .. أم إذا وجدت بينهم تتأملهم فلسفياً فقط؟

ـ لابد أن نتذكر نقطة هامة فى تركيبتنا الثقافية ـ نحن العرب ـ بصفة عامة نتصف بصفة أساسية وهى أهمية الحديث مع الأصدقاء، هذا جزء من حياتنا لا يمكن أن نستغنى عنه، وربما نجد أن المواطن الإنجليزى مثلاً لا يعول على الحديث مع أحد وقد يصمت معظم الوقت، لكن المواطن العربى يتلهف لكى يتحدث حتى العربى خارج الوطن العربى - يتلهف لكى يتحدث إلى عربى آخر..

وأنا من أسعد الناس حظاً فى أصدقائى، كنت دائما محاطاً بمجموعة، تجمعنا سوياً صداقة حميمة.. والصداقة الحميمة معناها اجتماعات خاصة نتحدث فيها من الشرق للغرب ومن الشمال للجنوب دون أى تحفظ فى مادة الحديث .. أحيانا تكون فكاهة وأحيانا تكون جادة .. وأحياناً تكون بين هذا وذاك.. وأنا كأى إنسان عربى أحب الحديث جداً مع الأصدقاء الحميمين وأحياناً أكون أنا «التافه» بينهم لأنه جزء من فطرة الإنسان أن يتحدث فيما له شأن أحياناً وبما ليس له شأن فى أحيان أخرى.

وأذكر أننى حضرت محاضرة فى إنجلترا كان عنوانها «فلسفة الكلام الفارغ» فالكلام الفارغ فى حد ذاته أحيانا يكون له أهميته، لأن الإنسان يريد أن يترك نفسه على سجيتها فى كثير من الأوقات .. ولكن كما هو الحال فى الحياة ذاتها منها صحو ومنها نوم .. منها ماهو يركز إذن بانتظام منطقى ومنها ما يترك لنفسه الحبل على الغارب وأنا شخصياً فى حياتى يأخذنى قلق شديد جدا لا يمكن تخيله إذا كانت هناك قطيعة بينى وبين أحد حتى ولو كان فى ظنى أنه هو المخطئ .. أذهب إليه وأطلب منه نسيان ما حدث .. فالاحتكاك بالبشر والمجتمع ضرورى لأى إنسان فيلسوف أو غير فيلسوف..

● وهل أنت متابع جيد للحركة الفنية ؟

ـ عن نفسى أستطيع القول أننى مشاهد طموح ولا يقتضى ذلك أن أكون مشاهداً جيداً أو ردئياً .. أنا أتمنى لنفسى أن تكون مشاهدتى جيدة وأحيانا أوفق وأحيانا لا أوفق .. أنا أتابع الفنون بكافة أنواعها منذ الصغر، وخاصة الشعر والتصوير .. لدرجة أننى أتذكر أن أول مقال كتبته ونشر فى حياتى كان عن الغناء ونشر عام ١٩٢٧ كنت وقتها فى الثانية والعشرين من عمرى، وكانت هذه المقالة تتحدث عن نقد لبعض الأغنيات التى كانت فى ذلك الوقت بلا معنى من حيث الكلمات وقلت وقتها أنه لايمكن أن تنشأ مثل هذه الأغانى إلا إذا كانت الحياة بدون معنى.

أنا مثلاً أحب كثيراً غناء أم كلثوم ففيها شموخ، وهى ترتفع بالمستمع بصوتها وبالمعانى التى تتغنى بها وبالصياغة اللحنية

الرفيعة.. أيضاً أحب أغانى عبدالوهاب القديمة، وأيضًا أغانى شادية .. فما أريد أن أوضحه هو أننى دائما كنت أتابع الحركة الفنية وخاصة الشعر والتصوير الذى استمتعت به بعد ذلك.

وأنا أزور كثيراً من متاحف العالم ومعارضها وأتمنى أن أراها بوعى .. وكثيراً ما أقف أمام اللوحة الفنية معجباً، ولكن عاجز عن تحليل هذا الاعجاب .. فلست عميقًا فى النظرة النقدية للفن التشكيلى، والذى به أستطيع أن أحلل لماذا هذه القطعة الفنية بها كل هذه القيمة .. ولكننى أجتهد فقط..

● أنت من أبناء إحدى القرى المصرية التى تفخر دائمًا بأنك من أبنائها .. فلماذا؟

أنا لست فقط فخوراً بقريتى.. ولكن حبى للقرية التى ولدت فيها فى أول فبراير ١٩٠٥ وهى قرية «ميت الخولى عبدالله» حب كبير جداً.. وهى قرية تقع ما بين محافظة دمياط ومحافظة الدقهلية.. وأنا فخور بها لأنها البلد التى أسرت لويس التاسع فى الحروب الصليبية وإنزاله أحد منازلها إلى أن قبض غليه هناك ونقلوه إلى المنصورة أسيراً.. عندما عرفت هذه القصة وأنا صغير فرحت فرحة غامرة بها.

● وهل أمضيت مرحلتك الدراسية الأولى فى هذه القرية؟

ـ دراستى الأولية هى الكتاب كان نصفها فى قريتى ثم نقل أبى بعد ذلك للقاهرة فذهبنا معه وأكملت دراستى الابتدائية فى مدرسة السلطان مصطفى فى ميدان السيدة زينب وهو مبنى أثرى من عهد المماليك.

● وماذا عن حياتك طفلاً.. - هل كنت تتميز بخصائص معينة ؟

- إذا كنت أذكر شيئًا في المرحلة الابتدائية فإني أذكر رغبتي الشديدة في الخطابة .. كنت شغوفاً جداً بذلك وأنتهز فرصة أى مناسبة عائلية مثل الأفراح والأعياد لكى أقنع والدى أن يجعلنى أقوم بإلقاء خطاب.. وأعتقد أنهم كانوا يأخذون حبى للخطابة بشئ من الفكاهة بما أنى صغير السن .. ولكن إذا أنا تأملت رغبتى الشديدة للكتابة أقول أنه لابد وأن يكون بينى وبين الكلمة حسن تفاهم منذ ذلك التاريخ .. كنت أيضًا أحفظ الشعر ولا أنظمه، وكنت أقرأ فى دواوين الشعر القديم قبل الأوان أى قبل أن تكون سنى مناسبة لذلك.

● وهل كان هذا اهتمامًا شخصيًا ذاتيًا.. أم أن البيئة المحيطة كانت تشجعك على ذلك..؟

- البيئة كانت لا تشجع على ذلك إطلاقاً .. فوالداى ليس لهما أى نصيب فى هذا الاتجاه، وإنما هى رغبة شديدة منى فى القراءة والكتابة .. والظاهر أن جرس الكلام كان له عندى تأثير أقوى من تأثيره على الإنسان العادى.

● وماهى فى رأيك المكونات النفسية الأولى التى من الممكن أن تخلق من هذا الإنسان أو ذاك فيلسوفا أو مفكرًا؟

- لا أدرى بالضبط .. ولكن يجوز أن يكون الاستعداد الفطرى للتفكير المجرد .. التفكير الذى يبتعد قليلاً عن وقائع الأرض .. ونحن لو سألنا أنفسنا عن الفرق بين التفكير الفلسفى وأى تفكير آخر نجد أنه

بإختصار هو نفس الخط ولكن بدرجة أكبر من التعميم .. أى عندما نرى تاجراً يمارس البيع والشراء نجده عند مستوى التفصيلات .. ولكن إذا جاء عالم اقتصاد نجده لايقف أمام التفصيلات ولكن يحاول أن يخرج بتعميمات للتجارة وللحياة الاقتصادية كيف تكون .. فالفيلسوف حتى إذا كان فى الاقتصاد يحاول أن يقول المبادئ الأولى أو التعميمات العليا التى تشمل دنيا الاقتصاد .. فالفلسفة هى تفكير كأى تفكير ولكنه معنى التعميم وليس بالتفصيل.

أما بالنسبة لى .. فلقد وجدت نفسى مهتماً بالفلسفة منذ أن كنت فى العشرين من عمرى إذ شعرت بميل شديد لها لا أدرى لماذا وكان ذلك قبل أن أتخصص فيها .

● بعد انتهائك من الدراسة الثانوية .. أين أكملت بقية مراحل تعليمك ؟

ـ دخلت مدرسة المعلمين العليا وكانت كل الدراسات التى تلى مرحلة الثانوية تسمى نفسها مدارس عليا مثلاً مدرسة الزراعة.. مدارسة الهندسة.. مدارسة الحقوق كانت مدرسة المعلمين العليا تقوم مقام كلية الآداب والعلوم ففيها مدرسة العلوم العليا الأدبية مقام كلية الآداب ومدرسة العلوم العلمية كلية العلوم وأنا بالطبع تخصصت فى الآداب..

● وهل عمقت هذه المرحلة حبك للفلسفة ونظرتك الفلسفية ؟

ـ ليس إلى الدرجة الكبيرة.. فقد كان لايزال حبى للفاسفة ميلاً شخصيًا، صحيح كانت الفلسفة تدرس لنا ولكن ليس بالدرجة التى

تمنيتها .. وأنا أذكر تماماً أن أول ما قرأته كان كتاباً في تاريخ الفلسفة وباللغة الإنجليزية .. وعثرت بالصدفة وأنا أبحث في دار الكتب .. فاستعرته وقرأته بلهفة شديدة ووجدت أنني في هذا الكتاب وسط الدنيا التي أود أن أعيش فيها .. منذ ذلك الوقت انفتح الطريق واسعاً أمامي .. وأذكر أنني تخرجت عام ١٩٣٠ بعدها بسنتين أنشئت مجلة (الرسالة) التي أنشاها المرحوم أحمد حسن الزيات .. ومنذ العدد الثاني أو الثالث وأنا أنشر فيها مقالات عن الفلسفة.

● وهل كنت تعمل بالتدريس في ذلك الوقت؟

ـ نعم كنت أدرس في مدارس ثانوية عادية إلى أن أرسلت في بعثة للتخصص في الفلسفة بلندن .. هناك أخذت (البكالوريوس) مرة أخرى في الفلسفة بدرجة الشرف الأولى وهم في جامعة لندن يفرقون بين الشرف من الدرجة الأولى وأي درجة أخرى .. لأن مرتبة الشرف الأولى تعطي صاحبها الحق في أن يقدم الدراسة الدكتوراه مباشرة متخطيًا ما يقابل الماجستير ... فكان هذا من حسن حظي لأنني تخطيت مرحلة الماجستير.

● كيف كانت حياتك في بلد غريب عنك كانجلترا؟

ـ كنت موجوداً في انجلترا وقت الحرب العالمية الثانية فكانت فرصة لا أقول عنها سعيدة، ولكنها فرصة لكي أعيش في تلك البلاد وهي تعيش محنة من محنها، والذي أذكره أيضا أنني كنت أرسل بمقالات من لندن إلى القاهرة لتنشر في مجلة الثقافة التابعة للجنة التأليف والترجمة والنشر والتي كنت عضواً فيها قبل سفري للندن بخمس سنوات.

وأنا فى لندن رأيت صورة الحياة المصرية من بعد.. والحقيقة لقد أتيح لى أن أرى أوجه النقص التى ربما لم أرها وأنا فى مصر .. ولفت نظرى الظلم الشديد الذى يحيق بالكثيرين فى مصر .. وعدم الالتزام بالقانون، فأرسلت سلسلة من المقالات أعتقد أنها لفتت النظر لأنها كانت مقالات من نوع فريد من بابه. هى مقالات أعتز بها لأنها صياغة جديدة للمقالة لا أظن أنها متوفرة بكثرة فى الأدب العربى إنها نوع من التعبير التقطته من بعض دراساتى للأدب الإنجليزى لأن المقالة الأدبية الإنجليزية لها مواصفات خاصة .. فهى انطباع يحاول الكاتب فيه أن يجد له شكلاً.. وقد جمعت هذه المقالات فى كتاب باسم «جنة العبيد» صدر عام ١٩٤٧.

• وماذا كان شعورك تجاه وطنك رغم السلبيات العديدة التى اكتشفتها وأنت فى الخارج؟

- كان حنينى لوطنى ولقريتى شديداً جداً. وأذكر أننى كنت أتلهف على أى شيء مكتوب بالعربية .. وعندما أجد عربياً أجلس لأتكلم معه عن أوضاعنا فى بلادنا حديث المحب ونقد المحب حتى أننى أذكر أن صاحبة المنزل الذى كنت أسكن فيه ظنتنى يوماً أننى قد توفيت لأننى تأخرت عن ميعاد استيقاظى وكان ذلك على غير عادتى.. والمهم سألتنى : وماذا أفعل لو كنت بالفعل قد توفيت؟.. فقلت لها : اتصلى فوراً بالسفارة المصرية ولكن أوصيك وصية وهى أن أدفن فى قريتى «ميت الخولى عبدالله» هذه وصيتى الوحيدة .. وهذا طبعا يعبر عن شدة رغبتى فى أن جسدى هذا لا يرقد إلا فى تراب مصر.

● وماذا بعد أن حصلت على الدكتوراه؟

ـ التحقت بقسم الدراسات الفلسفية بكلية الآداب ومنذ ذلك الحين وإلى أن أحلت إلى المعاش وأنا أستاذ للفلسفة وذهبت إلى أمريكا لمدة عامين.. عام لكى أدرس وألقى محاضرات فى جامعتها وكانت من أجمل سنين حياتى .. وعام آخر طلب منى سفيرنا بواشنطن أن أعمل مستشاراً ثقافيا ولم أسعد مطلقا بهذا العمل فأنا كاتب وقارئ ومحاضر .. هذا هو مجالى .. وتلك هى ميولى .. ولكن إذا عملت فوق مكتب عليه ورق وملفات ومع الروتين المعتاد فإننى أبقى فى غاية التعاسة.. فالإجراءات الروتينية لا تسعدنى إطلاقا.

● ولكن فى تصورنا أن د. زكى المفكر والفيلسوف صاحب الفكر والمفكر حينما يعهد إليه بأعمال الفكر وتنفيذ الفكرة قد يكون خير من ينفذها أليس كذلك؟

ـ بالنسبة لى فقد جربت نفسى، فوجدت أن كل الأعمال الشكلية تشقينى بدرجة غير محتملة .. فأنا لا أحب أن أكون فى دور التنفيذ.

● حياتك الفكرية الثقافية الأدبية الفلسفية حياة عريضة ملأت بها هذه الساحات جميعًا بدرجات مختلفة.. ولكن ما أهم المعالم البارزة فى حياتك من وجهة نظرك الخاصة؟

ـ معظم المعالم فى حياتى معالم ثقافية قراءة وكتابة وتدريساً.. ولابد أن أذكر هنا الزواج فهو معلم ضخم سعيد فى حياتى.

● أنت متزوج من السيدة الدكتورة منيرة حلمى أستاذة علم النفس بجامعة عين شمس فهل نفهم من ذلك أن اقتراب المجالين وهما علم النفس والفلسفة هو سبب أرتباطكما؟

ـ أعتقد ذلك، فنحن لا نعرف كيف تأتى هذه المسائل ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذى يوفق.. ونحن بيننا أشياء كثيرة تجمعنا .. فوجهات النظر متشابهة جداً والدراسة متشابهة وأيضا العمل ولكن أهم من كل ذلك القيم التى يقيس بها الإنسان الأشياء ... فعندما يقيس الزوج والزوجة الأشياء بمعيار واحد فإن شقة الخلاف تضيق ولكن عندما يقيس الإنسان الحياة بمعيار مختلف عن الآخر تصبح الحياة شائكة.. ونحن والحمد لله المعيار بيننا فى قياس الأشياء واحد.

• ألا يحدث بينكما أحيانًا خلاف فلسفى جدلى يبدأ بسيطًا ويتطور فلسفيا إلى خلاف أكبر؟

ـ لا .. ليس لهذه الدرجة ولكن غاية ما هناك أن جزءاً كبيراً من حياتنا يكون على مستوى ثقافى ولغوى عال وهذا يأتى من طبيعة الأمور فإذا كتبت شيئًا أسألها رأيها فيه وكذلك هى لها نشاطها الثقافى والفكرى وتسألنى فيه.. وبدون تكلف فإن بعض ما يشغلنا يكون جزءاً من حوارنا، وهذا طبيعى.. وهكذا فإن جزءاً كبيراً من نقاشنا يأخذ خطاً ثقافيا .. ولكن ليس معنى ذلك أننا دائما متفقان ..

• حياتك العملية سارت فى خطين .. الخط الأول هو خط العمل الذى يغلب عليه التدريس .. والخط الآخر إندماجك فى الحياة الفكرية والثقافية أى الكتابة عمومًا .. ونحن تحدثنا عن الخط الأول .. فهل نتكلم عن عطائك فى مجال الثقافة والأدب والفلسفة؟

ـ بكل تواضع أستطيع أن أقول إن عطائى هذا لم ينقطع أسبوعًا واحداً منذ بدأت اللهم فى فترات المرض! .. فعطائى فى الحركة الثقافية طويل وكبير وبجانب مؤلفاتى العديدة فى الفلسفة والأدب والنقد، فقد رأست تحرير مجلة «الثقافة «ومجلة «الفكر المعاصر» أما مجلة الثقافة فقد كانت تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر وتوليت رئاسة تحريرها مدة ثلاث سنوات من عام ١٩٤٩ إلى عام ١٩٥٢ ثم رأست بعد ذلك مجلة «الفكر المعاصر» وأنشأتها عام ١٩٦٥ باسم وزارة الثقافة ظللت أشرف على تحريرها ثلاث سنوات ونصف إلى أن سافرت إلى الكويت أستاذا فى جامعتها.

● وهل حاولت من خلال عملك فى هذه المجلات توصيل المبادئ والمفاهيم الفلسفية العليا للقارئ المثقف؟

ـ نعم .. حاولت محاولتين مختلفتين ففى مجلة «الثقافة» كنت مصراً على أن أنشر فيها ما يخدم العقل لا العواطف، ولكن تبين لى أننى كنت مخطئًا . أما فى مجلة «الفكر المعاصر» فلم أتعصب للفلسفة إنما تعصبت للفكر المعاصر أياً كان مصدره وأياً كان لونه، ولذلك أشترطت أن ينشر فيها كل ما اكتسب قوة بعد الحرب العالمية الثانية لكى يساير القا رئ العربى الأفكار العصرية والعالم الحديث.

● إذا كنت قد نشرت أفكارك فى إصدارات متخصصة مثل تلك المجلات.. فهل يصلح المنهج العلمى الفلسفى الذى تتبناه فى أن ينشر بالجرائد اليومية السيارة .. مثلما كنت تنشر مقالات بجريدة الأهرام القاهرية؟

طبعاً الأسهل لتوصيل هذه المفاهيم المجلة المتخصصة لأن القارئ لها يكون أولاً على مستوى ثقافى عال .. أما الجريدة اليومية فإننى لا أستطيع أن أكتب فيها فلسفة من حيث هى فلسفة، فلو كتب مثلا فكرة فلسفية فى مقالات مثل مقالاتى بجريدة الأهرام أحاول أن أوظفها فى هدف فى الجريدة اليومية.. ولاشك أنه من المؤكد أن الإنسان مهما حاول أن يبسط وأن يعرض الفكرة بشكل مقبول لدى آلاف الناس فأعتقد أنه مع ذلك ستظل آلاف كثيرة أخرى لاتهتم بهذه المقالات.

● وماذا عن مؤلفاتك العديدة فى المجالات المختلفة؟

ـ بصفة عامة يمكن أن نقسم مؤلفاتى إلى أقسام .. فكون دراستى فلسفية فإن قسماً كبيراً من مؤلفاتى بالتالى كان فى هذا المجال .. ولكن أيضاً لى نشاط أدبى ظهر فى مقالات أدبية ثم لى نشاط النقد الأدبى .. فنستطيع ببساطة أن نقسم مؤلفاتى إلى ثلاثة أقسام : مؤلفات فى الفلسفة ولكن الفلسفة فى اتجاه معين أخذته لنفسى وأضفت إليه وعبرت عنه وهو خط الوضيعة المنطقية أو التجريبية العلمية.

والقسم الثانى من مؤلفات أدب والقسم الثالث نقد. وفى مجال النقد أخرجت كتبا كثيرة من أهمها أربعة مجلدات ضخمة عن قصة الأدب فى العالم .. وهو عبارة عن استعراض للنقد الأدبى فى تاريخ العالم وكان معى فى هذا العمل الضخم المرحوم الأستاذ أحمد أمين.

● حبك للأدب هل أخذك قليلاً أو كثيرًا من مجال الفلسفة؟

ـ كثيراً ما كان يحدث هذا فتخصصى فى الفلسفة يوازى خط الكتابة الأدبية.. فإن لم يكن ما أكتبه أدباً خالصاً فعلى الأقل فيه مسحة أدبية من حيث الشكل.

● كثير من المفكرين والعلماء والأدباء تعرضوا لحياتهم الشخصية فى كتابة سيرتهم الذاتية وأنت أيضًا نهجت هذا النهج وكتبت سيرتك الذاتية عام ١٩٦٤ فما رأيك فى هذا اللون من ألوان الأدب.. أدب الاعترافات أو السيرة الذاتية ؟

ـ أنا أجده من أمتع ما يقرأ لا سيما إذا كان الشخص الذى يكتب حياته شخصًا ليس من النمط المألوف.. فمثل هذه الشخصية غريبة وثرية، وحياة لم يألفها الإنسان العادى الذى غالبا ما تكون حياته رتيبة .. ولكن الفنان والشاعر والسياسي غير ذلك ولكن حتى إذا كانت السيرة الذاتية تتوفر لها الخبرة إلا أنها لاتكون مشوقة إلا إذا صبت فى قالب أدبى لأنها أدب .. وأنا كتبت سيرتى الذاتية مبكراً جداً عام ١٩٦٤ عندما كنت فى بيروت وأنا لست معتزاً كل الاعتزاز بهذه السيرة لأنها جاءت قبل أوانها ثم إننى بالغت فى القالب الأدبى لأننى كتبتها فى قالب رمزى صرف .. وأردت فى ذلك الوقت أن أكتب حياتى من الداخل.

فلقد تصورت فى سيرتى الذاتية أنه يوجد ثلاثة جوانب تتصارع الجانب الانفعالى الهمجى الذى على فطرته لا تربطه ضوابط عقلية أو اجتماعية والجانب العقلى ثم جانب المثل العليا التى قد يستطيع الشخص تحقيقه أو لا يستطيع .. وعلى العموم أحسن وأفضل ما فى هذه السيرة هى مرحلة الطفولة المبكرة التى أعتقد أننى كتبت عنها بشكل جيد.

● نحن نعرف أنك تنتهج المنهج العلمى فى الفلسفة فهل تطبق ذلك فى حياتك الشخصية أم أن العاطفة والانفعالات حكمها عليك ؟

ـ العلم الذى هو العقل هو جزء من الإنسان .. وللإنسان أجزاء كثيرة أخرى أنا مثلا أحب الأدب .. أستمتع بالشعر والغناء والموسيقى والتصوير، وهذا لا يتناقض مع العلم .. والإنسان يتناقض مع العلم .. والإنسان عبارة عن منزل مؤلف من أدوار كثيرة .. أحد هذه الأدوار هو العقل، بما فيه وما يتبعه من علم .. هنالك ميدان خاص لابد أن يكون الحكم فيه للعقل وللمنهج العلمى وميادين أخرى كثيرة لابد أن يطلق للوجدان فيها المجال الفن والمشاعر، هكذا هو الإنسان .. ولكن سر الخلط هو أننا فى مجال العقل نحكم الوجدان وفى مجال الوجدان نحكم العقل وهذا يحدث كثيراً.

• وهل فى حياتك الشخصية تستطيع ألا تخلط بين المجانين؟

ـ بقدر امكانى .. لنفرض أننى أعد محاضرة لكى ألقيها بالجامعة فهل ألقيها شعرا أم أحاول أن أنظم عناصرها كما يقتضيها منطق السياق والموضوع؟

• وإذا أخطأت هل تحاسب نفسك حساباً عسيرًا على هذا الخطأ؟

ـ نعم .. فحسابى لنفسى بعد ذلك يكون عسيراً جداً، وأشعر بقلق شديد جداً كلما تذكرت الموقف الذى شعرت فيه بأن عقلى قد أخطأ .. ولكن فى الوقت نفسه أكون واعياً بالدوافع العقلية التى دفعتنى لهذا التصرف الخاطئ .. مثل مواقف الخجل مثلاً ..

• عملت فى التدريس بجامعة الكويت وجامعة بيروت فما هى ذكرياتك عن هذه المرحلة؟

ـ فى جامعة بيروت عملت لمدة نصف عام فقط .. أما فى جامعة الكويت فقد قمت بالتدريس فيها خمس سنوات من عام ١٩٦٨ إلى عام ١٩٧٣ .. فى بيروت ذكرياتى تنحصر فى كونها كانت أشبه بأجازة بعيداً عن أعمالى العديدة فى القاهرة وزيادة على ذلك فإن الحياة الثقافية فى بيروت جيدة وبسرعة شديدة وجدت نفسى أنخرط فى الحياة الثقافية البيروتية .. أما فى الكويت فذكرياتى فيها جميلة جداً وأصدقائى فيها كثيرون وكانت فترة سعيدة ومثمرة فى حياتى.

● وعن شواغلك الفكرية.. ماذا تقول ؟

ـ الخط الذى يشغلنى أكثر من أى خط آخر هو كيف نصب الثقافة العربية المعاصرة بحيث تكون أصيلة غير منقولة وتكون فيها العناصر الثقافية التى يموج بها العالم وتشغل العمل العالمى الآن.

● أخيرًا .. لقد لعبت أدوارًا عديدة اجتماعية .. فأنت المفكر والأستاذ والمعلم والفيلسوف والناقد والأديب .. فما هى أحب هذه الأدوار إليك ولمكوناتك الفكرية ؟

ـ اللحظات التى أكتب فيها شيئًا يعجبنى هى أهم وأحب أدوارى لنفسى .. فأنا أعشق الكتابة والمحاضرة معا .. أن أكتب .. وأن أحاضر تلك هى متعتى الكبرى.

* * *

د. زكى نجيب محمود

حديث الدكتورة سهير القلماوى

فى كل يوم تسأل نفسها أربعة أسئلة هى ماذا أديت نحو نفسى؟ ماذا أديت نحو أسرتى؟.. ماذا أديت نحو وطنى ماذا أديت نحو الإنسانية وفى الحقيقة لقد أدت الكثير نحو نفسها وأسرتها ووطنها والإنسانية؟ لقد جاهدت وأعطيت بسخاء فى مجالات كثيرة وخاصة مجالات الأدب والنقد والقصص والصحافة والأدب الشعبى والتدريس الجامعى... صاحبة الذكريات هى الأستاذة الدكتورة سهير القلماوى.

- وبدأت حوارى معها حول الخلاف على نطق اسمها فهل هو سهير بضم السين أم سهير بفتح السين؟ فقالت:

المسئول عن ذلك هو الإذاعة فأول ما عملت فى الإذاعة نطق المخرج اسمى بـ سُهير فلم أصحح عليه النطق السليم فانتشر هذا الخطأ وأصبح الكثيرون ينطقون هذا الاسم بالنطق الخطأ.. وأنا سميت بهذا الأسم على حسب رغبة جدتى أم والدتى التى كان لها أصول شركسية

وأنا ولدت وقت السحر وهذا الوقت يسمى باللغة الشركسية بسهير، ولهذا أصرت على تسميتى بهذا الاسم إنما النطق السليم هو سهير بفتح السين وكان هذا الاسم من الأسماء النادرة قبل أن تنتشرة الاذاعة فى استضافتها العديدة لى بعد ذلك بالنطق الخطأ.

● إذا بدأنا الحديث عن طفولتك فما هى البيئة التى نشأت فيها وذكرياتها؟

- أنا ولدت من أم وأب مصريين كنا أسرة مكونة من ستة أولاد توفى ثلاثة وبقى ثلاثة وأنا دائما أتذكر شقيقتى المتوفاه والمسماه بعنايات وكانت تصغرنى بثلاث سنوات وكنت أنا أذهب للمدرسة وحدث أن مرضت بمرض الحصبة ونقلته لشقيقتى عنايات وأنا شفيت وذهبت مرة أخرى للمدرسة وظلت هى مريضة وكنت حزينة لمرضها جدا. وكانت هناك أنشودة تتغنى بها المدرسة تقول. يا نجمة المساء يا أبهى ما فى السماء اسمعى هذا الدعاء ثم نقول الدعاء فأنا من شدة خوفى على شقيقتى وعلى حالة الحمى التى ألمت بها طلبت من نجمة المساء أن تخفض درجة حرارتها إلى درجة الصفر متصورة أن هذا هو الشفاء.

وعندما رويت هذا الدعاء لوالدى أفهمتنى أن هذا الدعاء خطأ لأن درجة حرارة الصفر معناها الموت والطبيعى أن تكون درجة الانسان ٣٧ والمهم توفيت شقيقتى بعد عدة أيام من هذا الدعاء وحزنت حزناً شديداً عليها وتصورت أننى السبب فى وفاتها.. وهذه الواقعة تركت أثرا عميقا لدى وإلى الان لدرجة اننى من وقتها لا أطلب من الله شيئًا

محدوداً بعينة، وإنما انا دائمة الدعاء بأن يوفقنى الله وينصرنى ويسعد أولادى وهكذا. أشياء عامة ولا أجرؤ أن أطلب طلباً محدداً بعينه من الله سبحانه وتعالى.

• كطفلة صغيرة فى المرحلة الابتدائية هل كانت الرغبة شديدة فى المعرفة واضحة لديك والتى تطورت بعد ذلك وجعلت منك د. سهير القلماوى الشخصية النسائية البارزة فى دنيا العلم والأدب والثقافة.

أنا كنت فى مدرسة أجنبية مدرسة امريكانى لأنها كانت قريبة لمنزلنا فى العباسية وكانت هذه المدرسة مدرسة ممتازة كانت تحرص على تعليم التلاميذ عادة القراءة وكنا دائماً عندما ننتهى من العام الدراسى نأخذ حوالى ستة كتب لكى نقرأها اثناء الأجازة ونكتب عنها تقرير وكانت معظمها أعمال أدبية وهذا ما جعلنى أقرأ كثيراً من الأدب الانجليزى والأمريكى ثم كانت المدرسة تجعلنا نحاول أن نحصل على المعلومات وبذلك نبحث أيضاً عن الكتب هذا بجانب فضل هذه المدرسة الأخرى فى أشياء وجوانب عديدة فكنا نؤهل لكى تكون لدينا معلومات تفيدنا كزوجات المستقبل. فأنا أتذكر أننا بجانب الدراسة العادية كنا نتعلم مبادىء الصحة وعلم نفس الأطفال ومبادىء التغذية.

لذلك كنا نظل ثلاثة عشر عاما فى المدرسة ولكنى اختصرت المدة لأننى كنت أمتحن فى مايو ثم فى سبتمبر وكان هذا نظاماً معمولاً به آنذاك لأننى كنت أريد الالتحاق بكلية الطب بدأت القراءة لحسن الحظ كانت بهذا المعنى كانت الكتب تختار لنا فى البداية من قبل التربويين

وبهذا بدأت القراءة بشكل صحيح وسليم، وكنت عندما أعجب بكتاب ما لمؤلف ما أبحث عن باقى مؤلفاته وأقرأها وكنت طول عمرى متفوقة.

• ذكرتى أنك كنت تختصرين الدراسة وتدرسين عامين دراسيين فى عام واحد لرغبتك فى دخول كلية الطب فهل كل قراءاتك كانت أدبية أم علمية أيضا؟

- فى المرحلة الثانوية اتجهت إلى قراءة كل ما يتعلق بالطب والعلم ووالدى كان طبيباً جراحاً وكنت كثيراً ما أذهب إليه فى عيادته لكى أساعده وكنت راغبة بشدة فى أن أكون طبيبة وأيضاً من شدة ولعى بالطب قرأت فى علم النفس على اعتباره معرفة نفسية المريض بجانب معرفة جسمه.

• لماذا إذن لم تدخلى كلية الطب رغم هذه الرغبة الشديدة فامتهان مهنة الطب

كان عميد كلية الطب آنذاك طبيباً انجليزيا وكان الاستعمار الانجليزى مهيمنا فرفض دخولى كلية الطب لأننى فتاة فهو يرى أنه لاداعى لأن تتعلم المرأة المصرية الطب لأن ذلك سوف يزيد من تقدم المجتمع بالإضافة إلى ذلك اننى خريجة مدرسة أمريكية وكان هناك وقتها صراع بين التعليم بالطريقة الإنجليزية والأمريكية الإنجليز وكانوا ينظرون إلى التعليم الأمريكانى على أنه سطحى أكثر من اللازم.

• نستطيع أن نشكر هذه الظروف مجتمعة أنها أعطتنا الأديبة والمفكرة والدارسة والناقدة الكبيرة دكتورة سهير القلماوى أنت خريجة مدارس أجنبية فلماذا عندما دخلتى

كلية الاداب تخصصتى فى قسم اللغة العربية وآدابها فما هى قصة دخولك وتخصصك فى العربية وأنت بعيدة تماما عنها ؟

الفضل فى ذلك يرجع لأستاذى العظيم عميد الأدب العربى د. طه حسين فقد تعرفت عليه عن طريق خال لى كان يساعدنى وينصحنى بدخول كلية الآداب وكانت الثانوية الأمريكية فى ذلك الوقت يجب أن تجرى لها امتحانات معادلة للجامعة المصرية إلا قسم اللغة العربية وأصر الدكتور طه حسين أن أدخل قسم اللغه العربية.

رغم ضعفى الشديد فيها لأننى درست كل دراستى باللغة الإنجليزية وكنت أدرس اللغة العربية فى المدرسة دراسة ضئيلة جّدا لا تتعدى الساعتين أسبوعيًا فكان دخولى لهذا القسم مأساة بالنسبة لى. كنت تعيسة جداً بدخولى هذا القسم فى البداية وكان فى نيتى أن أنهى دراستى الجامعية بأى شكل من الأشكال ثم أدرس الطب بعد ذلك فى مصر أو فى الخارج وكنت أستطيع أن أسافر بعد دراستى الثانوية مباشرة ولكن كنت صغيرة السن فرفض والدى سفرى فى هذا السن ولذلك قررت أن أنهى دراستى سريعاً لكى أدرس الطب كما ارغب.

● ولكن ماذا حدث بعد ذلك جعلك تتركين هذه الرغبة الشديدة فى دراسة الطب وتغوصين فى دنيا الأدب العربى وعالمه الساحر؟

الذى حدث أننى تعبت كثيرا. ففى السنة الأولى فى الجامعة كل الأقسام يتلقون سنه أولى عامة وكان بها اللغة الإنجليزية والفرنسية

واللاتينية ولذلك كنت الأولى على دفعتى فى السنة الأولى.. فى السنة الثانية كان على أن أكون الأولى على دفعتى وإنما جاهدت لكى أتفوق وفعلاً كنت الثانية على دفعتى وأما السنه الثالثة والرابعة فأخذتهم فى امتحان واحد لأن نظام الجامعة كان آنذاك أن ننقل من الفصل الثالث إلى الرابع دون امتحان.

● هل كان معك زميلات فى قسم اللغة العربية؟

- أنا دخلت الجامعة وليس عندى فكرة عما تكون عليه الحال فى الجامعة ودخل معى فى كلية الآداب أربع فتيات وفى كلية العلوم أربع فتيات أيضا.

● ما هو نشاطك الجامعى بجانب تحصيلك العلم، هل كان لديك نشاط جامعى عدا تحصيل العلم؟

- وأنا طالبة فى العام الدراسى الأول والثانى كان كل اهتمامى وجهدى منصباً على تحصيل العلم فى الجامعة نظراً لصعوبة قسم اللغة العربية علىّ لأننى كما تعرفين كنت لا أجيدها تماما نظرا لدراستى الإنجليزية.. ولكنى فقط كنت أتمرد على بعض التقاليد وقتها فمثلا كانت الفتيات يلبسن زياً واحداً، وهو زى طالبات الثانوى أنا كنت أرفض موضوع الزى الموحد وأرتدى ما أرغب بحيث يكون لائقا بفتاة الجامعة. ولكنى انطلقت فى النشاط الجامعى قرب التخرج.

● دكتورة سهير.. علاقتك بالدكتور طه حسين علاقة فريدة فهى علاقة الأستاذ بتلميذته التى يتوسم فيها النبوغ العلمى؟

الدكتور طه حيسن كان أكثر من والدبالنسبة لي وبدأت علاقة الأبوة بينه وبينه بعد أن شعر فى البداية بالشفقة تجاهى وبأننى مسكينة لأنى كنت أضطر فى البداية أن أكتب كل الدروس بالإنجليزية ثم أترجمها للعربية وكان يرى فىّ المثابرة والإصرار.. ثم بدأ يقر بأننى من الممكن أن أكون طاقة طيبة ممكن أن أعطى فى هذا المجال فبدأ يعتنى بى دراسياً وكنت أحيانا كثيرة أثور وتنتابنى حالات رفض لهذه الدراسة من شدة صعوبتها على.. فكان يغضب منى ثم يهدأ ويناقشنى بهدوء ودائما كان يقول لى إننى مثله فقد واجهه هو صعوبات فى دراسته نظراً لكف بصره وكان يهدئ من ثوتى ومن غضبى ويشجعنى على التفوق والجلد وفى الحقيقة كان هذا هو الدكتور طه حسين الأستاذ معى ومع غيرى من طلبته الذين يستحقون احترامه العلمى.. وأنا أذكر أنه كان ذات يوم يعمل ببحث عن طرفة من العبد فكتبته كالعادة أولا باللغة الانجليزية ثم ترجمته للعربية وكان واضحا أن الدراسة مترجمة من الإنجليزية. وأخذ يناقشنى فى هذا البحث واندفعت فى قولى إننى لا يهمنى متى عاش أو توفى طرفة من العبد ولكن كل ما يهمنى هل شعره جيد أم لا. وهل أستمتع بشعره أم لا ففوجئت به ينهرنى أمام الطلبة ويسألنى لماذا إذن دخلت الجامعة إذا كانت المسألة بالنسبة كى فقط تذوق وانطباع وأخذ يعلمنى كيف ندرس ونتعلم ونتنور ونفقد نقداً موضوعيًا والفرق بين الدراسة الجامعية والثانوية والفرق بين دراسة الشيء وتذوقه فقط، الدكتور طه حسين علمنى الكثير فى العلم وفى الحياة.

● بعد أن تخرجتى ظللت مدةثلاث سنوات دون وظيفة؟

لم أكن أرغب فى الوظيفة فكنت أحب الصحافة جداً ولكن كنت أود أن أكتب فى جريدة يومية سياسة كان هذا هو هدفى.. وكان د. طه حسين يصدر جريدة الوادى وفاوضته فى أن اخذها منه فطلب منى أن أذهب إليه مع والدى وبالفعل ذهبنا إليه وأطلعنا على الديوان التى تراكمت عليه جريدة يومية ليست مسألة سهلة كما كنت أتخيل والرغبة فى كتابة مقالات سياسية يومية ليس معناها أن أمتلك جريدة فالمشاركة ليست بهذه البساطة.

● لكنك كتبتى فى هذه الفترة فى بعض الجرائد؟

- نعم كتبت فى جريدة كوكب الشرق ومجلة الرديو التى كان نصفها أجنبى ونصفها عربى و كنت مسئولة عن النصف العربى كنت أنا أيضا أكتب فى مجلة الرسالة والثقافة ومجلة ابوللو الشعرية وكنت اكتب فيها شعراً.

● ماذا كنت تكتبين فى هذه الجرائد والمجلات أى المواضيع كنتى تطرحين؟

- كنت اكتب كتابة ادبية ونسائية وعن الثقافة وشعراً ايضاً.

● متى نظمتى الشعر ولماذا لم تستمرى فى كتابة الشعر؟

فى الجامعة حاولت نظم الشعر.. ولكنى لم أستمر فى كتابة الشعر لأننى لم أرض عنه وكانت وجهة نظرى أنه شعر ليس جيداً وليس على المستوى الذى أرغب فية والدكتور طة حسين كان رأيه أننى يجب ان استمر فى كتابة الشعر وانه كبداية لاباس بشعرى ود. طه حسين ايضا

بدأ بكتابة الشعر ولكنني شعرت أن الشعر ليس هو المجال الذى أستطيع أن أنبغ فية ومن أهم الأشياء التى مارستها فى تلك الفتوة هى علاقتى بالاذاعة و. فقد كنت أقدم حديثا أسبوعيا لمدة ٤٠ ق أتحدث فيها كما أشاء وفى موضوعات شتى، سياسة ادب فـ..

● ولكن أن تفرد لك الاذاعة حديثاً أسبوعيا مدته ٤٠ ق كانت فرصة لا تأتى الا لكبار الأدباء والمفكرين أمثال طه حسين والعقاد والمازنى فكيف وأنت كنت مازلت فى بداية الطريق.

أعتقد أن أستاذ الجيل والمفكر الأستاذ لطفى السيد هو الذى رشحنى لهذا الشرف فقد كان يرى فى أملا وموهبة جديدة يجب بأن تأخذ نصيبها وحقها وانا كنت خلال عملى فى الصحافة قد تعرفت عليه واجريت معة أحاديث عديدة وعرف مدى جديتى وأنا دخلت الإذاعة فى بداية عملها وحتى قبل أن تبدأ الاذاعة عملها تقدمت مع اخرين لعمل اختبارات صوتية لنا ونجحت فى الاذاعة المصرية تانى يوم بثها على الهواء وأنا أتذكر أنه كان حديثا يوميًا ثم استمريت فى عمل الإذاعة وبعد ذلك عينت فى الجامعة كمعيدة.

● اتصور أنها لم تكن مسألة سهلة بالنسبة لك.. وايضًا بالنسبة للمجتمع فى ذلك الوقت فالمجتمع لم يكن قد تعود بعد على أستاذة من النساء يدرسن بالجامعة.

ـ فى البداية طلبت من د. طة حسين والدكتور أحمد أمين أن ادخل معهم المحاضرات كمساعدة وأقوم بتلخيص ما يقولانه للطلبة ولكنهما

أصرا على أن أدخل كمحاضرة ومدرسة وبالفعل كانت لدى محاضرة مساء كل يوم اربعاء بطلبة الفرقة الأولى وكانت عامة تجمع بين طلبة الآداب وكانت وقتها الجامعة مفتوحة يستطيع أى إنسان ان يدخل إلى قاعة المحاضرات ويستمع وكانت عملية فى غاية الصعوبة أن أسيطر على هذا الجمع وأن إدرس لهم الشعر جاهليا فكنت اتبع طريقتين الطريقة الأولى هى أننى أوجة حديثى لآخر طالب فى القاعة ثم الطريقة الثانية وهى الأهم أن أبد مباشرة بكل ما هو مشوق وجميل وسهل فى الشعر الجاهلى وابتعد عن كل ما هو غريب وصعب حتى اثير اهتمام الطلبة بالفعل كانت لا تمعن سوى دقائق وأسيطر تماما على كل القاعة.

● أستاذة سهير القلماوى أريد أن ترجعى بى وبالذكريات إلى يوم حصولك على درجة الماجستير حيث أنه كان يوما مشهودًا فقد حضر المئات بل أكاد أقول الآلاف.

كان فعلاً يومًا رهيبًا لن انساه ابدًا فقد كان حاضر حوالى عشرة الاف فرد كان د. طه حسين قد دعا د. ليتمان لى استاذ د. طه حسين وهو على مستوى عالى جدا من العلم والمعرفة وأنا شعرت أن حضور هذا الاستاذ كممتحنة لى فى رسالة الماجستير شرف كبير جدا لى وكان موعد سفر د. ليتمان يوم الخميس.مساء فقرر ان تكون مناقشة رسالتى الخميس صباحا وبذلك سوف يعرف كل الطلبة وسوف يعرفون جميعا فتوقعت ما سيحدث وتحدثت مع الدكتور طة حسين فى هذا الامر فنهرنى وقال أننى طالما واثقة من نفسى فيجب ألا أهتم بعدد الحضور

وبالفعل حضر عدد غفير من الطلبة وعدد كبير أيضًا من الخارج وامتلأت القاعة وهى قاعة المؤتمرات الكبرى بجامعة القاهرة باكثر من عشره آلاف فرد وذلك حدثاً فريداً فى تاريخ مناقشة الرسائل الجامعية .. ولم استطع السيطرة على هذا الجمع الغفير خاصه انه كان عدداً كبيراً آخر خارج القاعة يريد الدخول للاستماع للرسالة وبالفعل اقتحمو القاعة ودخلوا ولذلك اعلنو تأجيل الامتحان حتى ينصرف أكبر عدد من الحاضرين وبالفعل ناقشت الرسالة بعد انصراف الجمهور إلى حد كبير.

● وما هو موضوع الرسالة (الماجستير) ؟

كانت عن أدب الخوارج

● أنت تزوجتى الدكتور يحيى الخشاب فمتى وكيف تعرفتى عليه ؟

- كان هو طالب بعثة فى باريس قبلى وعدنما ذهبت إلى باريس للدراسة تعرفت علية و لكننا صممنا ؟ إلا نتزوج الا بعد أن ينهى هو دراسته وبعد أن أنهى انا دراستى ايضا وتزوجنا فى مصر زوجا تقليديا عائلياً وقد حدث ذلك بالفعل.

● وهل ذهبت فى باريس للحصول على الدكتوراه ؟

نعم فقد كنت ذاهبة لجمع المادة العلمية والحقيقة كنت اعمل باجتهاد شديد جدا فى تحصيل الغلم وايضا للاستفادة فى باريس بأقصى ما استطيع فقد درست بجانب دراستى الساسية درست علم النفس وحضرت حلقات دراسة عديدة بجانب دراستى الأساسية وانفتحت أمامى الآفاق بشكل كبير جدا.

لان باريس تتمتع بحركة ثقافية كبيرة جداً وكانت ملتقى العديد من الأجناس والناس وكنت أنتظر كل دقيقة لكى أنهل من العلم والمعرفة وكنت اتمتع بالحياة الثقافية والفنية بأقصى حد كنت أشاهد المسرح وأشاهد مسرح الأطفال لأننى اهتميت بفن الأطفال جداً.

● أستاذة سهير إذا تحدثنا عن ابداعاتك فى مجال الأدب سوف نتوقف أولا عند أول مؤلفاتك وهو أحاديث جدتى.

هذا فقط أول كتاب نشرلى وكنت قد نشرت عنه مقال واحد فى جريدة الودى وهو مجموعة قصص او بالأحرى مجموعة لوحات فى شكل أحاديث تقصها جدتى على ونستطيع أن نرصد التطور الذى حدث للمرأة العربية بعد جيلين.. أيضا يتضمن بعض الذكريات العائلية والحقيقة سبب اصدرى لهذا الكتاب هو وفاة والدى الذى حزنت علية حزنا شديداً لأننى كنت مرتبطة به ارتباطا وثيقا وكان صديقا وابا ومعلما فاقترح على د. طه حسين لكى يخرجنى قليلا من حاله الحزن هذه أن اكمل المقاله التى كنت قد نشرتها فى جريدة الوادى وان اكملها فى شكل كتاب يضم هذه اللوحات الادبية وكان هذا الكتاب فية كثير من تسجيل الأحداث وظهر الكتاب وقوبل بالاستحسان الشديد وطبع عدة مرات.

● بعد رجوعك من باريس وحصولك على الشهادة العلمية هل تقدمتى مباشرة للحصول على رساله الدكتوره؟

- نعم

● ماذا كان موضوعها؟

- كانت عن الف ليلة وليلة

● واستمريت فى عطائك فى السلك الجامعى كأستاذة فى قسم اللغة العربية حتى أصبحت رئيسة لهذا القسم؟

- نعم وانا عملى كأستاذة يسعدنى سعادة كبرى فانا لا أنسى ما استفدته من اساتذتى الاجلاء وأود أن اكون نافعة ايضا ومؤثرة فى طلبتى كما أثروا هم فى.

● قمت بتأليف أول كتاب ناطق العربية للمكفوفين وكان هذا حدثا هاما غير مسبوق فى الكتب العربية فلماذا فكرتى فى هذه الفكرة؟

- الواقع انه كان عبارة عن كتاب احاديث جدتى وسجلت لهم جزءاً كبيرا منه ثم كتب بطريقة برايل للمكفوفين لكى افتح لهؤلاء الطريق امام عالم المعرفة على طريق برايل.

● أنت أول سيدة تعمل فى المجلس الاعلى للفنون والاداب؟

- نعم كنت اول سيدة اعمل فى المجلس الأعلى للفنون والآداب.

● عملك فى المجلس الاعلى للفنون والأداب سيجعلنى انتقل معك إلى اهتمام آخر من اهتماماتك الأدبية وهو اهتمامك بالفنون الشعبية؟

- دراستى لرساله الدكتوراره وهى عن كتاب الف ليلة وليلة يعتبر إلى حد ما فناً شعبياً ولكنه مدون ولكن الفكرة هى اننى اهتميت بالقصة بالذات كفن ادبى والقصة الشعبية فى الف ليلة وليلة.

• علاقة الاستاذ بتليميذته والاب بابنتة النجيبة والتى كانت تجمع بينك وبينه د. طة حسين كانت علاقة فريدة فى نوعها كثيرا ما كان د. طه حسين يقسو عليك ويستفزك امام زملائك وأمام الأساتذة فهل كان ذلك لايسبب لك حرجا ؟

ـ أنا استفدت كثيراً من معاملة والدى الروحى د. طة حسين لى فقد كان يتعامل معى بمزيج من المحبة والعطف ويساعدنى كثيرا لأنه كان يرى فىّ تصميمًا وجلداً وحبا للمعرفة والتفوق وكان أيضا يمزج كل هذا بالكثير من الاستفزاز والقسوة احيانا لكى يحفزنى على مزيد من الإنطلاق الفكرى وحتى لا أركن للتفوق العادى وكنت أشعر أنه يعتزبى ولكنه لا يجاملنى أبدا مثل الآخرين وكنت أمامه أشعر بجهلى الشديد وكان باقى اساتذتى يشعرون بأننى مظلومة ولذلك كانوا يقدمون لى المساعدة فأنا كان من الممكن أن أدخل قسم اللغة الانجليزية وأتفوق فيه تفوقا شديده فكان مثلا أستاذى الدكتور إبراهيم مصطفى أستاذ النحو يقول لى إذا قيست المسأله بالمجهود فعلية أن يعطينى مائة من عشرين درجة ولكن على الواقع أن ١٢ كثيرة عليك كانت دراستى فى قسم اللغة العربية تحدى خطير جدا بالنسبة لى ود. طه كان يحب أن يشعرنا بالخطأ الشديد ثم يحنو علينا بعد ذلك.

• عام ١٩٥٩ حصلت على جائزة للادب ولم تكن الجائزة الأولى التى تحصلين عليها جوائز قبل جائزة الدولة التقديرية التى تمنح الآن بعد ثورة ١٩٥٢ المصرية كانت هناك جائزة تسمى جائزة فؤاد الأول

وهى جائزة الدولة الرسمية وحصلت عليها عن كتاب المحاكاة وهو كتاب فى النقد الادبى وهو من أوائل الكتب ان لم يكن اولها الذى يتعرض لنظرية النقد عند اليونان بشيء من الاصاله اى انه لم يكن مترجما.

• إذن من حياتك الشخصية نقول أنك زوجة وأم لولدين وإنك بعد الزواج ظللت مدة بدون إنجاب فلماذا وهل كان ذلك بسبب الدراسة والعمل وما هو إحساسك بالأمومة وهل صحيح انك فى البداية فضلتى التفوق العلمى على الأمومة.

- انا الحقيقة إلى الان إذا نظرت إلى أى طفل فى الشارع أجد نفسى منسافة الية فأنا أعشق الأطفال.. أحب الأطفال.. أحب الأطفال فى أى سن وأنا كنت فى غاية التعاسة عندما قال طبيب أننى لن استطيع الانجاب.. كان هذا الخبر مأساة بالنسبة لى فعرضت عليه أن يعرضنى لكل انواع العلاج لكى اكون أما وأنجب فظلت لمدة أربع سنوات اعالج علاجا قاسيا إلى أبعد حد وكل ما كان يضايقنى ان الناس كانون يظنون اننى أرجئ مسألة الانجاب بسبب انشغالى الشديد بعملى وبمستقبلى المهنى كان هذا يؤلمنى جداً وكنت دائمًا احاول افهام المحيطين بى باننى ارغب رغبة شديدة فى الانجاب وان وجود الأولاد سيسعدنى ولن يعوقونى ابدا عن الاجادة فى العمل إلى أن من على الله بانجاب ابنى الأول وكانت عملية الولادة فى غاية القسوة والصعوبة ولكنى عندما سمعت صوت طفلى.. احسست انه أخيراً جاء الفرج لكى اتخلص من الالم وعندما رأيته بعد الافاقة من البنج كدت أجن به وبشغفى عليه.. وبعد اربع سنوات اخرى من العلاج انجبت ابنى الثانى.

● أستاذة سهير ذكرتى ان منزلك يوجد به مكتبة ضخمة ومكتبات اخرى صغيرة وهذا ليس بمستغرب على منزل الاستاذة سهير القلماوى ولكن ذلك يذكرنى باهتمامك الشديد بأنه يجب أن تكون لكل اسرة فى منزلها مكتبة وهى دعوة تهتمين بها جدا ؟

- الحقيقة ان منزلى عبارة عن مكتبة كبيرة بداخلها بعض الأثاث ففى مكتبى مكتبة فى حجرة نومى مكتبة وفى كل مكان كتب ولا اعرف عدد الكتب التى لدى انا وزوجى فنحن الاثنان نتعامل مع الكتب والمكتبات

● هل حاولت ان تغرسى فى أولادك حب القراءة مثلك ؟

- أولادى لم يتجهوا للأدب ولا للغة ولا أدرى السبب فأحد أبنائى طبيب والآخر مهندس وانا لم اتدخل إطلاقا فى اختيارهم لخط حياتهم.

● انت ايضا عملتى كرئيسة الاتحاد النسائى العربى لعام ورئيسة خريجات الجامعة ؟

- نعم خريجات الجامعة هى رابطة محلية مصرية أما الاتحاد النسائى العربى العام فهو الاتحادت النسائية لكل البلاد العربية من الكويت للمغرب.

● أنت كتبتى أدبا وترجمتى وكتبتى أكثر من مائة قصة ودخلت معارك ادبية كثيرة وعنيفة نستطيع ان نقول انك محاربة جيدة.

ـ المعارك الادبية تعتبر معارك وليست معارك في آن واحد فهى موضوع معين نختلف فيه انا اتذكر معركة أدب الشباب عندما كنت فى هيئة الكتاب وكان هناك رغبة فى نشر ما يكتبه الشباب وانا كمسئولة كان لدى ميزانية محدودة ولدى قارىء يحب أن أحترمه ولا اقدم له إلا ما يستحق أن بقراءة فكنت أسمح بنشر أشياء وأؤجل بعضها وأرفض البعض الآخر فثار الشباب على متهمين اياى با ننى لا اشجع الأدباء الشبان وأنني ضدهم وطبعا هذا غير صحيح على الإطلاق لانى كنت أنشر لشباب كثيرين.

● توليك مسئولية رئاسة هيئة الكتاب يعتبر مسئولية كبرى ؟

ـ نعم ولكن للأسف وبكل دقة لايوجد انفاق حقيقى على هذه الهيئة ولدى ملف كبير ملىء بالمال بالمطالبات والمذكرات لكى تزداد الميزانية ويزداد النشر فنحن هيئة حكومية لها رساله فى نشر القراءة وكنت أريد أن أشجع الشباب على القراءة وأرغب الاطفال أيضا فى القراءة وأعودهم عليها واقرب الثقافة العالمية للوجدان والفكر العربى واقدم مفاتيح علوم قواميس ودوائر معارف وإلى آخره فكان هذا هو هد فى لهذه الهيئة وعملت فيها خمس سنوات واعتقد اننى عملت خطوات على الطريق تاركة غيرى يكمل هذا الطريق الهام والصعب.

● انت الان بماذا تشتغلين ؟

ـ أنا حالياً أدرس فى الجامعة كأستاذ غير متفرغ.. أربع ساعات فى الاسبوع وادرس فى معهد الدرسات العربية وايضا اكتب فى الدرسات

العربية وايضا اكتب فى بعض المجلات واكتب بعض الكتب مثل كتابى عن الدكتور طه حسين واجمع كثيرا من مقالاتى لكى تظهر فى شكل جديد

• د. سهير القلماوى لك حكمة جميلة فى الخياة فانت دائما تسألين نفسك اربع اسئلة هامة وهى ماذا أديت نحو نفسك، ماذا أديت نحو اسرتى، نحو وطنى. وماذا أديت نحو الإنسانية؟

- هذه هى التجمعات الاربعة التى يكون الانسان مسئولاً امامها فانا دائما أسأل نفسى هذه الأسئلة ودائما أحاسب نفسى فى لحظات الحزن والفرح والانتصار والهزيمة..

وأنا اذكر شىء لطيف لاحدى مدرساتى وأنا صغيرة كانت دائماً تقول وتنصحنا دائما عندما نواجه بضيق وأى احباط فاحضر ورقة وقلما ونكتب الاشياء الجميلة فى حياتنا والاشياء السيئة والتى لا نرضى عليها قطعا سنفاجأ بأن الاشياء الجميلة فى حياتنا اكثر بكثير من السيئة.. ففى الحقيقة ان الانسان كثيراً ما ينسى نعم الله سبحانه وتعالى عندما تواجهنا بعض المشاكل والمصاعب.

• ولكن بالطبع عندما تواجهى نفسك بهذه الأسئلة الأربعة تجدى بأنك اعطيتى واديتى الكثير لنفسك ولاسرتك ولوطنك وللانسانية.

- انا اعتقد اننى لم أعط شيئاً ولم أؤد كما يجب ياريت أستطيع ان أعطى ما ارغب فى اعطائة.

وهكذا دائما الكبار يشعرون رغم عطاءاتهم الكبيرة انهم لم يعطو شيئاً ونراهم يشعرون بضاآه ما قدموه رغم انه الكثير. رحم الله الكبار رحمة واسعة فقد أناروا لنا الطريق وتركونا فهل نحن جديرون فعلا بمواصلة المشوار؟

الشاعر صلاح عبد الصبور

عندمـا أصـدر شـاعرنـا ديوانه الأول «الناس فى بلادى» عـام ١٩٥٧ قامت الدنيا ولـم تقعد إلى الآن.. فقد جاء من يحـدث تياراً جـديداً فى ديوان العرب ـ الشعر ـ اقتحم كالعاصفة بحار الشعر ضخ للقصيدة العربية دماً جديداً باهراً.. تمرد على القصيدة التقليدية العمودية والكلاسيكية.. وأرسى أسس الشعر الحديث ـ مشعر التفعيلة ـ وخرج عن النمط التقليدى للشعر العمودى.. خرج بالقصيدة العربية إلى آفاق رحبة واسعة وهو يعد رائداً من رواد الشعر الجديث مثله مثل:ـ نازك الملائكة وبدر شاكر السياب.

مزج بفنيه شديدة البعد الاجتماعى والسياسى.. هو شاعر مجدد جرئ صاحب الضمير المعرفى والثقافة العربية رفيعة المستوى صلاح عبد الصبور أثر على ا لثقافة العربية بشعرة ونثره ومسرحياته الشعرية امتد أثره فى الشعر الحديث لأجيال عديدة بعده وهو يرى أن الشعر يعيد الاتزان للإنسان.. بدأ تجربته الشعرية بالتقليد تقليد قدامى الشعراء

الكلاسيكية وأصبح رائد التجديد أو من رواد التجديد فى شعرنا العربى.. ذهبت إليه فى مكتبه على كورنيش نيل القاهرة حيث كان مسئولا عن حركة النشر فى مصر وخاض معارك كثيرة طوال عمره سواء كشاعر أو كموظف عام مسئول عن هيئة ثقافية كبرى.. ذهبت إليه وفى رأسى أسئلة عديدة ولكننى بادرته بتساؤل على ألسنة الناس وفى الأذهان.. هل مازلنا نحتاج فى حياتنا التى تتسم بالعملية والصخب والضجيج.. هل مازلنا نحتاج للشعر؟

● وهل مازال للشعر أهميته وسط هذا العالم الذى يجرى من حولنا ابتسم ابتسامته اللطيفة وقال بحماس.

- صورة العلم والكون وسع دائرة معلوماتنا.. فأصبح القمر غير القمر والوردة غير الوردة التى تحدث عنها الشعراء.. وأدركنا أن القمر عبارة عن حجر ملىء بالتجاويف.. كان القمر عبارة عن قرص لضوء عال وجميل ومحال الوصول إليه واكتشفنا أنه سطح بارد حجرى والضوء الذى نراه هو عبارة عن انعكاس أشعة الشمس عليه.. ولكن لا العلم ولا اضطراب الحياة وتقصيرها ولا أى شىء يستطيع أن يحجب الشعر عن الإنسان.. لأن الإنسان توجد بداخلة منطقة فى نفسه لا يخاطبها إلا الشعر وهى المنطقة الوجدانية.. الإنسان يتلقى الشعر بالمنطقة الحارة الدافئة داخل نفسه ويتلقى العلم فى المنطقة المحسوبة الهادئة وبالنسبة لاضطراب الحياة من حولنا يظل الشعر وسيلة حفظ التوازن ففى زحمة الاضطراب يلجأ الإنسان إلى مكان هادىء إلى صديق يألفه إلى موسيقى إلى لوحة رسم وأيضا إلى قصيدة شعر فينتقل الإنسان من هذا

العالم المضطرب إلى عالم آخر هادىء يعيد إليه التوازن بحيث يستطيع بعد ذلك أن يواجه العالم المضطرب وهو سوى.

● المتتبع لشعرك يلاحظ أنك من شعراء المدينة وذلك يتضح فى استعمالك لبعض كلمات فى شعرك.. مثل المقهى. الحانات. الشقق.. فهل أنت متأثر بالمدينة أكثر من تأثرك بالريف.

ـ أنا من مواليد المدن الصغيرة والمرتبطة بالريف أكثر من ارتباطها بالمدينة.. ولكن النقلة الرئيسية فى حياتى هى انتقالى للقاهرة لدخول الجامعة.. فالقاهرة بالنسبة لى كانت عبارة عن خروج من العالم الضيق إلى العالم الواسع فعندما كنت أذهب للقاهرة فى العطلات المدرسية أختار شارع ٢٦ يوليو بوسط القاهرة ثم أدخل السينما التى تعرض أفلاما أجنبية.

● إذن أنت عشت ما بين الريف والمدن.. ما أثر تلك البيئات عليك؟

ـ الواقع اهتمامى أكثر بالأفكار وليس بالمشاهد.. فأنا دائماً أقول أن الحياة سواء فى الريف أو فى المدن.. ليست تفتح الأعين على المشاهد والأماكن والمناظر ولكن ما تثيره هذه المشاهد من أحاسيس وتأملات.. وأنا أحببت القاهرة جداً جداً.. فاغترابى عن القاهرة يجعلنى فى شوق إليها كشوق الحبيب للقاء محبوبته.. وأنا فى الغربه دائما يأتينى حلم بأننى فى القاهرة وأنا عرفت القاهرة القديمة معرفة جيدة وصورتها مازالت فى ذهنى من باب الشعرية للحسين مروراً بالجمالية وبالأحياء

المختلفة.. عرفتها وأحببتها هى مدينة مليئة بالحياة عرفت فيها ماكنت أريد أن أعرفه وهو الاقتراب من عالم الفكر والقراءة والفن.. فالتقيت بالكتب وبالكتاب والفنانين والتقيت بالأساتذة والمفكرين وكانت هذه المرحلة هى مرحلة التشكيل الحقيقى.

● كيف بدأت علاقتك بالشعر.. هل بدأت بقراءة الشعر أم باكتشافك للموهبة الشعرية بداخلك؟

ـ علاقة الشاعر بالشعر تبدأ دائما بالتقليد أى بالقراءة. حتى فى الفنون التشكيلية ـ أى أن الفن هو الذى يخرج الانسان الشاعر وفجأة يجد نفسه يحب ما يقرؤه من شعر فمثلا وأنا صغير كان زملائى يشعرون بأن الشعر القديم فى دراسة النصوص عبء وأنا على العكس أحب قراءة الشعر ثم وجدت أن ذاكرتى فى الشعر حادة ثم يشعر الإنسان أنه يستطيع أن يقول كلاما موسيقيا كل الفنون تبدأ بالتقليد ثم بعد ذلك يبدأ الانسان فى التقليد.

وأنا كذلك بدأت بالتقليد.. تقليد النصوص الدراسية الشعرية وكتاب المنتخب فى أدب العرب، فمثلا قصيدة عمرو بن كلثوم التى يفتخر فيها بنسبة وشرفه.. كتبت قصيدة على وزنها على طريقه عمرو بن كلثوم ـ ثم يأتى كما لو كان جاء هاتفى قم فأنت شاعر فحاولت أن آخذ من نفسى واكتب وهذه هبات مجانية فالإنسان يجد كلمة فيكتب.. جايز تكون ساذجة ولكن توجد فيها محاولة تكوين صورة شعرية.

وكان والدى يقرأ شعرى وكل مدرسة كان فيها مجموعة من الطلاب لها اهتمامات أدبية فكنا نجتمع ونقرأ لبعضنا بعض اهتماماتنا

الأدبية وأيضا الأساتذة كانوا يهتمون بالأدب ورحبوا بالموهبة الشعرية التى كانت بداخلى.. أستاذ منهم أستاذ اللغة العربية كان يشجعنى وكان يعيرنى كتبا عكس أستاذ آخر كان يرى أننى فاشل لأننى لا أكتب بطريقة تقليدية ولا أرعى التقاليد المرعية .

شعرت بأن الحياة الأدبية حية وأحدث هذا الديوان حركة هائلة فى الأوساط الأدبية ما بين مؤيد ومهاجم فالديوان أتى بالجديد فى التيار الشعرى وكل ما هو جديد يجد المؤيد له والمخالف وهذا يعطى بعضاً من الرضا واكتشفت أن هذا هو الطريق الذى سأمضى فيه وهو طريق الكتابة وأن رهانى على نفسى لم يكن خاسراً وإن كان لى بعض الحق بأننى أصر على الاتجاه الأدبى.

● قصيدة زهران بالذات فى هذا الديوان كانت من أهم القصائد ؟

- زهران الجديد، هو تقديم شخصية من دنشواى كإنسان يواجه هذا الظلم بشرف وشجاعة.. كان فيها مزج ما بين فنية القصة وفنية القصيدة هذا هو الجديد فقصة دنشواى كتب عنها من قبل كثيرا وأمير الشعراء أحمد شوقى كتب عن مذبحة دنشواى. الجديد فى قصيدة زهران أننى قدمت الإنسان. فى هذه المذبحة حياته ومواجهته للجلادين.. القصيدة لما نشرت سنة ١٩٥٤ كانت من القصائد التى نبهت الكثيرين إلىَّ كشاعر. .بعد نشرها تلقيت مكالمات عديدة منهم كامل الشناوى الذى أصر على مقابلتى إثر نشر هذه القصيدة وأصبحنا أصدقاء وأيضا من د. لويس عوض الذى تعلمت منه كثيرا عن الأدب

الإنجليزى وأيضا توفيق الحكيم والذى أصبحنا أصدقاء بعد ذلك فهذه القصيدة فتحت أمامى عالما ساحرا.. أنا الآن عندما أفكر فى هذه الأيام أشعر بمدى الحيوية الموجودة فى الحياة الأدبية فهى متسعة بحيث تستوعب الأصوات والمواهب الجديدة بجدية.

● لو ننتقل نقلة أخرى للديوان الثانى، أقول لحكم الملىء برموز الترث العربى.. فكيف تنظر للتراث العربى وأنت رائد التجديد فى الشعر العربى.. ألا يوجد مفارقة هنا؟

أنا دائماً لى نظرة للتراث فلنقل إنها نظرة نفعية فإذا ورثت منزلاً هل أتركه هكذا أم أحاول تجميله، فالتراث حياة وليس تحنيطاً أنا قارىء جيد للتراث العربى خاصة فى مجال الشعر والتراث العربى أين زمنه أين عصره فأنا أتصور أن المتنبى لو وجد شعره الان فستكون المسافة متسعة جدا ما بينه وبين الناس فى معظم ما يقول ولكن سيبقى بعض ما قاله خالد على مر الزمن وهو ما يتعلق بالإنسان كإنسان.. فالتراث العربى فيه ما يتعلق بالإنسان كإنسان والمتنبى فى حكمه عن الإنسان سيبقى خالدا فمثلا عندما يقول من بهن يسهل الهوان عليه ما لجرح يميت إيلامى ولكن عندما يمدح سيف الدولة هذا يتعلق بعصره ولذلك يجب إعادة النظر للتراث بهذا الشكل ولكن ذلك يتطلب شجاعة وذوقاً.

الأديب يصنور من التراث فالتراث العربى بالنسبة للشاعر يعلمه اللغة فالأدب إحساس وفن لغوى.

فاللغة بالنسبة للأديب هى الأداه التى يستعملها فالنجار الذى لا يعرف أنواع الخشب لا يصبح نجاراً جيدا.

فالكاتب اللغة هى أدواته ولكن يجب ألا نكون أسرى للتراث فأنا أستمد من التراث بجانب اللغة استمد منه الأساطير التى أخاطب بها الوجدان الجمعى لأننا ورثنا ثقافة معينة تشكل عندنا رموزاً معينة فتوجد كلمات من التراث مليئة بالمعانى تثير فى سامعيها معنى معيناً. كذلك بالنسبة للشخصيات الأسطورية والتاريخية تثير فى نفس أى إنسان نفس القدر من التداعيات والمعانى إذن استعمال الأديب المعاصر لهذه المعانى والشخصيات تكون لإثارة الوجدان الجمعى ومخاطبته.. ولكن العبودية للتراث وتقليده لا يخرج أدبياً.

● ديوانك الثانى أقول لكم، صدر سنة ١٩٦١ فهناك فترة طويلة بين الديوان الأول والثانى لماذا؟

- هذه الفترة حوالى ثلاث سنوات.. أنا لا أستطيع أن أكتب إلا إذا أردت أن أقول شىء بداخلى فأنا متهم بأنى مقل فى الكتابة.. أنا أيضا لى عشرة كتب نثرية ما بين الدراسة والتاريخ والأدب، فالكتاب النثرى يجمع مادته ويرتبها ثم يبدأ الكتابة.. أما الشعر شىء آخر فالقصيدة تكتب نفسها.. فهى تلح عليه إلى أن يكتبها الشاعر.

● هل التجربة الذاتية لها دخل فى إثارة الشعر داخل الشاعر؟

- التجربة الذاتية كلمة واسعة. فهل هى تجربة فعلية أم قد تكون تجربة عقلية فكرية. فيوجد الحدث ويوجد الحدث الفكرى أو الوجدانى أو العقلى.

● هل يوجد فى الشعر عملية «إلهام»؟

ـ يوجد الإلهام والصنعة معا.. الإلهام يأتى للشاعر، فالإلهام كما يقول الشاعر الفرنسى فاليرى الإلهام يعطينا مطلع القصيدة وعلى الشاعر أن يكمل القصيدة من المخزن بداخل الشاعر مخزن بشرى من أفكار ورؤى وتجارب وتذكارات.. مخزن غير مفهرس،، هنا تدخل الصنعة ماذا يريد أن يقول الأديب أو الشاعر هذا ما يجعل الأديب أديبا..

● لاحظ بعض النقاد أنك فى ديوان «أحلام الفارس القديم» أنك كنت فارسًا مهزومًا يائسًا مقهورًا فهل هذا صحيح ولماذا كنت فارسًا بلا أسلحه؟

ـ الإنسان عندما تمضى به الأيام فترة طويلة.. فالإنسان مع الزمان يكتسب الحكمة ولكن مع الحكمة تضيع الفرحة خاصة عندما يكون الانسان أديبا أو فنانا لأنه يكون سطحا معرضًا للرياح والأمطار كل شىء ينعكس عليه.. عموما الحزن بداخل الإنسان قوى إيجابية لأن معناه أن الإنسان يطمح للأحسن والأفضل لأن الرضا على كل شىء هو نوع من التطور الذهنى والعقلى فى الحياة لأن مفروض أن يكون لدى الإنسان رغبة للأخسن فيرى تقصيره فى الماضى وكل تأمل يوجد قدر من الإحساس الهادىء الحزين.

● أنت وثيق الصلة بالمسرح فكتبت «مأساة الحلاج» «ليلى والمجنون» «الأميرة تنتظر» و«عندما يموت الملك». و«مسافر ليل» متى دخل المسرح فى حياتك وكيف؟

كان لدى رغبه.. من بداية حياتى للكتابة للمسرح لكن تجربتنا مع المسرح كمصريين أبناء مدن صغيرة غريبة علينا فأنا لم أر مسرحا فى حياتى حتى شبابى إلا مرة واحدة فمعرفتنا بالمسرح كانت من خلال القراءة لذلك ما أدين به من فهم المسرح أوربى فى الأساس لأنه حتى توفيق الحكيم. تأثر بمسرح برا نديللو والمسرح الطليعى الفرنسى. فالمسرح أوروبى مستنبت فى مصر واستنباته مر بظروف تعسة. بدأ بشكل جيد ثم دخل عليه الغناء والاقتباس فانحرف عن التيار المسرحى الأصلى وأنا كان دائما لدى حلم الكتابة للمسرح.. وكنت أنظر لمسرح شوقى كتجربة رائدة الذى لمس جزءاً من التراث فى مجنون ليلى وأيضا لمس جزءا من المسرح الأوروبى بالنسبة لى حاولت فى عام ٥٨ أن أكتب مسرحية عن الجزائر ولكنى وجدت نفسى أدور فى فلك شكسبير وأقع أسير شخصية هاملت. وجدت نفسى أكتب عن مثقف يقع فى حيرة بين الفكر والعقل شخصية هاملتية.. فنزعت الورق ثم حاولت أن أكتب مسرحية عن «الزير سالم» وجدت نفسى أقع تحت أسر شكسبير فى يوليوس قيصر. ثم بدأت كتابة (الحلاج) وهى أول مسرحية تكمل وكتبتها سنة ١٩٦٤ وكثير من النقاد وجودا أنها متأثرة (ت. س. إليوت) فى الحقيقة هى ليست متأثرة باليوت بالذات ولكن بمسرحيات الاستشهاد بوجه عام: أى الإنسان الذى يقف أمام المجتمع وهو يعلم أن المجتمع سوف يدينه ويعاقبه.. فالقوى الشريرة فى المجتمع سوف تفرض عليهم الموت وهم يعرفون ذلك ولا يأبهون بنجاح المسرحية المدوى أدهشنى أنا أيضا.

• أنت شاعر متطور باستمرار إذا نظرنا إلى أعمالك نجد انك دائما متطور فمثلا مسرحية مأساة «الحلاج» و«الأميرة تنتظر» شجر الليل الإبحار فى الذاكرة؟؟؟! الناس فى بلادى... أقول لكم... أحلام الفارس القديم.

ـ أنا حريص ألا أكرر نفسى وأنا أخاف من تجربة تكرار الفنان لنفسه حتى لا يقع أسير تجربة ومما قد يحسب لى هو الصدق وإضافة ملمح جديد فى التجربة الشعرية العربية.

• هل مازال أو هل حقيقى أن أعذب الشعر أكذبه

ـ لا أعذب الشعر أصدقه.. لأن الشعر هو الصدق والصدق الفنى غير الصدق الفعلى.. الصدق الفنى وليس العقلى.

• أنت رئيس مجلس إدارة الهيئة المصرية للكتاب الذى جلس عليه توفيق الحكيم ويحيى حقى وسهير القلماوى. فماذا تنوى أن تفعل بعد هؤلاء؟

ـ صنعة الكتاب من الفكرة إلى يد القارىء وأيضا توزيع الكتاب الأجنبى وأرجو أنه مع دور الزمن يكون الكتاب ضرورة للإنسان.

صلاح عبد الصبور من أهم عشرين شاعراً فى القرن العشرين على مستوى العالم كله الذين أثروا تأثيراً كبيراً فى الحركة الشعرية الإنسانية وهو كما قال الشاعر العربى الكبير أدونيس.. مفصل من مفاصل الشعر العربى.. وبلغ عن أهمية شعره أن قدمت فى اشعارة سبع وعشرون (٢٧) رسالة ماجستير ودكتوراه وكتب أربعون كتابا فى تحليل شعرة وكتابته.

الشاعر الكاتب عبدالرحمن الشرقاوى

عبد الرحمن الشرقاوى، نبت أصيل من أرضنا الطيبة أحب أرضه وعشقها وأحب الفلاحين الطيبين والذى هو واحد منهم، فجاءنا عشقه مجسداً من خلال أدبه والذى جاءنا عشقًا صادقًا ونبضًا مليئًا بالعمق والأصالة ضيفنا شاعر وأديب وصحفى ملتزم.

قيل عنه إنه أمير الشعراء الجديد، طوّف فى عالم الشعر والنثر فأبدع لنا رواية (الأرض) و (الشوارع الخلفية).

وأبدع مسرحياته الشعرية الجديدة والتى أحدثت الكثير من الجدل والمناقشات، ثم أبدع فى دراساته الإسلامية وأمتعنا بالعميق والجرئ والجديد من فكره الأصيل نعيش مع ذكريات أديبنا الراحل الكبير عبدالرحمن الشرقاوى.

- (المتتبع لحياة (عبدالرحمن الشرقاوى) يُلاحظ أنه صموت جداً عن الحديث.

ونلاحظ أنه فى حياة المشاهير من يعتبر أن حياته ملك خاص له ولايجب أن يزيح الستار عن حياته وهذا اتجاه.

● وهناك اتجاه آخر يعتبر أن حياته الخاصة جزء هام من حياته مع الناس، وكل إنسان له موقف فى فلسفته هذه فما موقفك أنت؟

- المسألة متوقفة على مدى ارتباط كل من الحياة الخاصة والعامة للمشاهير فالإنسان مثلا - الذى مهنته الكتابة يوجد الكثير من الأشياء الخاصة تؤثر فى حياته العامة، أى أن هذا الجزء قد أثر فى كتاباته ومن هنا فقد أصبح ملكا للجمهور وللناقد الذى ينقده أو النقاد الحق فى معرفة هذا الجزء ولكن هناك أشياء خاصة جداً وشخصية جداً لا تهم أحداً إلا صاحبها فليس هناك حد فاصل بين ماهو شخص وماهو عام والفيصل والمقياس فى ذلك هو الجزء الشخصى الذى يؤثر فى تكوين الإنسان فى جزئيه العام وهذا مالا يملكه الإنسان وإنما هو ملك للجميع.

● أين نشأت؟

- نشأت فى قرية ريفيه فى المنوفية اسمها (الدلاتون) مركز شبين الكوم، وتعلمت فى هذه القرية القرآن الكريم وتعلمت فى المدرسة فى شبين الكوم ثم انتقلت إلى القاهرة لأننى كنت أصغر إخوتى الذين تلقوا تعليمهم بالجامعة.

● لقد أثرت حياتك فى القرية على أعمالك وبخاصة رواية الأرض ورأينا كيف كان (عبدالرحمن الشرقاوى) مرتبطا بالأرض والقرية وكيف أنه قد نقل لنا كل هذه التفاصيل.

فكيف كانت، أو ماشكل حياتك فى القرية؟

- أنا مرتبط بالقرية ارتباط جذرى وعضوى لأن أسرتى مازالت فى القرية إلى الآن، فتحت تراب القرية أعز الناس (والداى) وهناك زملاء الدراسة والأقارب، وحياتى فى القرية كانت كحياة أى طفل يعيش مع أسرته ويتعلم، وكان والدى محب للتعليم فعلمّنا جميعًا، ومنذ نعومة أظافرى وأنا مستشعر (أزمة حياة الفلاح) ومشاكل القرية.

● وما الذى جعلك تحس بمشكلة الفلاح والأرض فى حين أن هناك أناسًا آخرين من القرية لايشعرون بهذه المشاكل؟ ولم تؤثر فيهم؟

- لقد شعرت بأشياء كثيرة بالنسبة للقرية فقد شعرت بمشكلة الفلاح وأزمة الفلاح والذى جعلنى أشعر بهذه الظروف السياسية والتاريخية الوقت الذى نشأت خلالها فقد كانت ظروف غليان فأنا ولدت عام (٢٠م) أى بعد غليان ثورة ١٩١٩م، وبعد ذلك حتى عام (٢٥) كان هناك صراع سياسى مرتبط كثيراً بالصراع من خلال الحياه اليومية، فالثورة كانت منفجرة ضد الانجليز من أجل ارادة الاستقلال وإرادة الحريات العامة للناس فالحياة العامة للفلاح لم تكن فلسفة إنها حياته وملكه والحرية كانت تعنى بالنسبة للفلاح حياته وألا يضطهد أو يظلم لكى يحصل على نصيب أكثر عدلا من عمله والاينتزع أحد أرضه وهذه الفترة كانت فترة غليان وتموج، أحيانا تنتصر الإرادة الشعبية وأحيانا تهزم وهكذا.

● وهل وعيت كل هذا وأنت صغير؟

ـ لقد كان كل شئ واضحاً لأن كل هذه الأشياء مرتبطة بحياتنا الاقتصادية فمثلا تحدث حالات ركود ثم حالات انتعاش وهذه مسائل من صميم حياة الفلاح اليومية، فحالات الركود كانت تسبب أزمة للفلاحين وتحرمهم من أبسط حقوق الحياة. والمشاكل اليومية كانت مرتبطة قديماً ولازالت فى كل بلدان العالم (بالسياسة).

والفلاح كان يصارع من أجل حياة أفضل وكان يسير وراء الفلسفة السياسية التى تحقق له مزايا حياتيه أكبر فمثلا فى ثورة (١٩) ثار الفلاحون فى وجه الاستعمار من أجل الحياة، والصراع السياسى هو الوجه الآخر لمسألة الصراع فى الحياة اليومية.

● بالنسبة لك كطفل هل تراكمت كل هذه الأشياء بداخلك فى اللاشعور؟

ـ نعم لأنى وعيت كل هذا من خلال رؤيتى لحال القرية والناس وكنت مهتما بالحياة السياسة بحكم الحياة التى كانت مفروضة علينا حينئذ.

● هل أثرت هذه الأشياء فى ظهور مواهبك بالمدرسة؟

ـ معروف أن الفلاحين يحبون السمر والروايات الشعبية وأناكنت أقلد هؤلاء وأحب سماعهم، وقرأت كتباً كثيرة وترجمت الكثير من الأعمال التى تتناول حياة الناس البسطاء، وقد كتبت الشعر وأنا فى سن التسع سنوات.

● هل لاحظ أحد من حولك بزوغ هذه الموهبة أم لم يلاحظها أحد؟

ـ لا أعرف، ولكن كنت أتلقى التشجيع من إخوتى الكبار ووالدى والمدرسين وكنت أقرأ كثيراً، ولقد قال لى أحد الأساتذه (لكى تكتب

صفحة أقرأ مائة صفحة) (وفى مقابل كل بيت تكتبه احفظ ألف بيت من الشعر).

● وماذا عن ذهابك للمدينة (القاهرة) لكى تكمل تعليمك، وانت المحب للأرض والقرية.

- هناك عالم سحرى اسمه المدينة وكنت مبهوراً بها ولكنى فوجئت فيها بأشياء كانت غير مألوفة فى القرية مثل أن نشترى الأكل مثلاً والعيش واللبن وهذه أشياء لم نكن نشتريها بل كانت موجودة دائما.

● هل أثر فيك صخب المدينة ؟

- لا أحب صخب المدينة لأنى ألفت الهدوء، وحتى العلاقات بين الناس كانت مختلفة فى المدينة عن القرية، فالقرية فيها التوحد والانسجام، فالفرح فرح القرية وحزن واحد هو حزن القرية بأسرها أما فى المدينة فالعلاقات تكاد تكون غير موصولة.

● ما هى ذكرياتك أثناء دراستك الثانوية، بمعني هل اهتمت بالصحافة وهل نشرت ماكتبته، وماهى قراءاتك فى هذه الفترة ؟

- فى القرية لم يكن الاحتلال أمامنا بل كنا نهتف ضده أما فى القاهرة فقد رأيت الاحتلال أمامى، ولكن القاهرة أتاحت لى التعرف على الكثير من الأنشطة الثقافية مثل المسرح، وفرق الكوميديا وكنت أحب الريحانى وخاصة أننى حاولت أن أكتب مسرح قبل أن أراه.

هناك أيضاً المحاضرات الخاصة بالثقافة وخاصة محاضرات د. طه حسين بالجامعة هذه المحاضزات أعطتنا جميعًا زاداً فكرياً كبيراً،

وحرية الفكر، ومحاضرات في الأدب العربى، ومحاضرات فى القانون (للأستاذ السنهورى) الذى فصل من الجامعة نتيجة لموقفه المعارض للحكومة والسياسة فى ذلك الوقت.

وقد استفدت كثيراً من الصفحات الأدبية، وأيضا الجلسات الشبابية التى كان إخوتى يعقدونها مع أقرانهم من ذوى الثقافة والفكر وكنت أجلس معهم وأعرض عليهم إنتاجى وكانوا يشجعوننى.

● إذن فأنت نهلت من كل هذه الأشياء التى أتيحت أمامك من مسرح ومحاضرات وصحف وكتب وندوات ولقد تشعت بكل هذه الأشياء وعشت حياة المدينه الثقافية.

- نعم وحتى الخطاب السياسى فى هذه الفترة كان قطعة أدبية فكان السياسيون فى الخطب يتبارون فى البراعة الأدبية، وأيضا انشغال الشباب بتحرير الوطن وكان هذا الشغل الشاغل لهم.

والنظرة عمومًا للثقافة كانت نظرة عميقة وكانت حركة الترجمة نشطة وكان للإذاعة دور كبير من خلال عرضها لكتب ثقافية ومسرحيات مترجمة وكانت مصر نافذة مفتوحة لكل الأروقة الثقافية.

● أنت التحقت بكليه الحقوق.. فلماذا لم تلتحق بكلية الاداب مثلا؟

- التحقت بكلية الحقوق وكان والدى حريصًا على حرية الإنسان من خلال أنه جعلنى لا ألتزم بعمل حكومى، واختار لى كلية الحقوق.

وأناكنت محبا لدراسة الحقوق وكنت أتمنى أن أجمع بين الآداب والحقوق وكنت متابعا لمحاضرات كلية الأداب وأنا قد رسبت فى الليسانس

وعلى الرغم من ذلك لم يقُس والدى علىَّ فى هذه الفترة بل على العكس عاملنى معاملة جيدة لأنه كان يعلم أننى أعرف مصلحتى جيداً.

● وعن بداية نشره لبعض أشعاره ومقالاته سألت الأديب الراحل عبدالرحمن الشرقاوى فقال.

- وأنا فى سنة (ثالثة) بدأت أنشر عن طريق البريد ونشرت فى مجلة الثقافة - والرسالة، حتى تأخرت قصيدة لى يوم أو أسبوع فقررت أن أسأل عن سبب هذا التأخير، حينما عرف أننى فى سنة ثالثة رفضوا النشر وبعدها نشر لى صاحب مجلة الرسالة حينما علم بتخرجى لأنه كان يعتقد أن الاهتمام الزائد بالأدب والصحافة يقطع على صاحبه خط التعليم فى الجامعة.

● هل بعد تخرجك من كلية الحقوق عملت بالمحاماة؟

- عملت محامياً تحت التمرين لمدة عام ثم محامٍ فى الحراسة ثم عملت بوزارة المعارف.

● وهل فى هذه الفترة لم يكن هناك انتاج فنى وأدبى؟

- بالعكس كنت أكتب شعراً وقصة وقد التحقت فى هذه الفترة بهيئة خريجى الجامعة ثم أنشأنا مجلة وعملت أنا رئيس تحريرها فيما بعد ثم قبض علينا وحل الاتحاد عام ١٩٤٦.

● وصلتك بالصحافة؟

- معظم مقالاتى فى الصحافة كانت من الخارج وكنت فى عام ٤٥ مسئولاً عن مجلة الطليعة ثم مجلة الفكر التى اشتركت فى تحريرها ثم بعدها التحقت بالعمل فى وزارة الثقافة.

● عبدالرحمن الشرقاوى أديب وشاعر وصحفى ولكن أهم أعمالك الروائية الأرض وكثير من النقاد قال أنك حين جئت لتعبر عن الأرض عبرت بأصالة شديدة، عبرت بكل العمق عن الأرض المصرية وعن ارتباط الفلاح بها ولكن حينما عبرت عن الفلاح قال بعض النقاد أنك عبرت عنه كمستشرق جاء يعبر عن الفلاح؟ فهل ضايقك هذا الكلام؟

- بالطبع، لأننى فلاح وقد ناقشت النقاد فى هذا كثيراً لأنهم لايعرفون الفلاح الذى أعبر عنه.

● لماذا لم تكمل الأرض بالتغير الذى حدث فى حياة الفلاح بعد ذلك؟

- الفلاح هو الأرض وهى كلها معالجة لمشاكل القرية المصرية بعد هذا التطور ومسرحية مثل مسرحية (الفتى مهران) مسرحية شعرية لها إطار تاريخى وأبطالها فلاحون ومثقفون وعاملون فى الأرض.

واهتمامى بالفلاح ليس ناتجًا عن نظرية فنية عندى بل لأننى عايشته وأنا لا أحب أن أكتب إلا عن شىء أعرفه، وأيضا حينما أكتب عن المدينة أكتب عن الناس الذين عرفتهم.

● ظاهرة إرتباط الأديب بالأرض والفلاحين فى تيار الأدب العالمى ونذكر مثلاً رواية (الدون الهادئ) للكاتب «شلوخوف» ورواية (فونتا مارا) «للكاتب سيلونه» فهل هو تأثر بهذا التيار العالمى أم عكست تجربتك الذاتية فى هذا المضمار وهذا اللون من الأدب؟

ـ الكتابة عن الأرض قديمة وحتى بعد عرض فيلم الأرض عرض فيلم يابانى يتناول مشكلة الأرض، لأن مشكله الأرض وعلاقة الفلاح بالأرض علاقة إنسانية وليس لها حدود ولم تكن أبداً مجرد علاقة إقليمية.

وأنا قرأت كل ما أتيح لى قراءته من الأدب المترجم بمختلف اللغات والأرض التى أكتب عنها والفلاح الذى أكتب عنه هو فلاح ينتمى لهذه الأرض ولقد دعيت للقاء بجامعة السوربون لعمل لقاء مع الطلبة الذين يدرسون الأرض، وقال أحد الحاضرين إن الفلاحين فى قريتى تشاحنوا لدرجة القتل بسبب الخلاف على الماء ثم بعد ذلك جلسوا فى منتهى الحزن متأثرين بما حدث وهذا يدل على أنه لاتوجد أحقاد عادة لدى الفلاح والعلاقات الإنسانية علاقات عامة لاوطن لها.

● التزام الكاتب وحدود هذا الالتزام فمن كتاباتك نعرف أنك ملتزم بقضايا الناس في حدود عصرك، فإلي أي مدي يجب أن يرتبط الأدب بالمرحلة الزمنية الموجودة والتطور الاجتماعي والاقتصادي في المرحلة التي يكب فيها الأديب.

ـ الأدب تعبير عن أى تطور تعبير الحياة وهو أيضًا ريادة للحياة فهو معبر وقائد والأديب يشعر بمسئوليته وأنه يجب أن يعبر عن الحياة، والحياة تيار زمن منظور.

وأنا ضد إلزام الكاتب أن يفعل شئ معين التزام الكاتب يحب أن يكون من داخله ولذلك فأى التزام حتى ولو كان خارجيا ليس سياسيا فحسب بل حتى إلزام الجمهور له سوف يجعله يفقد جودته الفنيه أى أصالته ورقى عمله.

● بماذا تفسر عدم انتشار المسرح الشعرى وأنه لايوجد جمهور مقبل عليه ؟

ـ عندما يقدم بشكل جديد ويعلن عنه بشكل جيد سنجد جمهوراً كبيراً للمسرح الشعرى وأنا قد شاهدت العديد من المسرحيات الشعرية وتكون صالة المسرح مليئة بالجمهور وأنا أرى عكس كلامك بل أرى أن المسرح الشعرى هو المستقبل وهو يحتاج لتضحية من الجهة المنتجة (الآن التكاليف كثيرة) لأن الشعر والمسرح يمثلان معا أداتين هامتين ومكثفتين فى التعبير فلابد من إخراج هذا العمل بشكل جيد وملائم من ناحية الإخراج والديكور والإضاءة .. الخ ولابد أن تتاح للمسرح الشعرى الإمكانية بأن يقال الشعر من على خشبة المسرح وهو أيضا مسرح دراما يقال بأداة الشعر وأداة الدراما المسرحية .

● هل تعتقد أن المسرح الشعرى يجب أن يكون ذا موضوعات محددة أى أن تكون دراما تراجيدية والبطل تراجيدى وأن يكون مسرحية مشتمله على مأساة ، أم أن المسرح الشعرى يجب أن يعبر عن الحياة العامة للناس .

ـ الشعر يمكن أن يعبر عن أى موضوع وكذلك المسرح الشعرى من الممكن أن يتناول أى موضوع ولكن يجب أن يحدث واقعيًا مايدفع الكاتب لأن يكتب مسرحا شعريا والموضوع ملىء بالتوترات والملحمية وهذا يجعل التعبير عن الموضوع يكون بانفعال شديد .

● نحن نجد معظم الفنون مرتبطة بحياتك أدب ، قصة ، مسرح ، شعر فماذا عن ارتباطك بباقى الفنون ، الغناء مثلا ماذا تحب أن تسمع ؟

ـ أحب الذهاب للبلد لكى أستمع لأغانى الفلاحين ولأن هذا الامر غير متاح لأن أغانيهم غير مسجلة، فأنا أحب الموسيقى العربية.

• مارأيك فى النقد عندنا الآن وهل تعتقد أن ثمة أزمة ماتشوب هذا النقد؟

ـ أعتقد أنه توجد أزمة نقد وأعتقد أن النقاد معذورون فى ذلك لأن المساحة الأدبية المتاحة فى الصحف قليلة وهم أيضا لايمارسون النقد فى حياتهم العادية كما يمارسونه فى الجامعات والنقد الآن غير مواكب للحياة الأدبية.

• أنت تربيت على يد جيل آخر من النقاد فهل استفدت منه؟

ـ نعم استفدت من نقد الكتاب الكبار مثل نقد طه حسين لشوقى حتى ولو كان نقداً قاسيًا فى بعض الأحيان، ونقد العقاد للمازنى ثم الدكتور مندور، ود. عبدالقادر القط، ود/ على الراعى فهناك العديد من أساتذة الجامعات لاتوجد لديهم فرصة النشر للنقد وبالتالى لايستطيع أن يشنر هذا النقد للنص الأدبى.

• فى النهاية أ/ عبدالرحمن الشرقاوى (ماذا تتمنى للفلاح العربى)؟

ـ أتمنى له أن يكون فى مستوى رجل المدينة وليس مستوى الرجل الذى يعانى بل مستوى الرجل الذى يعيش حياة كريمة ويتعلم فقط ويمارس متعه الحياة الثقافية.

● **وماذا تتمنى للأدب عموماً في بلادنا ؟**

- أنا أتمنى أن يأخذ الأدب في بلادنا نصيبه إلى العالمية لأن الأدب - في رأيي - في بلدنا لو ترجم لأخذ مكانة ومكاناً مناسبين بين الآداب العالمية.

كانت هذه ذكريات الراحل الأديب عبدالرحمن الشرقاوي والذى أثرى المكتبة العربية بالعديد من الأعمال الروائية والقصصية والشعرية والمسرحية والدراسات الإسلامية ولكن السؤال الان؟ هل تحقق حلمه للفلاح وللثقافة العربية سؤال يظل حائرا وحزينا.

حديث الذكريات
عبدالله غيث

تذكروا معى هذه الشخصيات

الفتى مهران : الحسين ثائرا وشهيدا: الزير سالم: الخال فانيا: قيس/ كمال الطبال: السيد جاد الله الرجل ذو الوجه القبيح: الغريب. أبو ذوالغفارى. الرواى. موسى بن نصير: ابن تيمية: السيد غسان القسانى.

اما فى السينما فتذكروا أيضا

أدهم الشرقاوى : عبدالله: الضابط محمد فى فيلم ثمن الحرية. حمزة فى فيلم الرسالة.

والإذاعة:

عابد المداح: عبدالجبار وابن زيدون: تتذكر: أكثر من ثلاثين مسرحية ناجحة من أهم أسباب نجاحها عبدالله غيث. صاحب التاثير

الأسر على المتلقى ومالك الموهبة الفنية الساحرة وصاحب تجربة فريده فى الحياة: بدأت معه أنبش فى ذكرياته المتعددة سائلة:

● انا باتصور إن ذكرياتك ستكون ذكريات ثرية جدا. فأنا أعرف أنك لم تكن تخطط لأن يكون الفن هو حياتك أبدا.

- الفن كان هواية منذ الطفولة المبكرة فأنا أتذكر وأنا طفل فى السادسة فى القاهرة: وأنا يشاع عنى أننى أتيت للقاهرة شابا والتحقت بمعهد التمثيل ولكن هذا غير صحيح كان والدى عمدة كفر شلشمون بمنيا القمح بمحافظة الشرقية وهذه القرية لها أهمية تاريخية فيقال إنها كانت عاصمة لمصر وقت حكم سيدنا يوسف علية السلام فاسمها يأتى من شلمة أمون وهواسم فوعوني: والدى توفى وأنا عمرى عام: فجاءت بى والدتى من القرية للقاهرة لأسرتها فهى ابنة عالم كبير من علماء الأزهر فجاءت بى انا وأخى حمدى غيث لكى نتلقى التعليم. فحياتى فى الطفولة كانت موزعة بين شهور الدراسة فى القاهرة ثم أربعة أشهر الاجازة الصيفية فى القرية.

● أنتم فقط اثنان من الإخوة؟

- احنا اثنين أشقاء ولكن لنا إخوة أكبر منا غير أشقاء.

● وكيف كانت الطفولة فى القاهرة مع الوالدة وأخ أكبر فقط؟

- والدتى وأخى وأنا عشنا فى منزل أسرة والدتى: وهذا المنزل كان ربة رجل دين أى جدى فنشأت فى جو دينى جميل وهذا له أثر فى

كفنان حيث إننى أحب وأجيد إلى حد ما تجسيد الشخصية الدينية لأننى نشأت فى منزل يتمتع بصبغه الإسلام وبالشخصيات الإسلامية الوطنية.

● بمناسبة الحديث عن أجادتك تمثيل الأدوار الدينية والتاريخية أنا أظن إنك حفظت القرآن الكريم أو جزء كبيرا منه لإنك تجيد العربية اجادة باهرة ومخارج الألفاظ عندك سليمة سلامة الفصحى السلسة.

- هذا أكيد لأننى ومنذ الطفولة الباكرة وأنا استمع إلى تلاوه القرآن الكريم فى منزلنا وأيضا فى المدارس الاولى كانت قراءة القرآن الكريم مادة أساسية.. فكنت أعيش فى رحاب القرآن الكريم واتذكر أن العلماء كانوا يأتون إلى منزلنا فى المساء ونحن نجلس كأطفال نستمع إلى أحاديثهم الدينية ونحن مبهورين وسط جدنا وخالنا.

● هل هذا الجو الدينى الثقافى الفكرى الجميل الذى كنت تعيش فيه هل كان يثير خيالاتك؟

بلاشك أنا عشقت الشخصية الإسلامية منذ الصغر من خلال الحياة المليئة بعبق الدين الذى عشتة.. وأنا أحب تمثيلها لأنها تسرى فى دمى منذ الصغر.. وأنا لى خط فى تمثيل الشخصية الإسلامية فأنا دائما أحب أن أظهر المسلم فى العصور الأولى للإسلام وصدر الإسلام والصحابة الأجلاء.. أحب أن أظهرهم فى ثوب الفروسية لأن الإسلام قام وانتشر على اكتشاف الفرسان الصالحين.. وأنا أعيب على الكثير من زملائى الفنانين أنهم عندما يتصدوا لتمثيل شخصية من الشخصيات

الإسلامية.. انهم يقدمون هذه الشخصية فى شكل فيه كثير من البؤس والتجهم والكآبة ويكون فى أدائهم رنة بكاء وكآبة وبؤس.. هذا خطأ كبير.. فالشخصيات الإسلامية ليست شخصيات كئيبة وبائسة.. بل هى شخصية قوية شجاعة فسيدنا عمر رضى الله عنه من وصاياه أن علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل وكيف يثبون على ظهور الخيل وثبا.. الفرسان الصالحون هم المسلمون الأوائل الذين كانوا يستقبلون حتى الموت بمنتهى الابتسام والشجاعة لأنهم يدركون أن مابعد الموت سينعمون بالنعيم الذى لاحدود له وأنا أذكر بهذه المناسبة قصة الأعرابى البسيط الذى كان يأكل التمر وهو يشاهد معركة بين المسلمين والكفار وسط صليل السيوف والخيوول واحتدام المعركة نظر إلى المعركة وقال لنفسة افمابينى وبين دخول الجنة سوى ان يقتلنى هؤلاء؟ فترك التمر ودخل المعركة.. هذه الشخصية هى شخصية فارس شجاع همام لاعلاقة له بالكآبة والبؤس.

● أنت اذن نشأت وسط هذا الجو الملئ بالصدق الدينى وبالحديث عن الشخصيات الإسلامية المليئة بالفروسية والشجاعة المثيرة للخيال والمهمة أيضا لكثير من القيم الأخلاقية.

- هذا صحيح.. كان هذا هو الجزء الأكبر فى نشأتى.. وأيضا القرية كانت لها تأثير كبير على حقيقى أن القرية الأن تغيرت كثيرا ولا أدرى هل تغيرت للأفضل أم للأسوأ ولكن الموكد أن القرية الآن تغيرت عما كانت فى طفولتى.. ولكن بالنسبة لى أومن خلال رؤيتى لها أرى أن القرية قديما كانت أفضل.

• لماذا لا تحكى لنا عن القرية فى حياتك وتأثيرها عليك وذكرياتك عنها ؟

ـ أنا كنت أعيش فى القاهرة ثمانى شهور وهى شهور الدراسة ثم أذهب فى الإجازة المدرسية الصيفية للقرية وكانت أربعة اشهر وكان آخر يوم للدراسة فى المدرسة كنا نحزم الحقائب لكى نسافر فورا للقرية. وفى ليلة سفرنا للقرية كنت لا أنام لا أنا ولا أخى حمدى من شدة الاثارة والسعادة والفرحة ونظل نحلم بالقرية وكيف سنستقبل هناك من الأهل والأصدقاء هناك مثل يقول إنه خيرلى أن اكون الأول فى القرية من أكون الثانى فى المدينة كنا فى القاهرة مثلنا مثل كل الناس.، اما فى القرية فنحن أولاد العمدة المتوفى وعمنا عبدالله هو العمدة الحالى وأنا اسمى على اسم هذا العم.

وكان عمى هذا من أجمل الشخصيات التى عاصرتها فى حياتى واحنا ورثنا عنه التمثيل فلو قدر له أن يكون ممثلا كان من الممكن أن يكون أحسن ممثل فى العالم.

كانت له قدرة غريبة فى السيطرة على الجماهير وإثارة الخيال فكان يأسر الجماهير والناس كان دائما يجلس وحوله حوالى خمسين رجلا يستمعون إلى أحاديثه.. وكان صاحب صوت جهورى آسر وكان محبا للحياة وصاحب فلسفة وكلمة فى الحياة وكان جميل الشكل وفارسا فى مظهرة ومخبره. أما والدى فنحن نشأنا ونحن نسمع عنه الأساطير فقد كان أول عمدة مثقف تشهده القرية المصرية مثقف متعلم خريج جامعات كمبردج فى إنجلترا فقد كان أمل جدى أن يكون والدى طبيبا وفعلا تعلم فى القاهرة حتى انتهى من دراسة الثانوية فأرسله إلى انجلترا

لدراسة الطب وأمضى هناك عامين ورجع فى إجازة فقامت الحرب العالمية الاولى فمنعه جدى من السفر مرة أخرى وعوضه عن ذلك بإعطائه أرض أكثر من باقى الإخوة.. فكان هذا الوالد المثقف له تأثير كبير على قريته وكنا نسمع الحكايات عنه ونتصوره كأسطورة وكنا نسمع كيف كان والدى يقابل الانجليز حينما كانوا يغيرون على القرى المصرية وكان يتحدث معهم وكيف كان يجبرهم على أن يكفوا شرهم عن القرية. ويقال إنه أثناء عمله كعمدة لبلدنا لم تحدث أى حادثة سرقة فى البلد باكملها.. وكانت القرية تشهد فترة انضباط شديدة حتى إن الفلاحين كانوا يتركون أدواتهم فى الحقول والمنازل مفتوحة ليل نهار. المهم أننا نشأنا وفى أذهاننا هذا الأب الاسطورى الفارس.

• يبدو أن الفروسية سمة أساسية فى حياتك وأنا طبعا أقصد أخلاق وشخصية الفارس.

- الحمد لله نشأنا سواء فى منزل الجد الذى تشربنا منه الفروسية الإسلامية السوية أو فى منزل الوالد والعم وتشربنا أخلاق الفروسية الريفية والشخصية المصرية العظيمة احنا نشأنا فى كنف هذا العم. ولم نشعر ونحن فى كنفه أبدا بحالة اليتم التى يشعربها اليتامى.. كان يهتم بنا اهتماما بالغا وكان يعتبر نفسه فى مقام والدنا ويعطى لنا الأحترام والاهتمام وكنا ونحن فى القرية نمثل له وللجميع والدنا العمدة المثقف الأسطورة فكنا نذهب معه فى الأعياد نلف على أهل القرية لكى نقدم لهم التهنئة بالعيد كان يغرس فينا قيم العطاء والوفاء والمحبة.

• أنت نشأت فى ظل جو أسرى جميل.. سواء فى القاهرة أو فى القرية.. ولكن ماذا عن بداية الفن فى حياتك؟

- أنا اعتبر أن أعظم مدرسة تخرجت منها هى مدرسة القرية هذه المدرسة هى التى تعلمت منها التمثيل.. فإذا أنت لاحظتى كيف يحكى الفلاح حكاية ماتجديه يحكيها لك مصورة فى شكل سيناريو وتجدى أن الفلاح خياله جامح.. وأنا كنت أعيش فى القرية حياة مليئة بالفن الفطرى ليالى السحر.. فكنا نذهب للجرن نلعب الألعاب الريفية القديمة ثم يبدأ أصحاب الأصوات الجميلة يتغنون بأغانى شعبية ريفية ويتساجلوا بالاغانى كما يتساجل الشعراء بالشعر.. فى هذه الأثناء سمعت موال الفتى مهران وموال أدهم الشرقاوى والذى عشقتة عشق وتصورت نفسى مكانه لدرجة أننى سميت ابنى الأول الحسينى على اسم والدى وذلك طبقا للتقاليد. اما ابنى الثانى فاسميتة أدهم حبا فى هذه الشخصية.

حكاية الفن أيضا لها قصة ففى يوم من الأيام ونحن صغار أحببنا أن نذهب لمشاهدة المسرح وكانت والدتى شخصية فريدة فقد كانت امرأة ريفية بسيطة لم تتعلم ولكنها كانت محبة للثقافة والمعرفة فقررت أن تتعلم وهى فى سن الثلاثين وفعلا تعلمت على يد مدرسات وأصبحت تهوى القراءة. المهم لم تذهب بنا الوالدة إلى أى مسرح أو أى مسرحية كوميدية وإنما ذهبت بنا إلى المسرح الجاد إلى دار الأوبرا المصرية كى نشاهد مسرحية مصرع كليوباترا للشاعر أحمد شوقى وكان هذا هو أول عمل فنى شهدته فى حياتى بهرنا انبهارا شديدا.. كان شيئا ساحراً. وكانت للأوبرا طقوس للذهاب إليها لبسنا البدل الغامقة رغم أننا كنا صغار ولبسنا الطرابيش وذهبنا إلى هذا العالم السحرى شيء رائع.. الجو الذى رأيناه كان جواً ساحرا.. كنا نتصور أننا فى عالم آخر عالم أسطورى من أيام ألف ليلة وليلة.. حتى الأبطال الذين

يمثلون على المسرح كانوا عظماء وأنا أتذكر حسين رياض وزكى رستم. زينب صدقى. أنور وجدى. وروحية خالد. وزوزو حمدى الحكيم وأنابهرت انبهارا لاحد له حتى إنه إلى الآن لاتزال صورة الفنان العظيم حسين رياض لاتفارقنى وهو جالس يقول المونولوج الذى سينتحر فيه.. كيف كانت عيناه تبرقان كالنمر.. أنا لا تفارقنى هذه الصورة وحفظت المسرحية منذ هذه الليلة. حتى إنه لا يزال عالقا فى ذهنى مقاطع من هذه المسرحية. المهم أننا شاهدنا هذا العالم السحرى وأصبنا نحن الاثنين بداء الفن.

● هل صارحتم أحد بهذا لا؟ وهل صارحتم أنفسكم أولا؟

- طبعا كان أخى حمدى أكبر منى بخمس سنوات.. كان فى المرحلة الثانوية، دخل فرقة التمثيل وبدأ يمارس هوايتة فى التمثيل فى المدرسة. ولكن عمى العمدة الشيخ عبدالله عندما سمع أن حمدى يمثل فى المدرسة غضب غضبة عنتريه وذهب للمدرسة وتعارك معركة كبرى مع الناظر لأنه يرفض أن يكون ابنه مشخصاتى وهدد بأنه سيحرمه من مواصلة التعليم فى هذه المدرسة التى تريد أن تخرج التلاميذ مشخصتية وطبالين.. المهم أخفينا علي عمى هذه الهواية وظل حمدى يمارسها فى الخفاء عن عمى العمده. ولكن والدتى كانت تعلم وذهبت معى لكى ترى حمدى وهو يمثل فى المسرح المدرسى مسرحية مصرع كليوباترا وحدثت حادثة طريفة فى هذا اليوم.. فقد كان حمدى يمثل دور انطونيو فى مشهد انتحار انطونيو وكيف أنه انتحر بأنة أغمد الخنجر فى صدره فوجئت بوالدتى تصرخ وتقول ابنى ابنى انتحر.

وجريت عليه بعد المسرحية لكى تطمئن بأنه سليم معاف وكان قد انجرح جرحا بسيطا لأنه لم يكن بعد مكتسبا لحرفية التمثيل.

أنا أحببت هذا الفن وأحببت دخول هذا العالم السحرى ولكن من سوء حظى أننى عندما دخلت المدارس الثانوية.. كانت كل المدارس التى دخلتها لايوجد بها فرقة تمثيل.. فظلت هذه الرغبة مكبوتة بداخلى سنين طويلة. وعندما انتهيت من دراستى الثانوية كان عمى الشيخ عبدالله قد توفى وكان هو الذى يرعى أمورنا فى البلد وإدارة الأرض الزراعية التى نملكها. فكان أمامنا خياران.. أن اتولى هذه المهمة أو يتولاها أخى حمدى.. حمدى كان يسير فى دراسته وأنا كان داخلى حلم أن أعيش فى القرية فذهبت فعلا للقرية وعشت هناك ست سنوات أزرع الأرض وأعيش حياة الفروسية الحقيقية وكانت أسطورة أدهم الشرقاوى دائما فى ذهنى فعشت حياة الفارس هناك واستطيع أن أقول إن هذه السنوات الست التى عشتها فى القرية كعمدة هى الجامعة التى تعلمت فيها الحياة. وهى التى لها الفضل الكبير فى إجادتى لتمثيل شخصية الفلاح أو الإنسان المصرى بكل هذا الصدق والواقعية وأنا أزعم لنفسى بأننى أحد اثنين صححوا مفهوم شخصية الفلاح المصرى فى الأعمال الدرامية، الاستاذ شفيق نور الدين وأنا.. فالأستاذ شفيق أبدع من مثل الفلاح فلاح ماقبل الثورة. وأنا بلا غرور أبرع من مثل الفلاح الحديث فلاح مابعد الثورة أو الفلاح المقتحم.. فقد كان الممثلون يقددمون الفلاح بشكل ساذج عبيط يختلف تماما عن حقيقة الفلاح الذى يتميز بالذكاء والمكر والخبث أيضا.

• ست سنوات فى القرية عشتها كأسطورة وكنت سعيداً فيها.. فهل فى هذه الأثناء توارى وتراجع حلم الفن عندك؟

- لا فرغم حبى لمجتمع القرية وعشقى له إلا أنه كان يوجد شيء مابصدرى يلح على. شيء مكبوت بداخلى يريد أن ينفجر أن ينطلق.. كنت أسبوعيا أذهب للقاهرة لكى أشاهد المسرح واتابع أحداث المسرحيات وكنت أجلس فى أول صف اتابع الممثلين وأحيانا كان لايعجبنى آداء ممثل كنت اتميز غيظا وأريد أن أمثل أنابدلا منه لكى أؤدى الدور كما يجب أن يكون وفى هذه الفترة كان أخى حمدى قد دخل كلية الحقوق ودخل أيضا معهد الفنون المسرحية وسافر فى بعثة لدراسة الإخراج والفن المسرحى فى باريس ثم أتى من باريس أستاذ فى معهد التمثيل ومخرج فى المسرح القومى.. وكانت وقتها توجد فرقة تسمى بفرقة المسرح الحديث. المهم عندما أتى أخى حمدى من باريس بعد غياب ثلاث سنوات فوجئ بى رجلا أمامة ملامحى تغيرت عما تركنى.. وكان قد سمع أننى أعيش فى القرية إلى حدما حياة مليئة بالشقاوة والمغامرات وقد أنزلق إلى انزلاقات عديدة ففوجئت به يقترح على أن التحق بمعهد التمثيل. صرخت قائلا ياريت وسألنى هل استطيع أن أرجع مرة إخرى تلميذاً وطالبا بعد الحياة الطليقة التى أعيشها وافقت فورا وقدمت فى معهد الفنون المسرحية ونجحت فى تغيير مجرى حياتى من جديد. ولكن لاحظى أننى لم أكن قد وقفت على خشبة المسرح إلى الأن.. ولكن كبت للطاقة الفنية وبداخلى رغبة مختزنة.. وأنا أزعم أن هذه كان فى مصلحتى.. لأننى لوكنت مارست التمثيل وأنا صغير كنت انطبعت بمدرسة معينة. وأنا أرى أن بعض زملائى الفنانين مازالوا منطبعين ومتأثرين بأساتذتهم الذين علموهم

وهم صغار ولكنى أنا اختزنت كثيرا جدا من المدارس المختلفة ومن الرؤى الفنية إلى أن انفجرت فجأة على خشبة المسرح القومى كمحترف فأصبح لى أنا شخصيتى الذاتية المستقلة.

● متى تفجر هذا البركان المخزون داخل عبدالله غيث؟

- تخرجت من المعهد عام ١٩٥٦ لم يكن هناك فرقة مسرحية فى ذلك الوقت كان المسرح القومى هو المتنفس الوحيد لنا كأكاديميين أما باقى المسارح مثل مسرح اسماعيل يس لم يكن مجالى أعلنوا فى المسرح القومى أنهم فى احتياج لثلاثة شباب لكى يدعموا المسرح بدم جديد تقدمت ونجحت ودخلت المسرح القومى أول يوم دخلت مسرح الازبكية لحضور اجتماع عام لكى أكون زميلا لهولاء العمالقة والشخصيات الأسطورية التى رأيتها زمان كان يهئ لى أنهم ليسوا بشرا. وأنهم بشر من طين آخر.. لدرجة أننى فى احدى المرات أثناء افتتاح فيلم ليوسف وهبى فيلم (بنات الريف) هو وليلى مراد وأنا تلميذ صغير فى المدرسة ذهبت لحضور الحفل المسائى الأول الذى كان الفنانون يحضرونه ذهبت لكى أرى يوسف وهبى هذا العملاق الرهيب.. رأيت العالم كله التف حول يوسف وهب لدرجة أن شارع عماد الدين قفل تماما من شدة الزحام وأنا طفل صغير ظللت ازاحم هذه الجموع إلي أن وصلت ليوسف وهبى وأمسكت بيده وتعلقت بها لعدة دقائق وكأننى لا أريد أن اتركها أبدا إلى أن أبعدتنى أمواج البشر والمعجبين عنه.. ظل هذا اليوم عالقا فى ذهنى وكيف أننى أمسكت بيد يوسف وهبى , هذا العملاق الذى كنت انتظر بالساعات ليلا أمام مسرحه لكى أراه وأرى باقى الفرقه وهم يدخلون ويخرجون من المسرح..

نرجع لاول يوم أدخل المسرح القومى لكى أحضر اجتماع عام لأعضاء القومى فى أول الموسم كيف سأكون زميلا لهؤلاء العمالقة.. يومها لم أستطع النوم.. أنا أتذكر وأنا داخل من باب مسرح الازبكية أننى كنت أسمع دقات قلبى عالية من شدة الرهبة.. كيف سأقابل هؤلاء النجوم؟. جلست بينهم على المنضدة وناقشنا العمل المسرحى ووزع على دور.. وكان أول مرة أقف فيها على خشبة المسرح وكان هذا فى عام ١٩٥٦ أثناء العدوان الثلاثى على مصر.. أردنا كشباب أن نشارك فى المعركة فقدمنا مسرحيات وطنية من الساعة الثانية ظهرا لأن الإضاءة وقتها كانت مقيدة ليلا والقاهرة كانت تحت وابل الغارات ففتحت أبواب المسرح القومى أمام الجماهير مجانا كتعبئة للجماهيرة وقت العدوان الثلاثى.. قدمت مسرحيتين وطنيتين مسرحية كفاح الشعب عن كفاح الشعب المصرى أثناء الحملة الفرنسية ضد القائد الفرنسى كليبر.. والمسرحية الثانية هى مسرحية دنشواى الحمراء من خلال حادثة قرية دنشواى وهى تتعرض لمقاومة الشعب للاحتلال الانجليزى.. طبعا كانت أدواراً صغيرة

● متى كانت بداية الانطلاقة الحقيقة لعبد الله غيث الذى ملأ خشبة المسرح القومى وشاشات السينما والتليفزيون بفنه المبدع المتميز؟

ـ أنا أزعم لنفسى أننى ولدت على خشبة المسرح القومى، ليس خشبة المسرح القومى فى حى الازبكية ولكن خشبة المسرح القومى النضالى.. وقد يكون هذا الذى جعلنى فنانا ملتزما أمام نفسى وأمام الجماهير.. بدأت اتقلب وانتقل بين الأدوار المختلفة.. وقتها كانت هناك تقاليد

عظيمة فى المسرح القومى كان ممكن ان أقوم بدور بطولة بجانب عملاق كحسين رياض يقوم بدور صغير أو قصير وأنا أتذكر أن أول شهادة أعتز بها فى حياتى كانت من حسين رياض والأخرى من يوسف وهبى. فشهادة حسين رياض عندما كنت أمثل معه مسرحية كوميدية.. أنا أمثل دور الساعى له وهو البك الكبير صاحب الشركة كنت أمثل دوراً صغيراً تافهاً.. رأى فى مشروع فنان فأراد أن يختبرنى على خشبة المسرح بدأ يخرج معى فى الحوار.. يخرج عن النص قليلا وهى كانت رواية فارس كوميدية تسمح بذلك. المهم بدأ يخرج معى عن النص فوجئ بأننى تجاوبت معه واتلقى اعجاب من الجمهور. فترك لى المجال حتى أصبح دورى من مجرد تقديم القهوة والشاى إلى أن أصبح دورا هاما وبارزا فى المسرحية وعلامة كوميدية بارزة فى المسرحية وقال لى ياولد انت ستكون ولدا جيدا جدا يوجد لك زملاء حاولت أن أخرج عن النص معهم فأصابهم الارتباك أما أنت فلك شخصية مميزة وحضور وسرعة بديهه أنت ممثل ذكى وستكون ممثلا له قيمة المهم ظللت اتقلب مابين أدوار المسرح مثل مسرحية سقوط فرعون. ثورة الموتى تحت الرماد وأول مسرحية كتب عنى فيها النقاد ،فانا أزعم أننى من الممثلين الذين صنعهم الجمهور وجيل النقاد الحقيقين الذين نفتقدهم الآن مثل د. مندور وعلى الراعى والقصاص ورشدى صالح.

● ولكن متى جاءت الشهرة الجماهيرية؟

- المسرح كما تعلمين جمهوره محدود.. ففى اليوم يدخل حوالى خمسمائة فرد فكم فرد يراه الممثل فى الشهر.. أننى قمت بأعمال مسرحية عديدة اشتهرت من خلالها على المستوى الفنى والوسط الفنى وفى الوسط الثقافى ولدى النقاد.. إلى أن أتت أول بطوله فى (مأساه

جميلة) فى مسرح الحبيب أما أول بطولة مطلقة فكانت مسرحية الدخان وهى أول مسرحية يؤلفها الكاتب الكبير ميخائيل رومان ويخرجها كمال ياسين كان دورا صعبا ومعقدا جدا. كان عبارة عن قنبلة مدوية لى فى الوسط الفنى لفتت الأنظار لى بشكل غريب وهو من أحسن الأدوار التى أعتز بها إلى الآن.

● ولكن أنا أتذكر أنه على المستوى الجماهيرى العريض أدهشت الناس وجمهورك بدورك البديع فى المسلسل التليفزيونى (هارب من الأيام) عندما قدمت دور كمال الطبال الإنسان الابله أو الذى كان الجميع يعتبرونه أبلهاً.

- كان هذا عام ١٩٦٢ وكان هذا العمل قد قدم فى الإذاعة قبل التليفزيون وكان بطوله الأستاذ فريد شوقى وأنا كنت أمثل معه فى دور من أدوار هذا العمل فعندما قرر المخرج نور الدمرداش أن يقدمه فى التليفزيون كمسلسل أراد أن يأتى بنجم كبير له اسم مرموق وأسند هذا الدور لفريد شوقى لأن فريد شوقى كان يحب هذه الشخصية وهذا الدور لدرجة أنه أنتجة بعد ذلك للسينما المهم أسند نور الدمرداش دور البطولة لفريد شوقى وأسند لى أنا دور من الأدوار الثانوية الصغيرة واشتغلنا ثلاث أو أربع بروفات.. وكان العمل التليفزيونى فى ذلك الوقت قاسى جدا ويأخذ وقتا طويلا بجانب أن العائد المادى لم يكن مجزيا فاعتذر فريد شوقى عن القيام بهذا العمل.. فلم يتوان نور الدمرداش فى أن يسند إلى هذا الدور الهام والصعب والمعقد وكان نور يتابعنى فى أدوارى المسرحية وخاصة فى مسرحية الدخان.. فعرض على الدور قائلا إنه يعطينى فرصة عمرى.. أنا تلقفت هذه الفرصة

واعتبرتها معركة حياة أو موت آكون أولا أكون.. اعتبرتها معركة مصير واعتكفت عليها تماما.. وكانت النتيجة كما هو معروف فأصبحت نجما مشهورا جدا على مستوى العالم العربى كله.. هارب من الأيام أذيعت من المحيط إلى الخليج وكما نقول نحن فى الوسط الفنى أنها كسرت الدنيا.. لدرجة أنك كنت ترين الشوارع خالية أثناء عرض هذا المسلسل كانت كثير من الأعمال تؤجل أو تؤخذ بعد أو قبل عرض هذا المسلسل هذا حدث فى مصر والعالم العربى كله.. أصبحت أمامى مسئولية كبرى وطبعا نظرا لهذا النجاح والدوى الفنى الذى حدث فى الوسط انتهز المنتجون هذا النجاح وتلقفوا هذا النجم الصاعد خاصة أننى كان اجرى قليلا فى ذلك الوقت وأرسل لى المنتج رمسيس نجيب كى أمثل دور أدهم الشرقاوى.

● أعتقد أن هذا الدور حلما آخر لك.. لأنك كنت مفتونا بهذه الشخصية منذ صغرك حتى أنك أسميت ابنك الثانى باسم هذه الشخصية من قبل.

- نعم كان حلمًا أن أمثل دور أدهم الشرقاوى.. فأدهم هذا أنا أحلم به فى حياتى وكنت أريد أن أحققه كشخص الآن تأتى الفرصة كى أقدم هذه الشخصية فنيا المهم مثلته والحمد لله ومن أدهم إلى قيام الحرام ثم ثمن الحرية ثم السمان والخريف وحكاية من بلدنا وهكذا.. سينما. مسرح. تليفزيون إذاعة.

● خشبة المسرح العربى شهدت الكثير من أعمالك المميزة فماذا تذكر منها.

ـ المسرحيات كثيرة.. وأنا أتذكر الآن مسرحيات الدخان.. الفتى مهران.. ثأر الله.. الحسين ثائرا ازيس ماكبث الزير سالم أبوزيد الهلالى. أبو ذو الغفارى قولوا لعين الشمس.. الوزير العاشق.. وأنا من حسن حظى أن كل الشخصيات التى حلمت بها مثلتها أو فلنقل أغلبها فالجو الإسلامى الذى عشته صغيراً والجو الأسطورى الريفى الذى عشت فيه أيضا استطعت أن أجسد العديد من هذه الشخصيات مسرحيا أو سينمائيا أو تليفزيونيا الكثير من هذه الشخصيات عشت معها وحلمت بها من قبل أن أصبح فنانا فسعدت بتجسيد شخصياتهم فنيا.. وأنا أعتبر أن أهم دور قدمته فى حياتى هو شخصية الحسين سيد الشهداء وسيد شباب أهل الجنة فى مسرحية الحسين ثائراً.. ولكن للأسف لم تتح لنا الفرصة فى أن نعرضه عرضا جماهيريا كبيرا وأرجو أن أختتم حياتى بتقديم هذا الدور.. وأنا أيضا عملت كثير من أدوار الصحابة.. مثلت سيدنا عمر ومثلت خالد بن الوليد مرورا بموسى بن نصير والإمام ابن تيمية وراوى الانبياء الذين عبرت فيها عن جميع الرسل والأنبياء فى مسلسل محمد رسول الله وانا اعتبر نفسى محظوظا لأننى نفست عن كل مكنونات نفسى فى هذه الشخصيات الإسلامية والتاريخية العظيمة ومع ذلك اعتقد أننى لم أقل الكلمة الفنية الأخيرة فى حياتى الفنية.. فتوجد أشياء بتجيش فى صدرى لا أدرى ما هى.. لا أدرى كونها.

وقد هزمه الموت.. هزم الفارس النبيل.. فارس المسرح العربى قبل أن يقول كلمته التى كان يحلم بها.

حديث الذكريات.. د. لطيفة الزيات

المرأة الفارسة هى الوردة فى عذوبتها والسيف فى حدته

الدكتورة لطيفة الزيات اسم لا مع فى تاريخ نضال المرأة العربية الحديثة.. حققت من خلال عملها كاستاذة جامعية وناقدة وكاتبة ومناضلة مكانا مرموقا فى المجتمع العربى.. خاضت المعركة تلو المعركة من أجل تقدم الرجل والمرأة على السواء. وعلى الدوام كان هدفها التغيير إلى الأفضل.. لم تحصر معركتها فى الحياة على مشاكل المرأة وحدها ولكنها اعتبرت نفسها إنساناً عربيًا عليه أن يزيل من طريقه كل ما يعوق التقدم..

من «الباب المفتوح» روايتها الأولى إلى «صاحب المنزل» مرورا بالشيخوخة أوراق شخصية والعديد من الدراسات والكتابات النقدية والاجتماعية لم تخص أبدا د. لطيفة الزيات معارك المرأة من وجهة نظر ضيقة تجعل منها ضدا للرجل. ذراعًا بذراع وكتفاً بكتف خاضت مع الر جل. معارك الرجل والمرأة على السواء.. ودائما نجد أن الهم

العام يؤثر على حياتها الشخصية أينما كانت.. لطيفة الزيات كالوردة في رقتها وعذوبتها ولكنها كحد السيف في معاركها وصدقها واخلاصها.. حاولت أن اتعرف من خلال حوارى معها على بعض ذكريات معاركها وأحلامها وانتصاراتها وحتى على فشلها.. وبدأت معها حديث الذكريات من مرحلة طفولتها في مدينة دمياط حيث نشأتها فقالت بابتسامتها العذبة.

ـ مدينة دمياط تعنى لى الكثير لأننى ولدت بها لأب وأم دمياطية.. بدأت أشعر بالوعى في هذه المدينة.. غادرت دمياط وأنا فى السابعة من عمرى ولكنى من هناك بدأ وعيى يتفتح .. ولأول مرة أشعر بمفهوم الوطن .. بمصر وبالحماس لمصر.. كان وجود أخواى جانبى يزيد من تفتح وعيى فأخى محمد كان يكبرنى بست سنوات وعبد الفتاح بتسع سنوات وكان بمثابة الأب بالنسبة لى.. تفتح وعى على المكتبة الهامة فى منزلنا وكانت هذه المكتبة مصدر سعادة لى.. وكان بجانب منزلنا قطعة أرض فضاء .. كل عام فى يوم معين يقام سرادق ويأتى جمع كبير لكى يحتفلوا بذكرى وفاة سعد زغلول.. بدأت اتساءل من سعد زغلول هذا ولماذا هو زعيم؟ .. ولماذا هذا الحماس فى إحياء ذكراه؟ وماهى ثورة ١٩١٩ وما إلى ذلك من معلومات وتساؤلات ـ وبدأ حسى الوطنى يتفتح وبدأ وعى السياسى والوطنى ينمو منذ مرحلة الطفولة وهى مرحلة هامة جدا وأنا صلتى لم تنقطع أبدا بدمياط رغم اننى تركتها إلى المنصورة وانا فى السابعة.. ولكن كنت أرجع إليها دائما اثناء الإجازات الصيفية.. فى دمياط عرفت السعادة فى طفولتى وكان النيل يمدنى بالبهجة فالنيل فى دمياط متسع وجميل وأجمل لحظات حياتى حينما كنا نتنزه فى النيل ونمارس رياضة التجديف.. وكما ذكرت لك بدأ وعيى وحسى بالوطن وبالسياسة ينمو فى دمياط

بجانب شيء أخر هام جدا وهو بداية أدراكى بالبعد الاجتماعى لمصر ولمشاكلها كانت هناك منطقة تسمى الخان أى اللوكاندة كانت بقايا الخانات التى أقيمت منذ العشرينات وقت ان كان ميناء دمياط القديم.. كان يأتى إلى الخان البحارة لكى يمكثوا بها عدة ليال ثم يسافرون.. المهم هذا الخان تحول مع مرور الزمن إلى مكان مهدم يأوى إليه المتسولون والمشردون وكنت أمر فى ذهابى للمدرسة على هذا المكان المخيف وكنت أفزع وأجزع من مظاهر البؤس والفقر والمرض الذى يملأ المكان لدرجة أننى عندما كنت أمر على منطقة الخان هذه أجد نفسى أجرى لاهثة جزعة لكى لا أرى هذا البؤس الذى كان يؤلمنى كثيرا وأنا مازلت طفلة.

● إذن وعيك السياسى والاجتماعى بدأ فى وقت متزامن وفى بداية حياتك وأنت تكادى تكونى طفلة.

- نعم هذا صحيح ولذلك فدمياط هامة جدا بالنسبة لى لان إحساسى ووعيى الوطنى بدأ يتبلور من هناك.. فادركت ان مصر بلد محتلة ويوجد شئ قبيح اسمه الاستعمار ويجب الخلاص منه ويجب أن نحصل على الاستقلال هذا الوعى كان وعيا سياسيا ومن ناحية أخرى ما كنت أراه من مظاهر الفقر والبؤس فى منطقة الخان ذات المبانى القديمة المتهالكة أشعرنى بالبعد الأخر من القضية فأدركت أن المسألة ليست مجرد قضية سياسية وطنية فقط بل هى قضية اجتماعية أيضا بدأت أشعر أن هناك فئة محرومة ومظلومة واصبح من يومها يتملكنى حلم كبير ورغبة فى أن يأكل كل جائع ويكتسى العارى وان يتعلم ويعمل من يحرم من فرصة التعليم والعمل وهذه بداية رؤيتى فى الحياة والتى تبلورت بعد ذلك وظللت احلم بمجتمع أفضل، مجتمع يوجد فيه عداله

ومساواة مجتمع لا يوجد به تفرقة بين رجل وامرأة أو بين جنس وجنس أو بين دين ودين.. حلمت طوال حياتى بمجتمع لا توجد به تفرقة من أى نوع مجتمع يحترم قيمة العمل ويحترم قيمة الإنسان.

● ذكرتى فى كتابك «حملة تفتيش» أن وعيك السياسى والاجتماعى تبلور وازداد وضوحا عندما انتقلتى لمدينة المنصورة فكيف كان ذلك؟.. وماذا كانت تمثل المنصورة لك.

- مدينة المنصورة مدينة جميلة والنيل فيها عظيم وكان فى أوقات معينة من السنه يتحول النيل إلى جذر يزرع بالخس فكنا نسير وسط النيل ونأكل الخس ونمرح ونضحك من قلوبنا.. والمنصورة كانت مليئة بالقصور الفخمة وخلفها مباشرة يعيش مجموعات من البشر تعانى من الفقر والبؤس فازداد بذلك وعيى بالقضية ببعدها السياسى والاجتماعى إلى أن شاهدت حادثا مروعا هزنى بشدة ففى عام ١٩٣٤ كان عمرى وقتها أحدى عشرة عاماً عندما كانت مصر تعيش أزمة سياسية طاحنة حيث كان يحكم مصر الاقلية بالاتفاق مع الملك وتم استبعاد حزب الاغلبية - حزب الوفد - فقرر النحاس باشا زعيم الوفد ان يبدأ جولة فى الاقاليم وقرر الذهاب للمنصورة . حاولت الحكومة ان تمنع هذه الجوله بكل الطرق أوقفوا القطارات فجاء بالسيارة حوصرت الشوارع لتحول دون تقدم سيارة النحاس فحمل الناس السيارة على أكتافهم حتى وصلوا بها وبالنحاس إلى مكان الاحتفال الشعبى واستقبل النحاس استقبالا شعبيا عظيما وكان منزلنا يطل على مكان الاحتفال وفجأة فتحت الشرطة النار على الناس واستشهد أربعة عشرة شخصاً أمام عينى فى هذه اللحظة شعرت إننى بلغت .. أدركت كبرت.. لم أعد طفلة بعد.. أصبحت صبية.. أصبحت فتاة تتعرف على حقيقة الأشياء وتحمل

هموم الدنيا.. ومن هذه اللحظة بالذات دخلت باب الالتزام الوطنى من أوسع أبوابه .

● دعينا ننتقل بالذكريات إلى خط أخر أنت عملتى كاستاذه.. رئيسة قسم بالجامعات المصرية.. فإذا تحدثنا عن ذكرياتك الدراسية .

ـ كنت فى المدرسة متفوقة فى بعض المواد.. مثلاً كنت متفوته فى اللغة العربية وفى اللغة الانجليزية وكنت خطيبة المدرسة أقول الخطب الحماسية من خلال الاذاعة المدرسية.. أما الرياضة فلم اكن متفوقة فيها على الإطلاق ولكن حدث ان جاءت إلى المدرسة مدرسة أحببتها جدا ومن اجلها تفوقت أيضا فى الرياضة.

● أنت تنقلتى أثناء دراستك فى عدة مدن مصرية. من دمياط إلى المنصورة إلى اسيوط. وكل مدينة منهم كان لها دور فى تكوين رؤيتك للحياة وللادب وللسياسة.

ـ نعم هذا صحيح ويجب أن أذكر لك أيضا أن المنصورة علمتنى الصداقة ففيها تعرفت على مجموعة كبيرة من الاصدقاء ثم انتقلنا بعد ذلك إلى أسيوط لمدة سنتين وهناك أرسل إلى أخى طردا على المدرسة فشعرت بزهو وفخر وأحسست بأننى إنسان هام.. كان فى هذا الطرد كتاب «عودة الروح» لتوفيق الحكيم. هذا الكتاب أحدث انقلاباً فى حياتى.. أدخلنى عالما جميلا.. وكان من عادتى فى ذلك الوقت ان أدخل حجرتى وأقرأ روايات أرسين لوبين وروايات للتسلية. ولكن عندما قرأت عودة الروح اكتشفت فجأة ان هناك عالماً جميلا هذا العالم هو

عالمى أنا عالمى الحميم الجميل الواقعى .. هذا جعلنى عن يومها اتمسك بالواقعية فى كل ما أكتب وجعلنى أشعر بأننى أريد أن أكتب شىء مثل عودة الروح.

• إذن قررتى أن يكون هذا العالم الجميل الساحر هو عالمك الخاص.

- قطعا والجميل أ ن هذا العالم لم يكن بعيداً أو مفصولا عن حياتى .. فكما لو كانت عودة الروح تحكى عن حياتى فى منزلنا .. فمثلا عندما كانت نفيسة تقدم لاخوتها ورك الوزه القديم» وكانت موضوع سخرية كان هذا أيضا ينطبق على ما يحدث فى منزلنا عندما تقدم أمى لنا طعام مطهو منذ عده أيام.. كنا نقول إن هذا هو ورك الوزة اياه ونضحك كثيرا.. فإذن هذا الكتاب كان يحكى عن حياتنا نحن وهذا ما جعله بهده الأهمية بالنسبة لى.. وانا دائما كنت موزعه الاهتمامات ففى ذلك الوقت كنت أيضا مشتركة فى لجنة الخطابة ولجنة الحوار ولجنة المناقشات والمناظرات.. كل ذلك كان يشكل عالما هاما جدا بالنسبة لى.

• إذا انتقلنا معك إلى مرحله الدراسة الجامعية نجد أن وعيك بقضايا الوطن السياسية والاجتماعة تعمق وازداد حتى تحول إلى نضال وطنى سياسى ومشاركة فعالة فى الحركة الوطنية وتعرضك لمتاعب عديدة نتيجة لذلك.

- حياتى كلها لم تكن فى يوم من الأيام أحادية الاهتمام .. كنت أعيش كاى فتاة لها اهتماماتها الخاصة بجانب اهتمامى بالسياسة وقبل أن تتشكل الحركة الوطنية الطلابية أعوام ٤٤ - ٤٥ - ١٩٤٦- .. كنت من قبلها أشترك فى المناظرات التى كانت تقام بين الكليات وأنا أذكر

اننى أشتركت فى مناظرة طلابية هامة بين كلية الأداب وكلية الحقوق حول هل دراسة الحقوق أفضل أم دراسة الأداب.. المهم هذه المناظرة كانت من أهم عوامل التنوير فى حياتى وأنا أذكر اننى أعددت نفسى إعداداً جيدا وعندما وقفت وسط جماهير الطلاب ارتجفت واهتززت جدا ولكن بعد قليل بعد أن وصلتنى موجة التواصل بينى وبين الناس شعرت بالثقة بالسعادة بالنشوة ومن هذه اللحظة اكتشفت سر العلاقة بينى وبين الناس اكتشفت ان الاندماج بينى وبين كتلة ضخمة من الناس شىء لا يعادله آى شئ أخر فى حياتى.. لحظه ان يحدث هذا الاندماج اشعر على الفور إننى جزء من الكل ومن يومها قررت أن أكون وسط الناس.. أدافع عن حقوقهم المهضومة ووهبت نفسى لقضايا الوطن واشتركت فى أول حركة طلابية جامعية أعوام ١٩٤٤ و ٤٥ و ٤٦ .

● هذا الاندماج بينك وبين كتلة البشر والذى يسببلك هذا الاكتمال هل يحدث أيضا بينك وبين الطلبة حيث إنك امضيت فترة طويلة من عمرك استاذة بالجامعات المصرية.

ـ لو توقفت الموجة التى بينى وبين الطلبة أشعر بتعب شديد فهل تتصورى أننى أمرض بالفعل لو توقفت هذه الموجة من التواصل، على سبيل المثال عندما كنت أدرس لطالبات كلية البنات النقد النظرى فى العام الأول.، كنت أدرس لهم نظريات ارسطو وافلاطون فكانت المادة صعبة عليهم فى البداية خاصة وإننى كنت أدرسها باللغة الانجليزية كنت أجد نظرة حائرة فى عيونهم فى البداية.. كنت يوميا أخرج من قاعة المحاضرات بألم شديد بظهرى ولا أشفى من آلام الظهر هذه حتى تستقر عيون الطلاب وتصلنى موجة الاندماج معى.

• أود أن أسبح معك فى عالم جميل ساحر اكتشفته انت منذ الصغير وهو عالم الادب ١٩٦٠ فاجئنى الاوساط الادبية فى مصر والوطن العربى ومحبى وعشاق الادب بخروج روايتك البديعة «الباب المفتوح» كانت مفاجأة للجميع فهى رواية احدثت الاندهاش والاعجاب الشديد وانا ارى انها من أجمل الروايات التى كتبت بالعربية ففيها الجديد على مستوى الشكل الفنى وايضا على المستوى اللغوى وقيل وقتها الكثير عن هذه الرواية من مدح وتحليلات عديدة وانا أرى فيها الكثير منك أنت شخصيا فهل شعورى هذا صحيح وهو بالمناسبة شعور الكثيرين من قراءك.

- رواية الباب المفتوح، فيها رؤيتى للحياة وليست شخصى وعندما أصدرتها كنت مدرس بالجامعة أدرس النقد الأدبى وكما ذكرت لك ان الكتابة كانت دوما حلمى فى الحياة ولكنى عندما نضجت اكتشفت ان الكتابة ليست مجرد الامساك بالورقة والقلم والكتابة ولكن الكتابة التى تؤثر فى الناس وتحركهم هى عملية شاقة جدا وتحتاج لدراية ودراسة كل الامكانيات الأدبية التى تجعل من الكتابة محرك للقارىء.. ما الذى يجعل القارئ يشارك ويتحرك؟ ما هى الأدوات؟ ما هى الامكانيات وما هى القدرات؟ انا ظللت فترة طويلة جدا أدرس كل هذه الافكار لأننى عندما نضجت فكريا وجدت ان الكتابة العارية لاتعنى شئ ولكنى أريد أن أتى بالجديد واعتقد أن رواية «الباب المفتوح» جاءت بالجديد على عدة مستويات كما ذكرت.. فالرواية قبل «الباب المفتوح» كانت رواية وصفية وليست رواية سردية ماهى الرواية الوصفية؟ هى ان الحدث يوصف من الخارج من الخيال ولكن الروايات السردية

الحدث يتفتح امامنا دراميا مثل ما يحدث على المسرح وأنا اعتقد إ ننى استطعت أن أكتب رواية جديدة من حيث إ نها عبارة عن مجموعة من اللحظات الدراميـة المتراكمـة جنبا إلى جنب وبذلك تحدث التأثير المطلوب وبذلك اخـتلفت هذ الرواية عـمـا هو سـائد فى ذلك الوقت وهوالرواية الوصفيـة: إلى جانب أن اللغة تبدأ تماما من الكليشهات المصدوعة. لدرجة إنه عندما أعادت هيئة الكتاب نشر هذه الرواية حديثا بعدما يقرب من ثلاثين عاما على كتابتها فوجئت انها مازالت تحتفظ بنفس جاذبيتها وهذا هو الامتحان الحقيقى للأدب الجيد.

● هذا ما يحيرنى معك.. فرغم النجاح الساحق لروايتك الشهيرة الباب المفتوح ظللتى فترة طويلة تكادى تكونى متوقفة عن الإبداع الأدبى إلى أن اذهلتى قراءك بكتابك «شيخوختى» وحملة تفتيش» فلماذا هذا الانقطاع الابداعى ولماذا انت مقلة فى الانتاج الإدبى وأنت تملكين أدوات الإبداع؟

- أنا كتبت مسرحية اسمها «بيع وشراء» عام ١٩٦٥ ولكنها ظهرت حديثا وكتبت أيضا رواية قصيرة باسم «الرجل الذى عرف تهمته» عام ١٩٩١ وهى رواية ساخرة والسخرية تأتى من موقف مفروض انه مبكى.

● ولكنى مازلت غير مقتنعة وأرى أنك مقلة جدا فى إبداعك الأدبى رغم موهبتك الأدبية الشديدة ورؤيتك العميقة للحياة.

- معك حق.. ولكن أنا لم أحترف الكتابة أبدا.. ظللت فى مجال الكتابة هاوية. أنا لم أكتب أبدا إلا تحت الحاح شديد داخلى.. هذا

الالحاح يجعل بداخلى رغبة شديدة فى ان أشرك القارئ معى فى تجربة من التجارب الإنسانية ولذلك انا مقلة .. كنت استطيع ان اكتب أكثر ولكن كنت أكرر وأعيد نفس التجارب والرؤيا ولكن بصور أخرى وهذا مالم أفعله ..!

● وهل هذه التجارب التى تكتبين نتيجة الحاحها عليك هل هى بالضرورة يجب أن تكون تجارب ذاتية ؟

- التجربة ليس بالضرورة أن تكون ذاتية .. ولكن دائما فى أى عمل من الأعمال الأدبية يوجد نوع من العاطفة السائدة أو الشعور السائد. هذا الشعور لدى الكاتب هو الذى يظهر فى الأعمال الأدبية .. هذا الشعور السائد لا يتغير فى الحياة إلا مرات قليلة وربما لا يتغير .. ولكى لا نكرر نجد صور أخرى وأقنعة أخرى نتخفى وراءها لكى لا نكرر أنفسنا يسودها ولكى نقول أشياء يسودها هذا الشعور السائد نفسه.

● أنت بجانب كونك استاذة جامعية وأديبة وأنت من أهم النقاد فى بلادنا فهل مسألة كونك مبدعة وناقدة فى ذات الوقت بشكل اشكالية لديك.

- يشكل اشكالية كبيرة جدا. فالحالة النقدية مهمة جدا بالنسبة للكاتب ويجب أن يتمتع الكاتب بحاسة نقدية ولكن على الا تحور الحاسة النقدية على الحاسة الإبداعية فى فترة من الفترات كنت اكتب فصل ابداع ادبى ثم أكتب عليه فصل نقدى واشعر أنه لم يرق الابداع الادبى لمرحلة الكمال وأحيانا كانت تتفوق الحاسة النقدية على الحاسة الوجدانية وفى هذا خطورة على الكاتب وهذه المسألة شكلت عائقا آمام انطلاقى الأدبى والمشكلة إننى اتطلع إلى الكمال وهذا الكمال غير

صحى.. فالاشياء نسبيه والكمال لله وحده.. انا عندى دائما رغبة فى ان أصل للاحسن وعندى دائما خوف من أن هذا العمل سيكون أسوأ من الأعال السابقة وعندى خوف شديد من تقبل الناس لعملى هل سينجح؟ وهل سيتقبله الناس تقبل حسن؟ كل ذلك حد من انتاجى الأدبى ومن انطلاقه..

• أنت المرأة المناضلة والتى خاضت المعارك العديدة على مستويات عدة وانت صاحبة رؤية معينة فى الحياة.. ولابد ان تكون للكتابة لديك فغزى.. فما هو مغزى الكتابة بالنسبة لك.. لماذا تكتبين؟

- هذا تساؤل هام جدا وأنا أشكرك عليه.. بالنسبة لى الكتابة وصل ووصال بالأخرين.. ومحاولة لمشاركة تجربتى الخاصة فى الحياة مع الاخرين.. اكتب لكى أنتمى للأخرين.. فى أوقات كثيرة أفكر فى رؤيتى للأشياء.. فانا لدى رؤية خاصة تشكلت على مر الحياة اتساءل مع نفسى .. لماذا أنا هكذا؟ ولماذا افكر بهذا الشكل ؟ هل أنا مختلفة عن الاخرين؟ وعندما أعرض تجربتى ورؤيتى الخاصة على الآخرين واشركهم فيها وأحصل على تقبلهم وقبولهم لرؤيتى أنتمى من جديد وتسقط عنى عزلتى وأصبح من جديد منتمية إلى أن أغترب مرة أخرى ثم أعود وانتمى.

• عندما قرأت لك كتابك الشجاع الجرئ «حملة تفتيش أو أواق شخصية» تساءلت هل هذا الكتاب البديع.. هل هو سيرة ذاتية؟ أم كتابة ذاتية؟

- هو كتابة ذاتية وليس سيرة ذاتية.. فالسيرة الذاتية لابد وأن تتوافر فيها نوع من بين من الموضوعات أى لابد ان اكتب عن كل شئ.. الكتب الذى أثرت فى والأساتذة والكتاب الذين آثروا فى ولابد أن أكتب عن

عائلتى فردا فردا وأكتب عن علاقتى بالناس هذه هى السيرة الذاتية.. أنا لم أكتب هذا ولكنى كتبت كتابة ذاتية فى شكل روائى .. هو مادة ذاتية فى قالب روائى.. كتبت عن صراع رئيسى من صراعات حياتى بكل روافده فى مرحلة الطفولة وايضا النقاط التى أثرت فى مرحلة النضوج.

● وما هو هذا الصراع الرئيس فى حياتك؟

- هو الصراع بين الرغبة الشديدة فى الحياة والخوف من الحياة .. صراع الإقدام والإحجام .. الشجاعة والجبن.. النجاح والفشل.

● ماهى نسبة الصدق فى رواية حملة تفتيش؟

- هذه الرواية أشاد بها معظم النقاد فى مصر والبلاد العربية أخذت نجاح لم أكن أحلم به ومازالت.. وأكثر ماقيل عنها أنها صادقة فهى إلى جانب كونها كتابة ذاتية فهى تحتوى على مواجهة الذات وحساب عسير مع الذات يحتاج إلى شجاعة فائقة.

● نحن فعلا أمام امرأة شجاعة صادقة ولهذا أنا أريد أن اتعرف على هزائمك كما تعرفنا على بعض انتصاراتك فى الحياة.

- وانا ولله الحمد من الناحية العلمية والأدبية لا توجد لدى هزآئم ولكن الهزائم فى معظ مها كانت هزائم عاطفية.

● الهم العام دائما كان يؤثر على حياتك الخاصة ويطغى على همومك الأدبية والنقدية فهل أهتمامك بالعام حد من انطلاقك الأدبى والعلمى؟

ـ هذا صحيح مائة بالمائة.. فالهم العام لا يؤثر فقط على عملى كناقدة وكأديبة ولكنه أثر على فى أشد خصوصيات حياتى وعلى أكثر الاشياء خصوصية لدى.. ارتباط العام بالخاص شكل عندى قدرة دائمة جعلتنى كثيرا ما اتجاوز اخفاقات الطريق.. أى اخفاق خاص ممكن تجاوزه لاهتمامى بالعام وانا ضربت على ذلك مثلا فى روايتى «حملة تفتيش» فعندما فقدت أخى عبدالسلام عام ١٩٧٣ كنت أقف على حافة الانهيار النفسى تماما ولم ينقذنى من الانهيار إلا انتصار عام ١٩٧٣ واهتماماتى التى أخرجتنى من عزلتى وكآبتى إلى الانتماء للآخرين والاندماج مرة أخرى معهم.

● لكن ألم يشكل اهتمامك العام عائقا أمام عدم غزارة انتاجك.

ـ يجوز ولكن كان اهتمامى بالعام نقطة الخلاص الوحيدة بالنسبة لى.. وهذا الاهتمام هو الذى جعلنى ما أزال أقف على قدمى رغم كل المعاناة الإنسانية التى يعانيها الإنسان.

● لم نتحدث بعد عن كتابك «الشيخوخة» وأنا أرى إنك كتبتيه مبكراً جدا قبل الشيخوخة بزمان.

ـ أنا فى الحقيقة معتزة بهذا الكتاب اعتزازا خاصا.. الكثيرون قالوا لماذا هذا الكتاب بالذات لا يوجد به سياسة ولكنى أعتقد إنه ملئ بالسيامة ولكن بشكل أرقى.. فهو يعمل على جبهة السلوكيات والوجدان وهما السياسة فى أرقى صورها.. السياسة عندما تتبلور وتتحول من مجرد كلمات إلى سلوك هذا الكتاب يسعى إلى تغيير مجموعة من القيم الاخلاقية المتهالكة وإحلال مجموعة أفضل من القيم محلها وهو يصحح

رؤية عن الزمن.. فمقولة إن الزمن لا آمان له وإن الزمن غدار غير صحيحه .. والحقيقة أن الإسان يستطيع أن يتملك زمنه إذا استطاع أن يتملك حياته وأن يوجهها الوجة الصحيحة.

● وأخيرا .. وحتى لا اثقل عليك كثيرا أود أن أتعرف - بعد تجربتك العميقة بالحياة - ماهى أمنياتك للحاضر والمستقبل ؟

- أمنياتى أيضا ليست خاصة ولكنها مرتبطة بالهم العام - فانا اتمنى أن يصلح الله الأحوال.. وأن نفلت كعرب من مجموعة الأزمات المتلاحقة التى نعيشها.

فهل يا ترى ستتحقق أمنية أستاذتنا وأديبتنا الكبيرة الدكتورة لطيفة الزيات فى مستقبل الأيام؟ ،، من قلوبنا نرجو أن تتحقق أمنياتها حتى بعد رحيلها عنا.

الموسيقار محمد عبد الوهاب

أنا وأنت وكل الناس العاديين عندما يمضون فى مشوار الحياة على طريق الأيام فانهم عادة لا يتركون إلا اثراً بسيطا والأغلب فانهم لا يتركون أى أثر..

العظماء وحدهم هم الذين يتركون بصماتهم وأثارهم على طريق الأيام فى مشوار الحياة.. ويحضرون فى ذاكرة الناس أحداثا وأياما لا تنسى.. ودائما وكما تقول لنا تجربة الحياة فإن الذى يترك أثرا ويفعل شيئا لابد أن يعيش مع الناس وبالناس. بقدر ما يأخذ منهم يعطيهم وبقدر ما يتأثر بهم يؤثر فيهم.. الموسيقار الكبير محمد عبدالوهاب واحد من تلك الشخصيات العظيمة فى حياتنا الفنية أرتبط فن الغناء والموسيقى به وأرتبط هو بفن الغناء والموسيقى حتى أننا يمكن أن نقول ببساطة شديدة إنه لا يمكن آن نذكر الغناء والموسيقى العربية المعاصرة دون أن نذكر محمد عبدالوهاب إنها واحدة من المعادالات الثابتة فى حياتنا ونستطيع أ ن نقول أيضا إن معظم من وضع الموسيقى وأقترب

من الغناء في بلادنا وفي جيلنا المعاصر خرج من معطف محمد عبدالوهاب بشكل أو آخر.. وفي حديث لا يتسع بالطبع لكل شيء عن محمد عبد الوهاب نحاول أن نتعرف على بعض ذكرياته وبدأنا حوارنا معه حول نشأته في حي باب الشعرية بالقاهرة في حارة الشعراني بجانب مسجد سيدى الشعرانى حيث تلاوة القرآن والجو والإحساس الدينى الذى يلف الحاره فقال.

- نشأتى فى حى الشعرانى كان لها أثر كبير فى حياتى وتكوينى الموسيقى الفنى.. وهذا الحى الذى اثر فى خاصة فى شهر رمضان الكريم. كنا نسهر مع الذكر والتراتيل الدينية فى جامع سيدى الشعرانى وفى غيره من الجوامع وكانت منازل الاثرياء فى الحى لها تقليد جميل فى هذا الشهر.. فكل بيت يأتى بشيخ من المشايخ لقراءة القرآن وتقديم الذكر الجميل مثلا نجدى الشيخ أحمد ندا يسهر بدار والشيخ منصور بدار أخرى.. وكان هؤلاء الشيوخ نجوم فى ذلك الوقت وكنت أمر على البيوت أستمع للقرآن وكان ذلك يشدنى كثيرا ويبهرنى وكنت أظل ساعات طويلة وأنا طفل صغير استمع إلى قراءة القرآن الكريم من هؤلاء المقرئين العظام..

• وأنت انبهرت أيضا فى طفولتك بالمسرح واضواء المسرح فى الكلوب المصرى .

- نعم. كنت أذهب إلى هناك وتأخذنى المناظر الباهرة والملابس اللامعة والغناء لدرجة إننى عملت وأنا صغير جدا عند فوزى الجزايرلى أغنى لملىء الفراغ بين الفقرات الفنية.

• ولكن كيف استطعت أنت تعمل فى هذا التياترو وأنت طفل صغير؟

ـ كان هناك جار لنا يعمل فى الكورس... وعندما سمعنى أغنى للشيخ سلامه حجازى أخذنى معه بالليل بعد أن نامت أسرتى وقابلت فوزى الجزايرلى وغنيت أمامه أغنية سلامة حجازى «عذبينى مهجتى فى يديك وأمرينى فالقلب طوع ليديك» فأعجب بى جدا وسألنى هل استطيع أن أغنى هذه الأغنية أما الجمهور ويعطينى خمسة قروش فوافقت وغنيت لأول مرة أمام جمهور.

● ولكنك كنت صغير السن جدًا.. فكيف لم ترتبك ولم تخف؟

ـ لم أرتبك لأننى كنت متعوداًعلى الغناء أمام الطلبة فى المدرسة أو فى الكتاب (كتاب الشيخ عاشور) ومنذ ذلك اليوم بدأت أغنى من دون علم أسرتى وبدأ طريق الغناء .. وكنت أغنى الأغانى السائدة فى ذلك الوقت للشيخ سلامة حجازى مثل (كنت فى الجيش، وده صاحب العلم، وچوليت) يعنى الأغانى التى كانت فى مسرحياته ثم بدأت تظهر قليلاً أغانى سيد درويش بعض الادوار القديمة له.

● موسيقارنا الأستاذ محمد عبد الوهاب.. أمير الشعراء أحمد شوقى له دور كبير فى حياتك الفنية والشخصية وتكوينك الثقافى ايضا.. ولكنى اعرف أن بداية المعرفة كانت بداية سيئة للغاية حتى أنه منعك من الغناء وكنت تكرهه بشدة.

ـ هذا ماحدث بالفعل .. فبعد أن عرفت العائلة باننى اتسلل ليلا لكى أغنى فى الكلوب المصرى وكان ملهًا بسيطا جدا.. فثار أهلى ومنعونى من الغناء فهربت من المنزل لكى أزاول فن الغناء الذى اعشقه المهم بعد أن اقتنعت العائلة بانه لافائدة من منعى فقرروا السماح لى بالغناء فى

مكان لائق فتوصلنا بأن أغنى عند عبد الرحمن رشدى وكان محاميا شهيرا وأنشأ فرقة مسرحية محترمة وكانت حادثة اجتماعية خطيرة فى الحياة المصرية أن يفتح محامى شهير مسرحا.. وغنيت هناك بالفعل.. وكان يوجد تياترو اسمه «برينتانيا» وأتى شوقى بك وسمعنى وأنا أغنى وكان عندى تقريبا تسع سنوات وكنت أغنى فى غاية الجدية.. أرتدى بدله ببنطلون طويل وياقة منشية وأمسك عصا وألبس طربوش وكنت جد فى الفن وحتى وانا صغير السن.. لماشوقى بك سمعنى شعر بتجربته ونظرته الثاقبة أن هناك موهبة حقيقية يجب الاعتناء بها فسأل إلى متى أظل ساهراً فى التياترو؟ وكنت أنا أظهر بين الفصول أى أظل ساهرا حتى الواحدة صباحا وأذهب إلى منزلى فى الثالثة صباحا وكنت نحيفا جدا وقتها.. فخاف شوقى بك على صحتى وكان يؤمن بأن العقل السليم فى الجسم السليم وخاف على موهبتى من الضياع وسط السهر والتعب فذهب إلى الحكمدار الانجليزى وقتها وقال له كيف وانتم تدعون التحضر كيف تتركون اطفال يسهرون حتى الثالثة فى العمل فى المسارح وفعلا أوعز لعبد الرحمن رشدى بالاستغناء عنى.. ولما سمعت هذا الخبر كرهته جدا وأصبح عدوا لى فقد حاربت أهلى من أجل السماح لى بالغناء ويأتى هو ويمنعنى من الشىء الذى أحبه وأحارب من أجله.

● ومتى بدأت العلاقة بينك وبين أحمد شوقى تأخذ مسارا أخر انتهى بصداقه عظيمة ورعاية شديدة من جانبه لك حتى إنه شارك فى تكوينك الثقافى.

- كنت أغنى فى سان استيفانو فى حفل تابع لنادى الموسيقى الشرقى واذ بهم يقولون لى ان شوقى بك يريدك ويريد أن يسلم عليك

فحاولت الهروب ولكنهم أصروا وأنا كنت وقتها شاب فى حوالى الخامسة والعشرين وكنت قد التحقت بمعهد الموسيقى وتعلمت موسيقى وكنت مدرساً فى مدرسة الخازندار والسلحدار للموسيقى والأناشيد.. وكنت قد تعلمت النوته فى نادى الموسيقى الشرقى ودخلت ايضا معهد ايطالى تعلمت فيه الهارمونى وايضا تعلمت على يد مدرس روسى وأيضا تعلمت على الموسيقى المصرى صفر على.. المهم ذهبت لمقابلة شوقى بك وانا شاب متسلح بالعلم وكان هو سعيد جدا بهده الخطوة وكانت سعادته أكبر بأننى لم أكتف بالغناء فقط مثل باقى الفنانين فى ذلك الوقت ولكنى أصررت على الدراسة وكان يشجعنى دائما على الدراسة وان اتشبه بالفنانين الذى ارتفعوا بالفن وبمستواه مثل عبد الرحمن رشدى ويوسف وهبى.

● أثر أمير الشعراء أحمد شوقى عليك كبير جد.. وكما ذكرت فقد شارك فى تكوينك الثقافى وفى رؤيتك الفنية وفى انفتاحك على فنون العالم.. فهل لنا أن نتعرف منك أكثر على أهمية هذه العلاقة؟

- شوقى بك علمنى الكثير.. أولا الجلوس معه فى حد ذاته كان علما.. مثل الذهاب للجامعة.. فالطالب فى الجامعة يذهب للمحاضرة يستمع ويكتب.. أنا كنت أجلس معه استمع اليه واستفيد وكنت احفظ مايقوله، احفظ كلامه مثل حفظى للموسيقى.. كان شوقى بك يجلس مع حافظ إبراهيم مع وحيد الايوبى.. مع العقاد.. كان يجلس مع الكبار مع مكرم عبيد مع كبار السياسيين والأدباء.. وكانوا يتناقشون وأنا استمع إليهم وأنا صامت استوعب مايقال وافكر فيه بعد ذلك واتأمله ثم اقرأ عنه.. فكان ذلك أكبر منبع للتعليم كنت أتعلم علم الحياة.. واتعلم

من المناقشة وأنا صامت.. فكان من المستحيل أن أشارك فى مناقشة تجمع بين شوقى بك وثروت باشا وصدقى باشا ومكرم باشا.. كنت استمع واتعلم واستفيد وشعرت بأننى لابد وأن أحافظ على المستوى.. وأصبحت لا أجد متعة إلا وسط الأصدقاء الذين استطيع ان اقيم معهم حواراً فكرياً ثقافياً فعرفت توفيق الحكيم وصادفته صداقة كبيرة جدا نخرج سويا ونأكل سويا ونتسامر معا وكنا جيرانا.. أنا كنت اقطن عمارة الايموبيليا وكان هو يعيش فى بانسيون بجانبى ثم عرفت الفنان نجيب الريحانى وكان جارا لى فى نفس البناية.. ثم عرفت مصطفى أمين وكامل الشناوى واحسان عبد القدوس ودرست له أناشيد وكدت اتعرض للرفت بسببه فقد كان صوته نشاذا جدا فرجوته أن يصمت ولا يغنى ورجوته ان يغنى بلا صوت أى ان يفتح فمه فقط كما لوكان يغنى يعنى أول من اخترع الدوبلاچ كان احسان عبد القدوس - اقصد ان اقول إن احمد شوقى علمنى من أجالس وأن احافظ على مستوى معين فى الصداقة.. لانك إذا صادقت الكبار كبرت معهم وارتفعوا بك وإذا صادقت الصغار نزلوا بك وانخفض مستواك الفكرى وظلت هذه المسألة عندى منذ ذلك الوقت.

● كانت أول رحلة لك بباريس هامه جدا فى حياتك.. وبعد ذلك تعددت رحلاتك هناك. ولكن هذ الرحلة بالذات كانت بمثابة فتح أفاق واسعة من المعرفة لديك.

- بالفعل كانت رحلتى الأولى لباريس مع أحمد شوقى لها تأثير كبير على. لأن تسليه شوقى بك عبارة عن تعليم.. فعندما يريد أن يرفه عن نفسه يذهب إلى أهم المسارح هناك.. ورغم أننى لم أكن أجيد الفرنسية ولكنى كنت أشعر بالجمال وبالحركة وبالاخراج وبالموسيقى المسرحية

ثم يأخذني في يوم آخر لمشاهدة أشهر عروض الباليه أو نذهب إلى الاوبرا أو نذهب إلى متحف اللوفر.. وأنا معه أعيش كل ذلك واستوعبه واتذوقه واتفهمه.. كان عندما يريد شرب القهوة مثلا يذهب إلى المقهى الذي كان يجلس عليه «ڤولتير» ويتحدث معي عن لماذا هذا المقهى بالذات ومن هو ڤولتير هذا وأجدني تلقائيا ارجع واقرأ عن ڤولتير. وهكذا نذهب إلى الغابة التي كان يعشقها الشاعر الكبير «لامارتين» وهكذا.. كان يعشق باريس والجو الثقافي لها وعلمني كل ذلك.

● هذا عن تأثير صداقتك بأحمد شوقي على شخصيتك. ولكن لابد لنا أن نتحدث عن التعاون الفني بينكما فأنت لحنت الكثير من أشعاره.. وانقسم الناس. وقتها على ماتقدمه .. فمنهم من رأى انك خرجت عن أصول الموسيقى العربية وان ذلك لا يجوز ومنهم من رأى فيك تيارا جديدا مجددا في الموسيقى العربية والمزج بين التخت العربي والموسيقى الغربية مما أثار العديد من الناس عليك وكانت أهم المعارك عندما ظهرت لك أغنية «في الليل لما خلي» لاحمد شوقي.

- نعم هذه الأغنية أحدثت ضجة كبرى وقتها.. وأنا اذكر انني عندما كنت اقوم بتلحينها أردت أن أرضي شوقي بك.. وقلت له «يا باشا أنا سوف الحن هذه القطعة كما تريد أنت على ذوقك.. أي الحنها على نمط الحان عبد الحي حلمي» ففوجئت بثورته على قائلا مالك أنت ومال ذوقي ومال أذني.. أنا ذوقي خلاص سيذهب يجب أن تعمل أنت لعصرك للجيل بتاعك.. أعمل ولحن لذوقك أنت.. وإياك إياك أن تنافق في الفن.. ولا تقوم ابدا بعمل أي شئ لا تكون مقتنعا به.. لابد ان تكون

نفسك وأن تتمرد حتى على أنا .. الحقيقة كان درسا مفيدا جدا .. وأنا منذ زمن وبدره التمرد كانت بداخلى وكنت احتاج فقط للتشجيع فما بالك والتشجيع يأتى من رمز من رموز الثقافة وأخذ يشجعنى على أن أقدم نظرتى ورؤيتى وعصرى وآلا ألتفت لغير ذلك ولا ألتفت للهجوم الذى سأواجهه من أصحاب التيار التقليدى كان ذلك بمثابة نقطة تحول حقيقى وفارق بالنسبة لى.. كانت النقلة الحقيقية فى موسيقاى نقلت كل أحلامى الموسيقية.. وظهر ذلك أ ول ما ظهر فى أغنية «فى الليل لما خلى» وهى أول أغنية أدخلت فيها الالآت التى لم تكن تستعمل فى ذلك الوقت أى الآلات الغربية.. وبذلك طفرت طفرة كبيرة فى الموسيقى والألوان والأشكال الموسيقية التى قدمتها حتى أثر ذلك أيضا فى اختيار الكلمة المناسبة للأشكال الموسيقية الجديدة ومن ذلك الوقت وأنا أحاول ان اتمرد دائما واقدم أشكالا موسيقية مختلفة دائمًا.. وايضا دائما اشعر بأننى غير راضى عما أقدم واريد أن اقدم الافضل والأفضل.

● محاولة تطويرك للموسيقى العربية وأنت الدراس الفاهم لها.. كنت تريد لها أن تحلق فى أفاق أوسع وأرحب.. ومحاولتك لتطوير التخت العربى الشرقى الذى ظل فترة طويلة كما هو .. هذه المحاولات تجعلنا نسأل عن العالمية ووصول الأغنية والموسيقى العربية للعالمية .. وهل يجب أن نتمسك بالمحلية أم لا.. وهل الهارمونى يصلح لموسيقانا أم انه يفسد مذاقها؟

- ما فى وشك أنا دائما اقف مع التطوير.. ولكن التطوير المدروس الذى يبقى على الروح الحقيقية والأصيلة ولا يفسدها ولا يجعلها مسخا.. ونحن نكون عالما بحد ذاته.. فلماذا دائما ننظر للغرب. فالعالم

العربى عالما بأكمله .. فالأغنية التى تنجح مثلا فى مصر نجدها قد نجحت وفى نفس الوقت فى المغرب وفى المشرق أى فى العالم العربى كله .. ولكن المشكلة اننا لسنا متعلمين تمام التعليم أو كما يجب أن يكون التعليم، الموسيقيون عندنا ليسوا على معرفة عميقة بالعلم الموسيقى والمتعلم منهم غير مؤمن بالموسيقى الشرقية.. والتطور الحقيقى دائما يحدث من الإيمان بالشيء ثم المعرفة السليمة والتعليم الجيد.

● لماذا تغلب على أغانينا نبرة الحزن والشجن؟

- احنا شعب يميل للشجن.. عندنا الحب حزين مهما كان فهناك الواحد يكون جالس مع حبيبته يكاد يبكى. لماذا لا أعرف؟ احنا شعوب عاطفية.. مثلا عندما ترى الأم أولادها العائدين من سفر تعبر عن فرحتها بالدموع أو عندما تودع الأولاد ايضا تودعهم بالدموع.. أما فى الغرب فهذا يحدث ببساطة وابتسامة مع السلامة .. وهكذا الموسيقى عندنا فيها جزء كبير من التطريب.. الموسيقى اذن تعبير عن طباع شعب.

● انت ذكرت الحب فى الأغانى ولكننى انتهر هذه الفرصة لكى اتعرف على رأيك فى الحب.

- أحمد شوقى قال.. الحياة الحب والحب الحياة.. أما أنا فأقول إن الوجود هو الحب أنا وانت والشعوب كلها ثمرة حب والحب عند المرأة اخلص وعندما تحب لا تسمح بان يخدش هذا الحب.

● كان لعميد الأدب العربى د. طه حسين وللكاتب الساخر فكرى أباظه أثرهما أيضا عليك.

ـ نعم جمعتنا صداقة كبيرة .. وأنا أتذكر واقعة هامة حدثت لى فى لبنان. فقد تلقيت نبأ وفاة والدى وأنا هناك وكان على ان أقيم حفلا فرفضت الغناء لحزنى على والدى ورغبتى فى العودة ولكنهما اقنعانى بضرورة الغناء وقالا إن الغناء ليس تعبيرا فقط عن الفرح والتسلية والتهريج .. ولكن الفنان يستطيع أن يعبر عن كل الاحاسيس وإذا كنت انت حزين فيجب أن تعبر عن حزنك بالغناء أيضا.

● **ولماذا غنيت في ذلك اليوم ؟**

ـ غنيت أغنية لشوقى بك باللهجة العامية كان اسمها «الليل بدموعه جانى» وآخر بيتين فى هذه الأغنية اعتبرهما من أجمل ما كتب باللهجة العامية وتقول هذه الكلمات.

توحشنى وأنت ويايا   واشتاق لك وعينك فى عنيه

وأذلل والحق معايا   وأعتبك متهونش عليه

انظري جمال الكلمات ـ اعتقإنه من الصعب الأن أن يقول أحد هذه الكلمات والمعانى بهذا الصدق والأحساس العالى.

● **لماذا هجر الغناء الشعر.؟**

ـ زمان كان يوجد شعر.. كان فيه فطاحل الشعراء.. أحمد شوقى.. حافظ إبراهيم، إسماعيل باشا صبرى.. على محمود طه.. محمود حسن اسماعيل حتى أحمد رامى كان يكتب شعرا والشعر العامودى شعر يصلح للغناء.. أما الأن فيوجد شعر حديث والشعر المنثور يعنى لا يوجد هناك رأى متفق عليه فى الشعر.

● هل الشعر الحديث صعب فى الغناء؟ والتلحين؟

- من وجهة نظرى أنا لا يوجد هناك شعر حديث وشعر قديم ولكن يوجد شعر جميل وشعر سيء أو لا شعر... المهم انه يوجد شعر موسيقى وشعر غير موسيقى فأهم سيئ فى الشعر يكون فيه موسيقى لكى يغنى فأنا لا استطيع أن ألحن أو أغنى مقالة.

● ذكرت الشاعر على محمود طه.. وانت غنيت له عددا من الأغنيات فهل انت محب لشعره؟

- انعم انا أحببت شعره قبل أن أعرفه... فأنا غنيت له أغنية الجندول وكان وراءها قصة طريقة.. كنت جالسا عند مكرم عبيد وكان صديقا حميما لى .. ووجدت جريدة الأهرام أمامى ومنشور فى إحدى صفحاتها قصيدة باسم الجندول.. أعجبت بها وعلى الفور أمسكت العود ولحنتها فى لحظتها حتى وصلت إلى «أنا من ضيع فى الأوهام عمراً» ولا أدرى لماذا تصورت إنها للاستاذ محمود حسن إسماعيل وبدون تردد طلبت محمود حسن اسماعيل فى التليفون وذكرت له إننى أعجبت بإحدى قصائده وبالفعل قمت بتلحينها ففرح كثيرا وقال لى كلاما لطيفا ثم سألنى عن اسم القصيدة التى أخذتها فغنيت له فى التليفون بداية قصيدة الجندول فاندهش الرجل وقال إن هذه القصيدة ليست له وانما هى للشاعر على محمود طه فتأسفت له وأحرجت منه كثيرا ولكنه خفف وطأة الحرج بقوله انها بالفعل قصيدة جميلة وانه هو شخصيا معجبا بها. وبالفعل اتصلت بالشاعر على محمود طه.. المهم هذه الاغنية لحنتها فى دقائق كما قلت لك حتى «أنا من ضيع فى الاوهام عمراً وظللت بعد ذلك ستة اشهر أحاول تلحين الجزء الباقى وعند

تسجيل هذه القصيدة فى الإذاعة حصر تسجيلها الدكتور طه حسين عندما عرف اننى سوف اسجل قصيدة وصفية لعلى محمود طه لانه كان لا يحفل كثيرا بالاغانى الدارجة.

• إذا كانت أغنية فى الليل لما خلى تعتبر نقلة فى موسيقاك وفى الموسيقى العربية عموما فلاشك إن دخولك لعالم السينما يعتبر أيضا نقلة فنية هامة فى حياتك .. رغم إنك لم تكن موافقا فى البداية على العمل فى السينما.

- الحقيقة التمثيل لم يكن مهنتى فأنا مهنتى الأساسية التلحين والغناء ولذلك ترددت كثيرا قبل الموافقة على دخولى السينما والإنسان دائما يخاف من الشيء الجديد والمجهول.. وأنا لا أستطيع ان أمثل ادوار بعيدة عني عن شخصيتى يعنى لا أستطيع أن امثل دور طبيب أو دور مهندس.. ولذلك لم أسعد كثيرا بالتمثيل رغم النجاح الكبير الذى لاقينه فى السينما منذ الفيلم الأ ول الوردة البيضاء.

• بجانب الغنآء والتلحين والتمثيل أنت دائما كنت حريصا على تقديم الموسيقى الخالصة للمستمع رغم إننا شعوب غنائية وليست موسيقية كالغرب مثلا.

- فالحقيقة بذرة نشر الموسيقى الخالصة للناس كانت موجودة بداخلى طول الوقت.. فانا بدأت مثلا بتقديم موسيقى «فانتازية نهاوند».. وموكب النور.. وزينه وعزيزة.. وحبيبى الأسمر وحياتى.. وقطع أخرى كثيرة وأنا عندى عقدة من زمان فمنذ أيام الاتراك كان التخت يقدم قطع موسيقية (البشارف) على ايقاعات قبل ما يبدأ المطرب فكان الناس تصفق على الغرفة استهجانا لكى تبطل عزف

البشارف ولكى يظهر المطرب ليغنى.. وهذا أحدث عقدة بداخلى.. فمن وجهة نظرى الموسيقى أخلد من الغناء وهى الابقى.. والموسيقى أخلد من الكلام ونحن نجد فى الموسيقى الغربية انه كثيرا ما تموت الكلمات وتبقى الموسيقى فقط.. وتساءلت كثيرا بينى وبين نفسى لماذا لاتسمع الموسيقى بحد ذاتها.. فقدمت قطع موسيقية وكنت أسجلها على اسطوانات بجانب الأغانى.. وأيضا انتهزت فرصة تلحينى لكوكب الشرق أم كلثوم واستغليت مكانتها المرموقة عند الجمهور فقدمت مقدمات موسيقية طويلة لأغانيها وأيضا موسيقى طويلة بين الكوبلهات وأنا مقتنع أن الجمهور سيستمع لها وانتهزت فرصة احترام الجمهور الشديد لأم كلثوم لكى أقدم له موسيقى خالصة ممكن أن تسمع بحد ذاتها.. وأيضا انتهزت نفس هذه الفرصة مع عبد الحليم حافظ وقدمت مقدمة موسيقية طويلة فى أغنية فاتت جنبنا.

• لماذا فى نظرك.. لاتجد الموسيقى الخالصة نفس القيمة التى تجدها عند المتلقى فى الغرب.. وأيضا لماذا لاتجد لها مكاناً وسط الفنانين لتقديم موسيقات وسيفونيات خالصة تلقى نفس الاحتفاء الذى تلقاه فى المجتمعات الأخرى ؟

ـ بالنسبة لنا.. الغناء امتع بلاشك.. ولكن مع التطور الموسيقى بدأت تأخذ مكانا هاما الآن.. وهذا يرجع لفرق الزمن وفرق التطور فالموسيقى العربية بدأت تتطور وتتجه للتعبير بدلا من التطريب منذ زمن قريب نسبيا منذ أيام سيد درويش وهذا زمن ليس بطويل لكى نخلق سيمفونيات وكونشرتو هذا يتطلب نوع معين من الموسيقيين

المتعلمين جداً وفى الوقت نفسه غير متفكرين لموسيقاهم العربية حتى يستطيعوا أن يحتفظوا بالروح العربية الشرقية التى لاتبتعد عن ذوق الجمهور العربى فى إطارات موسيقية عالمية فنحن لم نخدم بعد الموسيقى الخالصة الخدمة التى تستحقها وذلك لأسباب كثيرة ومما لاشك فيه أن هناك محاولات جادة فى هذا الطريق ومحاولات يجب أن تُخدم ولكنها لاتكفى والزمن كفيل بتطبيق هذه المسألة والجمهور سيحبها ويتعود عليها ويجب لكى نصل إلى ذلك أن ينتشر العلم فى الحقل الموسيقى بأكمله عند العازف والملحن والمؤلف والمطرب.

● العلاقة بين من يعملون فى مهنة واحدة تكون دائما علاقة ضرورية تختلط فيها مشاعر الزمالة بالاعجاب وأحيانا بالغيرة.. ويحجم هذه الزمالة يراقبون ويتابعون بعضهم البعض.. ويعرف كل منهم ماذا أضاف الأخر وبماذا تميز ومتى أبدع ومتى خانة التوفيق.. وأنت موسيقارنا الكبير أذن كبيرة تسمع وتفهم وتقيم وتبدع.. فإذا تحدثنا عن زميلة عمرك كوكب الشرق أم كلثوم صاحبة الأوتار الصوتية النادرة والعقل الذكى لابد وأن نتحدث كثيرًا ونوضح هذه العلاقة التى جمعت بينكما ما بين شد وجذب ومحاولة للسيطرة على أذواق الجماهير.. ولكن فى كل الأحوال كان الإحترام هو السائد بينكما.. ولكن دعنى أعرف الحكاية من أولها فمتى كان التعارف بينكما؟

ـ صمت قليلا مسترجعا الذكريات وقال.. الحقيقة الذكريات عديدة وبعيدة.. قصة معرفتى بأم كلثوم بدأت منذ بداية عملى فى الحقل

الغنائى.. فأنا أتذكر عندما كنت طالبا فى نادى الموسيقى الشرقى كنا ندرس التراث الموسيقى العربى فذهبنا فى إحدى الليالى إلى حفل فى حديقة الأزبكية لكى استمع إلى مطربة جديدة تسمى أم كلثوم وكانت تغنى وقتها أغانى التراث القديمة والتواشيح ووراءها بعض أفراد أسرتها كفرقة.. الحقيقة انبهرت كما انبهر الجميع بها لأنها لم تكن تغنى مثل غناء المطربات فى ذلك الوقت.. كل شيء فيها كان مختلفا .

● نحن جميعا نعلم أن صوت أم كلثوم صوت معجزة ولكنك تتحدث الآن عن الطريقة المختلفة التى أتت بها أم كلثوم فما هى هذه الطريقة التى تميزت بها عن باقى مطربات زمانها الأول؟

ـ كانت المطربات قبل أم كلثوم يقدمن الغناء بطريقة أبسط ما يقال عنها إنها غير لائقة كما نقول بطريقة (العوالم) فجاءت أم كلثوم لكى تقف على المسرح بشكل محترم غير مبتذل وتقدم لجمهورها فنا راقيا.. فقدمت أول ما قدمت تواشيح دينية ومدح فى الرسول عليه الصلاة والسلام. وكانت طريقة وقوفها على المسرح والملابس التى ترتديها فى غاية الحشمة والاحترام.. حتى طريقة نطقها للغة كانت مختلفة فقد كانت تؤدى بعربية صحيحة فصيحة.. كانت مختلفة عن باقى المطربات فى كل شيء.. ليس فقط كونها صوت معجز وبديع ولكن الاحترام الذى قدمت به فنها جعل الناس فى ذلك الوقت يشعرون بإنها بالفعل شيء مختلف وأصبح حديث الناس عن المطربة الجديدة أم كلثوم كيف تغنى وماذا ترتدى وكيف تخدم فنها ونفسها.

● **كيف كانت معرفتك بها فى أول الأمر؟**

ـ بدأت معرفتى بها أولا كمعجب ومستمع لصوتها فقط.. لأنها فى الحقيقة كانت تقدم لونا غنائيًا مختلفا عنى.. فأنا كنت متأثرا بالفنان سيد درويش الثائر المجدد المتطور.. وهى كانت تقدم الغناء التراثى ولذلك احتضنها نادى الموسيقى الشرقى الذى كان يؤمن بالتراث فى الغناء وأحاط بها أساتذة التراث وتأثرت هى بهم جدا مثل الشيخ أبو العلا محمد، والشيخ محمود رحمى.. فكان طريقنا الفنى مختلف.. ولذلك كانت معرفتى بها فى البداية معرفة سطحية وإعجاب بهذا الصوت المبهر .

● **وكيف تطورت العلاقة بينكما من مجرد معرفة إلى صداقة وزمالة واحترام؟**

ـ أنا كنت صديقا لشاعر الشباب أحمد رامى.. وكان هو المبدع الأول لمعظم أغانى أم كلثوم فتعرفت عليها من خلاله.. وكانت هى قد انتقلت للقاهرة نهائيا بعد أن كانت تأتى للقاهرة فقط لاحياء الحفلات.. المهم أذكر أننى كنت فى ندوة فنية فى منزل محامى شهير اسمه أحمد خيرت والد الموسيقار الكبير أبو بكر خيرت.. وكانت هى حاضرة فى هذه الندوة وايضا اعضاء نادى الموسيقى الشرقى.. وكان دويتو الشيخ سيد درويش (على قد الليل ما يطول) مشهورا جدا فى ذلك الوقت فطلبوا منا أن نغنى هذا الدويتو معا وفعلاً كان هذا أول وأخر دويتو غنائى يجمع بيننا .. وطبعا لم تكن أجهزة التسجيلات منتشرة آنذاك فضاع هذا العمل فى الهواء.. وبعد ذلك فرقتنا الحياة قليلا.. فكان طريقى الفنى مختلفا عنها .. أنل لى لونى ولها لونها الفنى.. انا لى

جـمهورى ونظريتى فى التطور فانا دائما ثائرا مـتمـرداً نحـو الجـديد والتطور. وهى لها لونها الكلاسيكى الرصين ولها محبوها وعشاقها ولها حفلاتها المميزة وانا ايضا لى حفلاتى.. كانت بيننا منافسة شريفة جميلة. أنا أحترم عملها وهى تحترم عملى.. كان التقدير والاحترام متبادلا بيننا وأيضا تجمعنا صداقة جميلة.

● سألت موسيقارنا الكبير وهو يجلس أمامى على مقعده المفـضل فى صـالون منذله عن هذه العلاقـة الودية التى جمعت بينهما وعن حرمان الجمهور العربى العريض من التعاون بينهمـا لسنوات طويلة ثم حدثت المفاجأة الكبرى ١٩٦٤ بلقاء السحاب كما وصفه النقاد .. وهو لقاء موسيقى محمد عبد الوهاب بحنجرة كوكب الشرق أم كلثوم - فكيف حدث ذلك ومن كان البادئ وصاحب فكرة هذا اللقاء الذى طال انتظاره؟

ـ رجع برأسه إلى الوراء وسرح قليلا مع الذكريات .. ولم أجرؤ أنا على ازعاجه فصمت .. وأخيرا نظر إلىّ قائلا.. من كان البادئ بهذا اللقاء؟ قد أكون أنا، وقد يكون الجو المحيط أو الظروف لست أدرى. عموما سأحكى لك الحكاية فى الحقيقة أنا اعتزلت الغناء فى الحفلات منذ مدة طويلة وكانت هى صاحبة الحفلات الشهرية الشهيرة التى تجمع حولها عشاقها من المحيط إلى الخليج العربى.. وكان كل الملحنين يتمنوا أن تغنى لهم كوكب الشرق.. وأهم شئ فى اغنياتها هو صوتها.. المهم أنا فى البداية لم أرض لنفسى أن الهث بالحانى وراءها .. فانا لى طريقتى ولونى ومكتفى بذلك ولا أحتاج لصوتها ولا أسعى وراء أن

تغنى لى .. ولكن بعد أن هجرت الغناء فى الحفلات كانت دائما تراودنى فكرة أن أقدم لها لحنا ولكنى كنت متخوفا من عدم امتناعها هى بأسلوبى المتطور ولا يقتنع أيضا جمهورها بهذا الأسلوب الجديد عليها المهم ظلت الفكرة تلح على كل فترة ثم حدث ان كنت الحن قطعة للشاعر أحمد شفيق كامل وهى أغنية أنت عمرى وكنت الحنها لنفسى وزارنى فى ذلك الوقت عازف الكمان الشهير أحمد الحفناوى وسألنى لماذا لا تقدمها لأم كلثوم؟ قلت ليس لدى مانع أذهب وأسألها فوجد هناك نفس الترحيب وبسرعة أجريت التعديلات المناسبة وكانت الأغنية.

● ليس بهذه السهولة فانتما عملاقان فى المجال الغنائى فكيف تم الاتفاق بينكما رغم اختلاف لونكما الغنائى؟

ـ من مميزات كوكب الشرق العديدة حبها للمعاصرة لذلك استمرت طوال هذه الفترة تسيطر على جمهورها: فبداخلها رغبة فى التطوير والمعاصرة وعندما عرضت عليها فكرة تلحين أغنية انت عمرى ذكرت لها أننا يجب أن نقدم الجديد للجمهور لجمهورنا سويا وطلبت منها أن تستجيب لتصوراتى فى الجديد الذى سأقدمه الحقيقة هى وافقت ولكن بشرط. وكان شرطا يدل على أحساسها الفنى العالى.. قالت «أنا موافقه على كل جديد تقدمه على شرط ان يدخل أحساسى واقتنع به فنياً وإذا لم اقتنع به نغيره وبالفعل عملنا جلسات عمل عديدة لكى يظهر هذا العمل الأول لنا.

● هل تتذكر بعض المواقف الفنية التى أخذت منكما مناقشات عديدة؟

ـ أشياء كثيرة أذكر منها إننى كنت أرغب فى ادخال آلة الجيتار فى الاغنيـة هى رفضت فى البـداية ولكن بعـد أن استمـعت اليـه وافـقت بل وأعجبت بـه .. شـىء أخر أخذ منا مناقشة وهو المقدمة الموسيقية الطويلة قبل الأغنيـة .. كانت وجـهه نظرى أن جمـهورها يعشقها وهى تغنى وأنا جمهورى يعشق موسيقاى ولـهذا يجب أن ترضى جمهورنا وأن نمزج العنصرين معا.

وبالفعل وافقت فى الحال وكانت المقدمـة الموسيقيـة أطول مـقدمـة موسيـقيـة لأغنية تـغنت بها كوكب الشرق لدرجـة أنها أصبـحت الأن تعزفـ كقطعة موسيقية بحد ذاتها.

● ثم استمر بينكما اللقاء والتعاون وسعدنا نحن وحلقنا معكما مع سحر النغمات واعجاز الصوت.

ـ قدمنا سويا تسع اغنيات .. وكان التعاون الفنى بيننا رائعا .. كنت دائمـا أحـاول أن اقـدم لهـا لما يرضـى احـسـاسـهـا وكـان هى تحـقق لى طموحاتى .

● اذن نود أن نعـرف منك رأيك الفنى العلمـى لصـوت أم كلثوم الذى قيل عنه الكثير وأجريت ابحاث علمية عنه .. فما هو تقييمك الفنى لصوتها؟

ـ أم كلثوم أقدر صوت واعظم صوت فى العالم العربى منذ أن سمعنا الغناء وإلى الابد .. فكل صـوت له مـسـاحـة مـعـينة تسـمـى فى اللغـة الموسيقيـة أرضية .. توجد فى هده الارضـيـة منطقة متوسطة ومنطقة

عالية وكل مطرب أو مطربة فى الدنيا له منطقة أو منطقتين فى هذه المساحة يستطيع أن يغنى من خلالها أى عندما يغنى من هذه المنطقة بالذات يغنى بشكل جيد وجميل ويكون متمكنا فيها.. ولكن اذا غنى من منطقة أخرى لا يستطيع أو يقدم غناء نشازا ينشز يعنى، أم كلثوم خلافا لكل ذلك كانت تستطيع ان تبدع الغناء من كل مناطق ومساحات صوتها بنفس الجودة وكان لها السيطرة التامة وسلطة واحدة على طبقات صوتها.. وكان لا يمكن تفشل لها قفلة غنائية ابدا مستحيل - هذا بالاضافة إلى شخصيتها الساحرة.. فالشخصية جزء لا يتجزأ ابدا من غنائها .. فأم كلثوم لا تغني فقط بصوتها ولكن بكل جزء من اجزاء جسمها .. فهى تقول المعنى الذى تريد أن توصله بغنائها وبحركات جسمها .. برأسها بيدها وايضا لا تنسى الاحترام والهيبة التى كانت توحى بها وبعدها عن الظهور بمظهر غير لائق فى الحياة وترفعها وثقافتها التى اكتسبتها.. كل ذلك جعل من أم كلثوم شئ يكاد يكون ساميا مترفعا شامخا قويا.

● ولكن كيف كانت أم كلثوم تجمع بين القوة والشموخ وفى نفس الوقت رقة الاحساس؟

- هذا أيضا واحد من أهم مميزات صوت أم كلثوم .. الله سبحانه وتعالى أعطى صوتها مميزات لم نرها فى غيرها .. فمثلا ما تقولينه وهو الجمع بين القوة والرقة لا يوجد عند غيرها .. فنحن دائما نجد الصوت القوى قليل الاحساس.. والصوت الضعيف قوى الاحساس نادرا ما تجدى هذا الجمع الفريد.. هى كانت تجمع فى صوتها بين القوة ورقة الإحساس.. وكان صوتها ذى جرس قوى وله احساس يشعرك

بالشجن الذى يمس القلب، هذا بجانب طريقة ادائها للكلمات.. فكانت تؤدى كل حرف من حروف العربية بوضوح وفصاحه وذلك يرجع إلى حفظها للقرآن الكريم فى بداية حياتها وايضا لا يجب ان تغفل ذكاءها الشديد وثقافتها فكانت تقرأ كثيرا جدا فى شتى المواضيع وكانت تعشق الشعر والأدب.

هكذا تحدث الموسيقار عن رفيقة دربه ثم صمت.. احترمت انا صمته ولملمت أوراقى وحاجياتى وانسحبت فى هدوء كى يعيش على الذكريات.. واليوم نحن جميعا نترحم عليهما وعندما نتذكر اننا عشنا فى عصرهما نفخر بهما حقا منهما العملاقان الشامخان فى مسيرة الغناء العربى المعاصر.

حوار مع الشاعر نزار قبانى

إنه عازف الموسيقى فى شعرنا العربى الحديث.. إنه المدافع عن قضية الجمال والحب فى شعرنا الحديث.. هو الشاعر الذى يمشى دائما على حد الخنجر. .شاعر الدهشة والمصادفة هو الوردة حينما يتحدث عن الحب والجمال وهو السيف عندما يتحدث عن النضال وهو الفنان المتمرد والمتصادم عندما يحارب الجمود والتقليدية.. هو أكثر شعراء العربية الذى واجه حروبا شرسه فى عصرنا الحديث اختلفت فيه الأراء ما بين معجب إلى حد الموت والآخر رافضا إلى حد الموت أيضاً.

● وأنا اقابل شاعرنا الكبير نزار قبانى وأنا أتناول مجموعات شعره وحياته.. فلابد لى من الخوض فى بداية تكوينه كشاعر وكإنسان.. فإذا تتطرقت معه إلى الطفولة.. وإذا تصورنا إننى الآن فى لقاء مع السيدة والدتك فماذا ستقول والدتك عن نزار قبانى الطفل؟

ـ علاقتى مع أمى علاقة طريفة جدا.. كنت طفلها المدلل وكنت الطفل ذى الحظوة من بين كل أخواتي.. كنت صاحب الامتيازات بالمنزل.. هى كانت تخبىء لى أطيب وأشهى الأطعمة تخصنى عن بقية أخواتى حتى أحصل على نصيب أكبر من نصيب أخواتى.. علاقتى بأمى علاقة خطيرة فأنا أمى ارضعتنى حتى سن السابعة.. أنا تعلقت بها وتعلقت بصدرها فاستمرت ترضعنى حتى سن السابعة وهو سن مغالى فى طفولة. .ثم كانت تطعمنى حتى سن الثالثة عشر بيدها فهذه العلاقة جعلتنى مرتبطا بها جدا ومرتبطا بذكرياتى معها حتى إنهم قالوا عنى إننى لدى عقدة أوديب فأنا عاشق لأمى وكذلك أمى عاشقة لى.. وسوف أبوح لك بسر.. يوجد استاذ عالم فى علم النفس وهو ناقد أيضًا.. بدأ يطبق علم النفس على شعرى فقال.. إن سر استعمال نزار قباني لكلمة النهد هو سر استمرار فترة رضاعته إلى سن السبع سنوات.. وأنا بدأت افكر فى هذا الموضوع وقلت إنه ربما يكون ما يقوله صحيح.

● ولكن السؤال هنا لماذا ميزتك الوالدة عن باقى إخوتك ماذا وجدت فيك مختلفا جعلها تخصك بكل هذا الحنان؟

ـ لا أدرى.. لا أدرى.. ولكن كل ما اعرفه إنه كان هناك سر بينى وبينها.. علاقة حميمة جدا واستمرت حتى بعد أن تخرجت من الجامعة وعملت بالسلك الدبلوماسى وذهبت إلى لندن كانت ترسل لى طرودا من الطعام الشامى مثل الكبيبة الشامى رغم اعتراض أبى ومحاولة افهامها أن لندن مليئة بالأطعمة ولكنها تأبى إلا أن أكل من يديها هى والغريب أننى من حبى لها تعلمت منها طريقة طهى الطعام فكنت ألازمها كثيرا فى المطبخ وكان يحلو لى عندما كبرت أنا أدعو أصدقائى

على طعام بمنزلى بدلا من المطاعم.. وكنت كثيرا ما أنسى تفاصيل بعض الوجبات.. فكنت ألجأ لها لكى ترسل لى تفاصيل طهى الطعام الحقيقة إن علاقتى الحميمة بوالدتى ظلت فترة طويلة.

● شاعرنا الأستاذ نزار قبانى لابد وأن مكان نشأتك له تأثير عليك واقصد بذلك المنزل الذى نشأت به.. وأنا أتصور من خلال معرفتى بشعرك بأنك نشأت فى منزل دمشقى أصيل يمتلىء بالخضرة والياسمين والذى نراهما كثيرا فى شعرك.

ـ هذا سؤال هام جدا.. فأنا نشأت كما استنتجت فى منزل دمشقى أصيل.. فمنزل الأسرة كان فى حى من أحياء دمشق القديمة يسمى «مأذنة الشحم» والبيوت الشامية القديمة من أجمل البيوت من حيث فن المعمار العربى.. فهو يتألف من طابقين الطابق الأرضى عبارة عن باحة مكشوفة مصنوعه من الرخام والأعمدة الرخامية التى يتسلق عليها جميع أنوع الياسمين الأبيض والورد الأحمر وفيها شجر الليمون.. وبوسط الباحه توجد نافورة ماء نقى ليل نهار.. فى هذا الإطار نشأت. فكنت كأننى أعيش فى حديقة من حدائق الأزهار.. وأمى كانت حرفتها أن تنبت الزهور فكل هدفها فى الحياة هو تربيتنا وتربى معنا الورد.. نشأنا على صداقه مع الزهور والورد والرياحين فكنت فى طفولتى كأننى أنام على سجادة من العطر.

هذا البيت حقق لى نوع من الاكتفاء الذاتى.. فلم يكن يخطر ببالى أن أطلع خارج البيت لكى العب مع باقى الأطفال.. أعطانى هذا البيت الماده الأولية للشعر دون أن أدرى.. ما كنت أعرف وأنا طفل فى الثالثة

مثلا أننى أمشى بين الزروع واتسلق إدراج الياسمين.. ما كان يخطر ببالى إن سيمفونية الخضرة هذه ستساعدنى فى المستقبل على الكتابة.. لأن الألوان الذى أعطانى إياها هذا المنزل ساعد لغتى كثيرا لدرجة إننى قلت بأننى أكتب بلغة مائية.. لغة الماء هذه الطراوة وهذا المدى فى شعرى قد يكون عائداً لهذا البيت.

● هل بدأت ملكة الشعر عندك تظهر وسط هذه السيمفونية من الخضرة وهذه السجادة من العطر أى فى وسط هذا المنزل الدمشقى الجميل.

ـ لا بدأت أشياء فنية أخرى مثل الرسم.. الرسم كان أول مرحلة فنية لى.. فكنت مولعا بشكل عنيف بالألوان.. فكنت أصبغ الجدران بالألوان لدرجة أن أمى ضجت منى على محبتها الشديده لى.. وخصصت لى حجرة لكى أفعل بها ما أشاء ففترة اللون فى حياتى كانت فترة هامة جداً... فصار لى لوحات وصرت ارسم.. كنت على وشك أن اتحول إلى رسام ولكنى كنت سأكون رسامًا متوسطاً وأنا طموحى أن أكون الأول فى كل شىء.

● الرسم والألوان ونزار قبانى شىء طبيعى ومنطقى ولكن فى تصورى فإن الموسيقى يجب أن تكون لها دور كبير فى تكوينك ووجدانك ؟

ـ معك كل الحق فأنا بعد اهتمامى بالرسم تعلقت تعلقا كبيرا بالموسيقى بعد أن ادركت إننى لن أكون رساما متميزا فقررت أن أجرب الموسيقى والتلحين فأحضرت عودا وطلبت من أمى أن تأتى لى باستاذ يعلمنى العود والموسيقى وفعلا بدأت أخذ دروسا فى الموسيقى ولكن

الأستاذ ذ . بدأ معى بتعلمى «السولفيج» أى النوته الموسيقية، والنوته الموسيقية هذه علم الرياضيات وأنا أكره الرياضيات فشعرت بالملل الشديد من تعليم الموسيقى وأدركت بأننى موسيقى فاشل.. وتركت الموسيقى.

• السؤال الذى يلح على الآن هو متى إذن بدأ الشعر عند شاعرنا نزار قبانى ؟

- فى عام ١٩٣٩ كان عمرى ستة عشر عامًا.. وكنت فى رحلة بحرية إلى روما مع المدرسة.. وأنا واقف على ظهر السفينة اشاهد الأمواج والأسماك والدرافيل وهى تقفز حول الباخرة جاءنى فجأة ١ (بيت شعر.. شعرت بالخوف عليه من أن يقع منى فى البحر وتلتهمه: الأسماك ولكنى فوجئت بالبيت الشعرى الثانى ثم الثالث والرابع وهكذا. .فنزلت سريعا إلى القمره وكتبت هذه الأبيات حتى لا أنساها ولكى لا تضيع.. وأخفيت هذه ألا شعار عن أصدقائى لكى لا يسخروا منى. ونمت فى هذه الليلة لأول مرة فى حياتى يوم ١٥ أغسطس عام ١٩٣٩ (شاعر للمرة الأولى واستيقظت شاعرا أيضا) .

• هل تتذكر هذه الأبيات الأولى والتى جعلت منك شاعرا لأول مرة ؟

- أبدا ولكنى كنت مثل العصفور الذى جاءت على باله أغنية أداها . وانتهت المسألة

• ألم تضم هذه الأبيات لأى ديوان من دواوينك ؟

- لا لم يحدث.. فقد كانت بدايات مبكرة جدا.

• شاعرنا نزار قبانى.. لقد التحقت بكلية الحقوق لدراسة القانون فلماذا اخترت هذه الدراسة ؟

- لا أدرى لماذا اخترت هذه الدراسة رغم اننى لم أمارس العمل القانونى إطلاقا.. ولم أمارس قضية الدفاع فى حياتى إلا عن قضية واحدة وهى قضية المرأة

• عموما هذه القضية وهى قضية دفاعك عن المرأة كانت سببا فى فتح نيران الجحيم عليك فقد حوربت كثيرا بسبب تمسكك بالدفاع عن المرأة العربية.

- أنا أرى أن الكتابة عن المرأة هى قتال بالسلاح الأبيض.. فهى معركة تاريخية لأن المرأة مظلومة مضطهدة.. أنا دافعت عن سجن النساء الكبير أنا محطم أقفال هذه السجون طبعًا يوجد أخرين سبقونى فى الدفاع عن قضية المرأة ولكن لا يوجد أحد دافع وقاتل بالشراسة التى قاتلت بها للدفاع عن المرأة لأنى آعتبر أن الرجل يجب أن تقص أظافره لأنه إقطاعى كبير.. أنانى كبير.. متسلط كبير.. إنه يريد أن يحتفظ لنفسه بكل السلطات يريد أن يدرس الطب.. أن يشرع القوانين.. يريد.. يريد لدرجة أن المرأة كان لا يسمح لها قديما بأن تقرأ وإلى يومنا هذا توجد بعض مجتمعات فى عالمنا العربى لا يسمح للمرأة فيها بالتعليم.. الرجل يريد أن يمارس الثقافة على حساب المرأة والمرأة لا وجود لها فهى عبارة عن أداة عن كرسى.. عن سجادة تباع وتشترى.. أما الصلة الإنسانية بين الرجل والمرأة كانت علاقة مريضة. وكانت علاقة قمعيه تشبه العلاقة بين السجان والسجين فكان لابد أن أخوض هذه المعركة.. وهوجمت جدا لأننى ركزت هجومى على

الرجل باعتباره أنه لا يمكن أن تتحرر المرأة إلا بتحرر الرجل أولا.. لأن الرجل العبد لا يستطيع أن يعطى الحرية للمرأة.. وهكذا بدأت معركة طويلة ولكن اعترف لك بأن المرأة خذلتنى فى هذه المعركة ولم تساعدنى.

● وكيف ذلك؟ ولماذا خذلتك المرأة وأنت تدافع عنها؟

ـ لأن المرأة مستريحة بهذا الوضع التاريخى فطالما يوجد رجل بجانبها يعمل ويكد ويكافح ويعطيها الأموال لكى تنفقها فهى مستريحة بهذا الوضع وإذا نظرنا مثلا للمرأة الأوربية نجدها تكافح وتجتهد مثلها مثل الرجل.. وتشارك الرجل فعليا فى تحمل عبء الحياة أما نساؤنا فيردن جميعا أن يكن اميرات.. أو يتزوجن من امراء.. وأن يقدم لهن المن والسلوى على صوانى من فضه.. وهذا الوضع لا يستقيم.. حتى المثقفات اللائى كنت اعتمد عليهن أيضاً خذلتنى.. كنت أحمل البيارق واللافتات فى مظاهرة كبيرة للدفاع عن المرأة وفجأة نظرت ورائى فلم أجد أحدا منهن هربن جميعًا إلى حياة الراحة والكسل.. لا توجد جديه فى هذا الطريق وهذا سبب تسلط الرجال لأنها هى متمسكة بوصفها الضعيف هذا.. فالثورة تؤخذ ولا تعطى.. أريد أن أقول للمرأة لا تنتظرى أن يعطيك الرجل شيئا من حقوقكن .. الرجل يأخذ ويريد أن يحتفظ بإقطاعه التاريخى وبمكاسبه

● أستاذ نزار لنبتعد قليلا عن هذه المرارة التى تشعر بها ازاء قضية المرأة ونتحدث عن أعمالك الشعرية.. أريد أن نتحدث عن ديوانك الأول «قالت لى السمراء» وردود فعل أول ديوان شعرى لك عند الناس.

ـ أصدرت هذا الديوان بدمشق ١٩٤٤ وبمصروفى الخاص الذى كنت اتلقاه من والدتى.. وهوجمت وقتها هجوما شديدا.

بعد صدور ديوانى هذا.. وكنت وقتها مازلت شاباً صغيراً فى الصف الثانى بكلية الحقوق وكان عودى مايزال غضاً لا يستطيع التصرف ازاء هذا الهجوم.

نشرت ٣٠٠ نسخة.. وكان صوت «بودليرى» شبه الشاعر الفرنسى بودلير والذى له كتاب خطير جداً بأسم أزهار الشر.. قالت لى السمراء كان صرخة لغوية وأيضاً صرخة فى مضمونه أيضاً.. كان مختلفاً جداً عن الشعر الشائع .. صرخ بمواضيع كانت محرمه.. الحب كان عمليه ممنوعة فى المدن المتجمدة مع أن الحب هو نعمة يضعها الله فى صدورنا لكن ربما لا تشعرين بأهمية ما خضته لأن ذلك كان من أربعين عاماً والموقف إختلف الآن ولكن لايزال فى الريف وفى القرى عملية الوأد مستمرة الواد الفكرى مازال مستمرا حتى فى المدن... الرجل الشرقى يحاول دائمًا أن يكتم أنفاس المرأة ويمنعها من الكلام والتعبير.

● ما هى أكثر القصائد التى نالت حظًا أكبر من الهجوم؟

ـ قصيدة نهداك.

● أستاذ نزار قلت أن الفن الذى لا يقوم على المصادمة لا تعتبره فنا.. وأنك وصلت بشعرك إلى حد الكى..

ـ أنا لا أومن بالحلول الوسط.. لا فى الحب ولا فى السياسة ولا بالحياة ولا بالمواجهة لا يوجد وسط فى الحب.. أما أن نرمى أنفسنا فى

البحر أو فى النار أو نبتعد.. وأنا لا أومن بفن يمالىء .. مجتمعنا ملئ بالبشاعات والعاهات والعقد فأنا إذا صمت على الخرافات التى تسود المجتمع أصبح على الفور جزءا من الخرافة فوظيفة القصيدة هى أن تغير العالم... أنا أكتب لأغير العالم.. على الأقل العالم الذى أوجد فيه أنا.. لكن العالم الذى من حولى لا يقبل أى صوت جديد وأحارب بسبب ذلك.. تصورى مثلا واحد يحارب لأنه رسم لوحه مثلا أو كتب قصيدة حب جميلة.

● أنت تكتب لكى تغير العالم من حولك.. وأنت والحمد الله تمتعنا بكتابتك من عام ١٩٣٩ فهل شعرت بأنك بالفعل غيرت العالم من حولك؟

ـ نعم أنا غيرت كثيرا جداً.. أنا زحزت أحجاراً كثيرة.. المرأة اليوم تستطيع مثلاً أن تقرأ شعرى جهارا نهارا.. أما مع بداية كتابتى للشعر كنت أعرف بعض الأباء كانوا يحبسوا بناتهن إذا قرأن شعرى.. أما الآن فتدخل الفتاة إلى أى مكتبه تطلب دواوينى أو ربما يأتى بها والدها إليها.. أنا نقلت عمليه الحب من دهاليز السرية إلى الهواء الطلق عندما كتبت قصيدة «أيظن» التى غنتها نجاه من الحان الموسيقار محمد عبدالوهاب بعد أن كتبتها قال لى بعض الناس أننى تسببت فى إعادة علاقة الحب بينهما بعد سماع وقراءه هذه القصيدة.. عندما قلت (ورجعت ما أحلى الرجوع إليه) فالأحباء المتخاصمون رجعوا والازواج المتخاصمون رجعوا بعضهم لبعض.. اترين كيف يؤدى الشعر عملا إنسانياً.. أنا اعتقد أن شعرى استطاع أن يكون شجرة حب تظلل جميع العاشقين فى الوطن العربى.

• ديوانك الثانى (طفولة نهد) نشرته فى القاهرة فى نهاية الأربعينات عندما كنت تعمل كدبلوماسى لسوريا فى مصر فى أول عمل دبلوماسى لك.

ـ كانت القاهرة عبارة عن عرس ثقافي.. كانت عاصمة العالم العربى ثقافيا مثل باريس التى تعتبر عاصمة أوروبا الثقافية.. كانت القاهرة شيئا خطيراً بالنسبة لى وأنا استفدت كثيراً من وجودى بالقاهرة.. علمتنى أشياء كثيرة.. وتجدين آثار القاهرة منطبعة على ديوانى (طفولة نهد) كنت أكثر حرية فى هذا الديوان.. فالقاهرة أعطتنى حرية أكبر من حريتى بدمشق وعندما ذهبت إلى لندن وأصدرت ديوان (قصائد) كان أيضاً خطوة متقدمة عن ديوان طفولة نهد لأن لندن كانت بالطبع أكثر حرية من القاهرة.

• على ذكر لندن والقاهرة.. المتتبع لشعرك يلحظ أيضًا تأثير أسبانيا عليك خاصة فى قصيدة (غرناطه)

ـ أنا عشت فى أسبانيا فترتين من فترات عملى الدبلوماسى كانت أسبانيا تجربة خطيرة بالنسبة لى.. لأن أسبانيا نصفها عربى ونصفها أسبانى.. فكنت أمشى على سجادة التاريخ والطبيعة الأندلسية تشبه كثيرا الطبيعة العربية.. الحب الأسبانى يشبه الحب العربى.. العواطف الحنان .. المرآة.. خوف المراة وحنانها مثل المرأة العربية.. واللغة الأسبانية لغة متوترة والرقص الأسبانى رقص متوتر.. فالراقصة تنزف وهى ترقص وكذلك مصارع الثيران ينزف وهو يصارع الثيران.. علمتنى أسبانيا او زادت أسبانيا قناعتى برفض الحل الوسط علمتنى

أسبانيا التطرف فى الكتابة فى التعبير عن فكرى.. فإنا إنسان متطرف بطبعى لا أقبل الحل الوسط.

● إذن أنت شاعر متطرف.. ولذلك عادة ما تكتب اللا مألوف... فالفن عندك يجب أن يكون لا مألوفا أن يصدم المتلقى ويحركة.

ـ طبعاً باعتقد أن الشعر المألوف لا أهمية له.. الشعر هو فن أحداث الدهشة بالآخرين فأنا أريد أن أدهش القارىء.. فعندما يقرأ شعرى يشعر بأنه كلام لا عهد له به.. أما إذا سمع منى قصائد سمع مثلها من شعراء قبلى حتى ولو كان من المتنبى أو أبى تمام أو ابن الرومى فلا أهمية لى إذن.. أنا لا أومن بالتكرار فى الشعر إما أن أقدم شيئا جديدا أو اسكت.

● مسألة الدهشة التى تريدها من متلقى شعرك هل تتعمدها؟ وهل تكون فى ذهنك وفكرك وأنت تنظم الشعر؟

ـ طبعا من تجربتى وقراءاتى الكبيرة فى الشعر.. أنا أعرف ما قيل فى الشعر من قبلى.. فأنا اعرف ديوان الشعر العربى كله.. وعندما أكتب الشعر دائماً ما اسأل نفسى، هل سبقنى أحد إلى هذا القول فإذا كان الجواب نعم رميته فى سلة المهملات.. أما إذا كان الجواب لا اثبته.. ولذلك فأنا كل قصيدة اكتبها تثير زوابع وحرائق لأنى اصدم عواطف الناس وقناعاتهم الراكدة.. حدث هذا منذ أول قصيدة كتبتها وهى (خبز وحشيش وخمر). وبسبب هذه القصيدة جرت محاولات لطردى من وزارة الخارجية ونوقشت هذه القصيدة فى المجلس النيابى السورى واستدعونى من لندن وأنا دبلوماسى هناك.. ولأول مرة بتاريخ البرلمانات ينعقد البرلمان لكى يناقش قصيدة.. وتقرأ بداخله وتدخل فى

المحاضر.. يعنى أنا دائماً أحدث زلزالا بقصائدى.. وأنا أذكر قصيدتى «هوامش على دفتر النكسة» كانت توزع بشكل نشرة سياسية سرية لأنها أحرقت ومنعت.

• ألا ترى معى أن الناس أو القراء بالنسبة لنزار قبانى نوعان.. أما معجبا بشعرك إلى حد الموت أوكارها لشعرك إلى حد الموت.

- نعم هذا حقيقى.. أنا سعيد بهذا الوضع.. أنا لا أحب الطقس المعتدل.. أحب دائماً الزوابع.. أحب الرياح التى تعصف.. أنا لا أحب البحر الهادىء الذى يوصف من شده هدوئه بأنه مثل الزيت.. كيف يكون البحر مثل الزيت، هل نحن بصدد تناول طبق سلاطة مثلا: مفروض أن يحدث الشاعر زلزالا.. والقصيدة زلزال.. وأريد أن أقول لك شيئاً عجيباً.. الذين يكرهوننى هم أكثر الناس حفظاً لأشعارى فأنا افاجىء بأن أكثر الناس هجوماً علىّ افاجىء بهم يحفظون شعرى اكثر منى.. وهذا هو النفاق.. فنحن مزدوجى الشخصية ولا نقر بالحقيقة.

• أنت ذكرت الآن قصيدتك السرية الشهيرة.. (هوامش على دفتر النكسة) والمتتبع لشعرك يشعر بأنه حدث منعطف كبير فى شعرك بعد نكسة ٥ يونيو- حزيران ١٩٦٧ .. حتى عندما كتبت الحب بعد ذلك كتبته بشكل مختلف.

- ومن منا لم يحدث له منعطفات ومنعطفات بعد النكسة ولو تتذكيرن قصيدة (بلقيس) التى رثيت فيها زوجتى. .لم تكن قصيدة (رثاء) بالمعنى المألوف.. كانت «مانفستو» سياسى أنا ما رثيت بلقيس بالقصيدة بل رثيت العرب رثيت قاتلى بلقيس.. ولم يقتل بلقيس سوى

الخلافات العربية. لذلك ليس لدى مواقف على ضفة النهر أما أن اغرق بالبحر أو أن ابحث عن عمل آخر..

بالشعر لا يوجد سير في الامان.. من الحائط للحائط.

● نتوقف مره أخرى عند قصيدة هوامش على دفتر النكسة.. ونقول إن هذه القصيدة كانت تتضمن إدانة للعالم العربى وللنفس إدانة لك أنت ذاتك.. فقبل النكسة واسمح لى.. كان البعض يصفونك بانك شاعر عابث لا تعبأ بشىء جاد فى الحياة.. فقضيتك فقط هى المرأة والحب.

ـ أنهم لم يصفونى بأننى شاعر عابث فقط.. ياليتهم فعلوا ذلك فقط.. ولكنهم قالوا أننى كنت سببًا من أسباب النكسة.. فلماذا أبكى الوطن تصورى: إلى أى حد وصل بهم الحقد على وكان يوجد بيتين بالقصيدة أحدثت دوياً كبيراً وذلك عندما قلت.

«يا وطنى الحزين حولتنى بلحظة من شاعر يكتب شعر الحب والحنين لشاعر يكتب بالسكين»

● بمناسبة هذين البيتين هل أنت من الشعراء الذين من يحفظون شعرهم؟

ـ لا فأنا ضد الذاكرة الشعرية. .أنا لا ذاكرة شعرية لى وأنا فخور بذلك لماذا؟ ماذا تعنى الذاكرة الشعرية؟ تعنى أن يكون فى مخ الإنسان مسجل، آلة تسجيل وكل ما يطلب أحد أن يسمع أى قصيدة كتبت مثلا من عشر سنوات.. على الفور تفتح آله التسجيل ونسمع القصيدة.. أنا بأعتبر هذا نوع من الوقوف على الاطلال أنا اعترف لك بشىء، أنا

أكره أن اسمع شعرى لأنى أكره الوقوف عند نقطة ما فى الماضى فإذا حفظت قصيدة كتبتها منذ عشر سنوات فهذا معناه أننى توقفت ولم أتقدم منذ عشر سنوات فى حين أنا أرمى ورائى تاريخى الشعرى وابحث عن القصيدة التى لم تكتب.. القصيدة التى لم تكتب أهم عندى من القصيدة التى كتبت.. أنا أحيانا اكتب قصيدة فى الصباح ويصعب على أن أرددها فى المساء.. ممكن أن اتلوا شعرى من ورق لكن لا اثق بذاكرتى الشعرية.

● ولكن ألست معى فى أن شعرك يضاف إليه أبعاد ومعانى كثيرة وبهجة وتألق عندما تقرأه أنت على الناس؟

ـ أنا اعتبر أن إلقاء الشعر هو نصف الشعر أو ثلاثة أرباعه فالشاعر الذى يلقى إلقاءً رديئًا لشعره يغتال القصيدة. لذلك أنا انصح الشعراء الذين لا يجيدون قراءه شعرهم أن يعطوا شعرهم لغيرهم لالقائه.. وهذا ليس بعيبا . فأمير الشعراء كان لا يجيد إلقاء شعره لذلك كان يعطى الشاعر كامل الشناوى قصائده لكى يلقيها بدلا منه لأنه كان صاحب صوت جميل وطريقة إلقاء أجمل.

● أنت ذكرت أن الشعر يجب أن يثير الدهشة لدى القارىء أو المتلقى فمن الشاعر الذى يثير دهشتك؟

ـ الشاعر الفرنسى (رامبو) لأنه فعلا شاعر مدهش.. الشاعر العربى محمود درويش فهو شاعر يشعل الحرائق ويأتى كل يوم بصور جديدة وهو يمثل الحداثه بأرقى مظاهرها أما فى الشعر العربى الكلاسيكى فأنا معجب (بالمتنبى) فهو سيدنا جميعا.

● ما رأيك فى غناء القصائد.. وهل تحب ذلك وتوافق عليه.. وهل تجد أن غناء القصائد يعطى القصيدة انتشارا كبيرًا من مجرد كونها قصيدة داخل ديوان فى كتاب.. وهل كل شعر يصلح أن يغنى؟

ـ فى الحقيقة أن يغنى شعرى كان نصرا لى.. فغناء شعرى فتح لى مساحات شاسعة ومخيفة فى العالم العربى والكتاب الشعرى الذى تنشر فيه القصائد يوزع مثلا حوالى خمسة آلاف نسخة لكن وقت أن يتحول الشعر لأغنية يذهب إلى حوالى مائتين مليون عربى.. والقارىء العربى ثبت أنه يقرأ بأذنيه وليس بعينيه.. كانت أول قصيدة غنيت لى قصيدة (أيظن) التى غنتها نجاة ولحنها الموسيقار عبدالوهاب احدثت هذه القصيدة المغناه ضجه فى العالم العربى.

● وهل عندما قدمت هذه القصيدة فى شكل أغنية.. هل كنت تتوقع هذه الضجة أو هذه الهزة أو هذا النجاح الساحق؟

ـ آبدا.. ابدا.. أنا فوجئت.. وقتها كنت أعمل دبلوماسيا فى الصين وكانت تأتى إلىّ الجرائد المصرية واقرأ عن طوفان المقالات والمانشتات التى كتبت عنها دهشت دهشة كبيرة.

● غنى لك العندليب الأسمر قصائد من أجمل أغانيه فما رأيك فى هذه التجربة؟

ـ أقول لك يا سيدتى.. فأنا بعد عبدالحليم حافظ افتقد انقلابيا وثوريا عظيماً فى الموسيقى اسمه عبد الحليم.. فلو عاش عبد الحليم أكثر من ذلك كنا أحدثنا أنا وهو انقلابا كبيرا فى مجال الأغنية والشعر.. لكن مع الأسف راح عبد الحليم وأنا اعتقد أن عبد الحليم لم يعوض.. وأنا افتقد كثيرا عبد الحليم.

● وأيضًا نحن نعتقده كثيرا خاصة بعد ما نستمع إليه الآن ونرى ما ألت إليه الأغنية الحديثة.

ـ معك كل الحق يا سيدتى؟

● ألم تفكر فى كتابة مسرح شعرى؟

ـ لا والله لم أفكر فى ذلك.. وقد سألنى الأديب الكبير الراحل د. يوسف أدريس لماذا لا اكتب مسرح شعرى.. فقلت له أن الشعر شيء مختلف تماما عن المسرح فالمسرح فن آخر، علم آخر، وأنا حين لا أجيد فن وعلم المسرح أتهيب الخوض فيه.. ووافقنى على ذلك د. يوسف أدريس.. يجب على الشاعر أن يدرس المسرح حتى يستطيع أن يمسرح قصائده.

● سؤال آخيرا أستاذ نزار.. انت نظيرتك فى الفن والأدب والشعر بصفه خاصة هى أن الشعر هو فن الدهشة والمصادمة.. فبعد هذا العمر من إحداث الدهشة ومن إحداث المصادمات وتلقى الهجوم الشرس العنيف الجارف عليك.. هل تعبت من كثرة المصادمات أم مازلت تريد أن تصدم وتصطدم بالفكر.

ـ المصادمة صارت هوايتى مثل الملاكم أو مصارع الثيران.. فمهنته الأساسية هى أن يقتل أو يقتل وبالعكس فلو فرض على أن استقيل من المصادمة أو من مصارعه الثيران فسأموت فورا.

وبالفعل مات شاعرنا الكبير بعد أن فرض عليه المرض الاستقالة من المصادمة.

يوسف إدريس

منذ أكثر من أربعين عاما أو يزيد بدأ مغامرته الفريدة الشائعة فى عالم الأدب باحثا عن الأسراروالأصداف واللالئ وبين الحين والحين كان يعود إلينا بكنوز البهجة والجمال وكأى عاشق متيم بالحياة خرج يوسف إدريس مسلحا بالصدق والجرأة والمحبة لاغير.

فواتته الجرأة يخوض البحار ويصارع الأنواء ويرتاد الشواطئ المجهولة وينتقل ويجرب ويجرب. جرب فى الأسلوب والتكنيك والموضوع وتنقل من جنس أدبى إلى جنس أدبى آخر، فكتب القصة والرواية والمسرحية والمقال.

وأغلب الظن أنه منذ شرع فى مغامرته لم يكن يدرى أنه سيضيف إلى ثروة مصر القومية فناً بالغ الصدق والجمال

فأنت عندما تقرأ أعماله لاتشعر أبدا أن صاحبها قد كابد أو عانى أو جاهد كى يكتبها تشعر أنه كان يتنفس فقط فهى تتسلل إليك بلا عسر أو عناء فتستمتع بها كما يستمتع الظمآن بالماء السلسبيل.

رغم أن الشئ الوحيد الذى سيلفت الانتباه فى حياة الكاتب هو أدبه فقط فهذه مجرد محاولة متواضعة للاقتراب من حياة وذكريات أديبنا الكبير د. يوسف إدريس من خلال حوار الذكريات وسألناه

• أنت أحد الكتاب الذين انعكست مراحل حياتهم على كتاباتهم بشكل واضح. اسمح لنا أن يكون حديث ذكرياتك من خلال تطورك ومراحلك الأدبية فالملاحظ أن الإنسان يستطيع أن يضع يده على حقبة كاملة من حياتك أو تجربتك الشخصية وهى الحقبة التى تتحدث فيها عن القرية المصرية. توجد مجموعة كبيرة من القصص أحداثها وشخصياتها وقضاياها كلها حول قضايا القرية المصرية تتذكر «أرخص ليالى»، «الحرام»، «آخر الدنيا» هذا يجعلنى أتوقف وإسألك عن نشأتك فى القرية وأثر القرية والريف على حياتك ورؤيتك الأدبية ؟

ـ الحقيقة حكاية القرية حكاية ظريفة. أنا ولدت فى القرية فى محافظة الشرقية إنما كل السنوات التى قضيتها فى القرية بشكل متواصل الثمانى سنوات الأولى من عمرى.. وبعد ذلك أنا أعيش فى مدن مصر المختلفة وخاصة القاهرة. ولكن الغريب أن هذه السنوات الثمانى أثرت فى جدا وبشكل خطير جدا لأنهم سنوات تعبئة العقل والوجدان وطعم الحياة والتجارب الأولى وبفهمه وانتمائه وإحساس ببلوه ومن هنا تربى لى نوع من الاقتناع ان القرية هى مصر، وأنا فخور بهذه الفترة من حياتى وأنا كنت فخوراً بالنماذج التى اكتبها عن القرية ليس لأنها قروية أو فلاحة بل لأنها مصرية لأن المدينة القاهرة مثلا أنا فى رأى أنها كانت خان أو لوكاندة بين السويس والإسكندرية عندما

كانت البضائع تنقل من الشرق والغرب ومن الغرب إلى الشرق. ولم تكن مصرية فى سلوكها أو ناسها كان معظمهم أصحاب محلات وصفقات بينما المصرية تتمثل فى الفلاح المصرى الذى عاش مدة طويلة من حياته لايزرع فقط لأن الزراعة أن تكون صنعة مثل أى صناعة إنما الزراعة بطول مدتها وفى وادى النيل خلقت أنواعاً وأنماط من التقاليد ومن الشخصية التى تستطيع ان تطلق عليها اسم الشخصية المصرية.

● صف لنا هذه الشخصية المصرية الريفية التقليدية من وجهة نظرك؟

- مثلاً علامة رئيسية من علامات الشخصية المصرية هى حب الآخرين مثلا لما الإنسان بيسافر فى بلد أوروبى الناس تعاملك باحترام ولكن ليس بحب، المصرى بيحب فعلاً الناس يحب الانسانية بشكل مطلق يحب يساعد الآخرين. جزء ثانى من الشخصية المصرية أنه محب للاستطلاع وهى مسألة فى روحه ولذلك الناس تتكلم عن بعض كثير وهذه مسألة سلبية الصفة الثالثة أنه كريم رغم فقره الشديد فقد كنت استغرب أحيانا عندما أزور أحد الفلاحين ان زوجته تذبح الدجاجة الوحيدة التى عندها. صفة أخرى هى الخبث أو الدهاء ولكنه الدهاء الطيب الغرض منه هو عدم إظهار مايفكر فيه، لأن الاستعمار الطويل الذى عانى منه الشعب المصرى والقهر الطويل الذى تعرض له علمه ضرورة أن يخفى ولايظهرها لأحد اطلاقا.. توجد حاجات كثيرة.

● هل هذه الصفات موجودة فيك ككاتب مصرى أصيل من أصل ريفى؟

ـ موجوده بنسب متفاوتة.

● حبك وارتباطك بالقرية يتمثل تمثيلا عمليا فى مواصلة ارتباطك بهذه القرية وفى أن تعيش مع نماذج حقيقية من دنيانا.

ـ أنا تعلمت حب الريف للأسف ليس من مصر فأنا سافرت كثيرا جدا فى قارات العالم.. ولكن تعلمته من خارج القرية فأنا أحرص على الذهاب للقرية كل شهر تقريبا إن لم يكن أكثر. وهذا الموقف جعلنى أتساءل لماذا أحب القرية هذا الحب هل هو نوع من الوفاء للقرية أم هو لأننى أريد أن أرى الوالدة والأقارب والأصدقاء أصدقاء الطفولة أم أنه يوجد سبب آخر يربطنى بالقرية؟ واكتشفت فعلا أنه حين يذهب الإنسان إلى الريف كأنه يخلع ملابسه ويستسلم فى احضان الطبيعة.. لا يكون هناك دخان أوضجة أو حوائط عالية. فيجد الإنسان نفسه هو والخضرة والنجوم والليل والأكسجين والإحساس الكامل بأنه هو الوحيد البشرى فى هذا الديكور الطبيعى.. لاتتصورى هذه المسألة كيف تريح الأعصاب لدرجة أننى لما كنت فى باريس وجدت الناس هناك مايكاد ينتهى وقت العمل حتى يسرعوا إلى خارج المدينة كأنهم لو كانوا على موعد خطير الشأن مع الطبيعة.

● د. ادريس حضرتك عشت فى القرية لمدة ثمانى سنوات فقط فلماذا انتقلت إلى المدينة فى هذا السن المبكر؟

ـ والدى كان اخصائى فى الزراعة ولذلك عشت فى عدة مدن مصرية دمياط. المنصورة. الزقازيق. الفيوم ولذلك التحقت بمدارس عديدة.

• أنت كطفل بماذا كنت تتميز عن أقرانك وهل كنت مثلا شديد الملاحظة تحب وتكره أشياء خاصة بك تحب القراءة. ماهى تكويناتك النفسية وأنت طفل صغير وكيف بدأ تكوينك الثقافى والفكرى؟

ـ أنا كنت طفل غلبان جدا لم يكن عندى أى علامة من علامات النبوغ لم أكن حاد الذكاء ولاسريع البديهة كنت انطوائى ـ أتامل الأشياء كثيرا جدا غارق تماما فى أحلام اليقظة خاصة أنه فى معظم الأحيان كنت أذهب للمدرسة ماشيا على الأقدام لمسافة حوالى ٦ كيلو.. كنت أقضى هذه المسافة فى نوع من أحلام اليقظة الطويل وكانت الأشياء تثيرنى بقدر ماتثير فى من أحلام يقظة وليس بقدر ماهى جميلة أو لها معنى.

• مازالت أحلام اليقظة تلازمك إلى الأن؟

ـ نعم ولكن للأسف لما الإنسان كبر وبدأ يحقق الأحلام وجد أن تحقيق الأحلام متعة. طبعا وتقريبا أناحققت حاجات لم أحلم بها فلم أكت أتصور أن أكون كاتبا أو أؤثر على الاخرين ففى تحقيق هذه الأحلام متعة ولكن لم أشعر بمتعة من تحقيق الأحلام تعادل متعة من أحلام اليقظة اذكر أنى كنت طفل وحيد اسكن بمفردى بعيدا عن اهلى كى استطيع أن أذهب للمدرسة كنت مصمما على التفوق أذكر أن أول نجاح فى حياتى حدث أولى أو ثانية ابتدائى فوجدت نفسى الأول. تصورى إنسان غلبان فقير لايوجد احد معه من عائلته ضعيف ليس له عزوه والناس مستهترة به ـ المجتمع ظلمه ظلم شديد ثم يشعر انه انتصر على كل الأولاد الذين كانوا يتباهوا فخراً بحسبهم ونسبهم وعزوتهم

كونى اتصور أنى طلعت الأول على هؤلاء جميعا وأنا راجع إلى المنزل وكان وقت الربيع وقت طلوع البرسيم الأصفر. كان هذا المشوار أسعد مشوار وأسعد يوم فى حياتى.. الأحساس بالنجاح والانتصار وخصوصا انتصار الضعيف أو المهزوم.

● د. إدريس المرحلة القانونية باتصور أن علامات الشخصية تبدأ تتبلور فيها والاهتمامات والميول ستظهر فى هذه المرحلة.. فما هى أهم ملامحك فى هذه المرحلة مرحلة الصبا ؟

ـ المرحلة الثانوية بالنسبة لى كانت مرحلة تجريب وأنا أتذكر أن أول شئ فعلته فيها أننى دخلت فريق التمثيل فطبعا فشلت لأنى كنت عندما أقف على المسرح أظل أرقب وأراقب المتفرجين فلا استطيع أن أمثل وكان وقتها حجمى صغير جدا فلم أكن أملأ العين على المسرح ولكنى كنت أحب المسرح الوجوه والمكياج كل مايحيط بالمسرح ولذلك عملت وأنا صغير (مراسله) يرسلونى فى مشواير خاصة بالفرق، وأيضا فى المرحلة الثانوية انضممت أيضا إلى جمعية الكيمياء وكنا نصنع صناعات صغيرة من الروائح والصابون.

● ولكن ماذا عن القراءة ومتى بدأت تغوص فيها وتأخذك إلى آفاق بعيدة ساحرة ؟

ـ كنت أقرأ كثيرا وكنا وقتها مجموعة فى ثانوى نقرأ قراءات جادة كنا نقرأ مجلة الثقافة والرسالة كنا نقرأ للعقاد وقبل هذه المرحلة كنت أقرأ روايات بوليسية وبعد ذلك كنت أحب قراءة التاريخ فكان يمتعنى جدا قراءة التاريخ أحبه وأعشقه.. قرأت كمية رهيبة جدا من تاريخ

العالم. وكانت المكتبة وقتها شئ هام جدا فى حياة الطلبة فى المدارس متعة القراءة لايعادلها متعة ولكن للأسف الشديد إن القراءة نتيجة لظروف تعليمنا الخاطئة بدأت تأخذ شكل القسر وكأنها عقاب لأن التعليم بدأ يأخذ صورة العقاب الجماعى فحين يكتشف الإنسان بنفسه الحقائق هو والكتاب فقط ويترك لقدرة الإنسان الذهنية ان يكتشف هو الحقائق هذه عملية ممتعة جدا تعادل متعة العالم داخل معمله حين يكشف ويصل إلى معادلات جديدة ومركبات جديدة لم يكن يعلم باكتشافها فعملية القراءة عملية ممتعة جدا ولكننا حولنا القراءة إلى عمل غير ممتع ولهذا يهرب الشباب من القراءة.

● **لماذا دخلت كلية الطب؟**

ـ لسببين الأول أنى كنت من أوائل الثانوية العامة.

والسبب الثانى أن أساس اهتمامى فى مرحلة الثانوية كان اهتماماً علمياً فكان أستاذ الكيمياء يطلق على لقب بطل الكيمياء الثانوية وكنت أحب الكيمياء والطبيعة جداً وكنت أود أن اتخصص فى الطبيعة النووية منذ ذلك الوقت المبكر لأنى كنت سامع على القنبلة النووية وأن الذرة تنشطر وكنت مبهوراً بعملية اكتشاف الذرة ولكن كل من حولى اندهشوا لرغبتى فى دخول كلية العلوم بدلا من الطب وكانت هناك محاولة لإقناعي بدخول الطب من كل جانب،فقررت أن أدخل الطب لأن بها أيضا المواد العلمية هذا بجانب أن والدى كان يرغب فى أن أكون طبيباً.. وتصورت نفسى طبيبا بالبالطو الأبيض وبالهاله التى تحيط بالطبيب هذا الشخص الذى يكتشف المرض وعلاجه.. وأنا صغير كنت أمرض كثيراً وكنت أذهب للأطباء وجاء إلى الإحساس أن الدكتور شئ

محترم ومقدس ويفعل أشياء مثل المعجزات فمجرد أن آخذ الدواء أشفى وأن الأطباء أناس طيبون ويعاملون الأطفال بطيبة وحنان تربى بداخلى هذا الشعور تجاه الأطباء كانت تعجبنى شخصية الطبيب ولذلك دخلت كلية الطب.

● دخولك الجامعة كان فى عام ١٩٤٦ وهذه كانت مرحلة هامة فى حياة الوطن وحياتك فهذه المرحلة تميزت بنضالك فى الحركة الطلابية وهذا النضال انعكس على كتاباتك الأدبية فنحن على سبيل المثال نتذكر (قصة حب) التى قلبت إلى فيلم سينمائى باسم (لا وقت للحب) وأنا أريد أن أناقشك فى موضوع جدى.. فيوجد رأيان فى موضوع الإبداع فيوجد رأى يقول يجب على الأديب أن يلاحظ ويراقب الأحداث ثم يبدع بينما الرأى الآخر يقول يجب على المبدع أن ينخرط هو شخصيا فى الأحداث والحياة العملية وأنت حياتك واضح أنها من النوع الثانى. فما هو مفهومك لدور الأديب والمثقف فى المجتمع؟

ـ عندما أصبحت كاتبا وقابلت د. طه حسين دار بيننا نقاش خطير جدا حول هذه النقطة بالذات لأنه يوجد وجهتى نظر للأديب والفن بشكل عام.. وجهة النظر الأولى للأدب تقول بأن الأدب حرفة تطورت من حرفة الكاتب والنقش على الورق إلى كتابة رسائل الحكام وماإلى ذلك أى حرفة الكلام الجميل؟ وتوجد وجهة النظر الثانية وهى أن الكتابة رؤية فنية لا علاقة لها باللغة ولا بحرفة الكتابة بدليل أن الدكتور طبيب ممكن أن يكون كاتبا وممكن خريج كلية آداب لايستطيع حتى كتابة خطاب.. إذن أنا أرى أن الكتابة ليست فقط رؤية فنية وإنما

هى أيضا رسالة ستجدين عبر التاريخ أنه لايوجد كاتب أو فنان لايوجد لديه رسالة تجاه مجتمعه وتجاه بلده بيتهوفن العظيم الذى لايمكن أن يوضع إلا تحت بند حرفة الموسيقى أو فن الموسيقى كان مؤمنا بألمانيا والبطولات فى عصره وكان ينشئ أعماله بناء على إحساس رهيب بالرسالة الموسيقية تجاه العصر. شكسبير كاتب إنجلترا العظيم رجل سياسى خطير جداً له رأى فى السياسة والتاريخ وآراؤه فى الأسرة الحاكمة الانجليزية وكان يكتب مسرحيات ليضمن المسرحية آراءه.. لايوجد أبدا كاتب يطلع كى يعمل كلام حلو أو لعب على المتوازيين اللغوى أو العقلة اللغوية لا، الكاتب كاتب لأنه أساسا مؤمن ببلده. فزمان كان الشاعر هو الذى يحرضها على الحرب وهو الذى يقودها سياسيا ويدافع عنها ويهجو أعداءها. الكاتب أيضا دوره دور قيادة فكرية خطيرة تجاه شعبه.

● نجد كثيرا من الأدباء بالفعل تكون قيادة فكرية بالنسبة لشعوبها ولكن بالنسبة لك أنت لم تكتف بدورك الفكرى القيادى فقط ولكن شاركت أنت نفسك فى النضال السياسى فشاركت فى النضال الطلابى ضد القهر والاستعمار وشاركت بعد ذلك فى عدة معارك سياسية لدرجة أنك جرحت واعتقلت أيضا ؟

ـ دائما الرسالات تبدأ على شكل مزاولة مثلا عام ١٩٤٦ وأنا فى مظاهرات الطلبة ضربت على رأسى ضربات شديدة جدا ومازال آثارها إلى الآن واضحة فيوجد فرق بين أن تؤمن برسالة ما وأنت قابعة فى المنزل وأن تشاركى فتشعرى بالمعاناة الحقيقية وبالتالى إيمانك بالقضية سيعمق ويظهرك وأنا كل ماأكتب وكل كتاباتى لها باعث

سياسى حتى ولو بدت بعيدة جدا عن السياسة. دائما السياسة تحركنى وهو المحرك الأساسى لكتاباتى.

● متى بدأت الكتابة؟

- لايوجد موهبة دون استعداد لها ولاتوجد موهبة بلا إرادة فقط. والكاتب والفنان توجد فيه استعداد فطرى معين وتأخذ عملية تشكيلة معظم طفولته وصباه حتى تتكون لديه القدرات الأساسية ويتميز أيضا بملامح فى شخصيته تحتجز التجارب المعينه وتشاهد الحياة وتعيش بطريقة معينة وتفكر بطريقة معينة وبعدين يختمر فى النهاية ويظهر على هيئة إنتاج فأنا أتذكر أننى حاولت الكتابة فى كل مرحله من حياتى وأنا صغير كنت أحاول أن أكتب مواضيع تعبير جيده ولكنى كنت أكتب مواضيع سيئه جدا لأنى لم أكن قد اتقنت التعبير عن هذا الشئ الذى بدأ يتكون بداخلى. عندما كنت فى المرحلة الثانوية التحقت بجمعية التمثيل ولم يوافقوا على فكونت أنا وأصدقائى جمعيه أهلية للتمثيل وكنا نؤلف ونطبع مسرحيات وألفت مسرحيتين وكنا نطبعها ونوزعها.

● لو انتقلنا إلى المرحلة الثالثة فى تصورى وهى مرحلتك كطبيب. فهل عملك كطبيب أثراك إنسانيا هل هذه التجربة تجربة الاحتكاك بالبشر بالضعف بالحاجة أثراك أدبياً؟

- بلا شك المهنة مثل مهنة الطبيب والمحامى يكون فيها احتكاك لصيق جدا بالإنسان فى لحظات ضعفه أو حاجته. الحقيقة لحسن الحظ أنا زاولت الطب فى مطلع شبابى هذا السن يكون الإنسان فيه مستعداً

للتضحية بشدة والاهتزاز بشدة لآلآم الآخرين. يجوز الطبيب بعد عدة سنوات بيضعف عنده حس المشاركة نتيجة التعود ولكن أنا كنت طبيب مازلت شاباً وكنت أخذ عملى بخطورة شديدة والتزام شديد جدا.. يعنى كنت أحيانا أعمل ٢٤ ساعة ولم أفكر أبدا فى أن أتراخى فى تأديه واجب.. كنت كثيراً جداً.. وأنا نائم أتذكر أننى لم أغير لمريض مافكنت استيقظ من الاستغراق فى النوم واذهب لكى أقوم بعملية التغيير له لكى أستيطيع أن أنام مستريح الضمير، وكنت أستمتع جدا بعملى كطبيب.

● ذكرت أنك كنت مستمتعا جدا بعملك كطبيب فلماذا تركت مهنة الطبيب؟

ـ كنت أريد أن أعمل فى طب الجراحة ولكى يكون الطبيب جراحا ناضجا يجب أن يكون متفرغا للطب عمل طوال الوقت.. كل هذا يتعارض تماما مع طبيعة الكاتب لأن احيانا عندما كنت أزاول الجراحة تأتى لى فكرة قصة وأكون مصلوب.. فإحساسى بأداء واجبى والرغبة الصارمة فى الكتابة التى تريدنى أن أرمى بمشرط الجراح لكى أمسك القلم.. هذا التمزق لم أستطع أن أعيشه وكان لابد لى أن اختار فسألت نفسى سؤال فى غاية البساطة.. هل ممكن أن أعيش دون أن أزاول الطب؟ الإجابة كانت نعم. وهل ممكن أن أعيش دون أن تكتب الاجابة كانت لايمكن أن أعيش دون أن اكتب.. فأخذت الكتابة فورا

● دكتور إدريس ننتقل إلى مرحلة أخرى فى حياتك وهى بداية كتاباتك للمسرح فى منتصف الخمسينيات بدأت بمسرحيات قصيرة فصل واحد (جمهورية فرحات، ملك القطن، وهؤلاء إلى اللحظة الحرجة) فهل المسرح هو الأصل؟

ـ أنا وجدت شئ يلح على أن أكتب مسرحية، وبدأت بعض القصص القصيرة تأخذ شكل المسرحية مثل جمهورية فرحات، فقد كانت قصة قصيرة.. فكتبت مسرحيتين ولكنى حبستهما فى درج مكتبى سنة ٥٤ ثم لحسن الحظ أنه فى نفس الوقت كان الكاتب نعمان عاشور يكتب مسرح وكان كاتب مسرحية اسمها (المغناطيس) ولما رأيت هذه المسرحية تشجعت وأعطيت لأحمد حمروش مدير المسرح القومى المسرحيتين وقدموا على المسرح فعلا وشعرت أن هذا هو مصيرى وليس النص ولا الرواية وشعرت أننى أخيرا اكتشفت نفسى وبعد ذلك كتبت اللحظة الحرجة والفرافير والمهزلة الأرضية والمخططين والجنس الثالث، لكن أنا مازلت أشعر أنى مدخر نفسى ومدخر الجزء الأكبر من طاقتى للكتابة المسرحية.. وأرجو أن انتهى سريعا من مرحلة الكتابة للصحافة كى أتفرغ تماما للكتابة المسرحية.

وبمناسبة مفكرة يوسف إدريس يوجد قراء كثيرون اتهمونى بأننى أضيع عليهم يوسف إدريس الكاتب فى الصحافة هم لايدركون الحقيقة الخطيرة فهذه ليست كتابه صحفية إنما هى مسرح أيضا هى كتابة فنية حقيقية ولكن نحن دائما نأخذ بما يقوله الكاتب عن كتابته يعنى لو وضع عنوان على ماأكتب تحت عنوان قصة تصبح قصة وهكذا أو مقال تصبح مقال. ولكن الكتابة نوع من الإحساس العميق جدا برسالة إنسان تجاه مجتمعه وأى شكل يطلع به هذا الإحساس إذا كان الإنسان موهوبا يصبح فنا.. ولكن تصنيف هذا الفن مهمة متروكة للمستقبل لأن من الجائز أن يكتشف أن المفكرة التى اكتبها هى قصة.

● **هل دور الأديب أن يحكم على شكله الفنى؟**

ـ طبعا هو يحكم حكم مسبق.. لكى يضعه فى إطار شكل ما ولكن من المفروض ان يعرف العمل الفنى مسبقا فمن الجائز أن تظهر فى أى شكل آخر بعد ذلك حيث إن النقد والأشكال تتطور باستمرار.

● استمرارا للحديث عن المسرح.. حضرتك فى بداية الستينيات خرجت لنا ببعض المقالات كانت بعنوان نحو مسرح مصرى.. سبقت عرض مسرحية الفرافير.. فى هذه المقالات كنت بتدعو الى استلهام فكرة السامر فى المسرح ثم طلعت بالفرافير نموذجا لهذه الفكرة ولكنك لم تستمر فى هذا الشكل فلماذا دعيت لهذا الشكل المسرحى ولماذا لم تستمر فيه ؟

ـ أولا لم أدع لهذا الشكل أنا متأمل فى أحوال المسرح فأنا آخذ المسرح بحب ومتعة شديدة جدا وأنا اختلفت مع الحركة النقدية فى ذلك الوقت لأنها كانت كلها ومنذ أن استقدم المسرح الأوربى كانت الحالة قائمة على المسرح إنه شكل أوربى وأغريقى بالذات وإنما يجب أن نترجمه ونقتبسه ونمصره ثم نقدم مسرح على غراره.. ولكنى أنا اختلفت معهم واكتشفت أنه توجد عندنا أشكال من المسرح أو التمسرح خاصة بنا احنا وموجودة طوال تاريخنا.. فكما قلت فى هذه المقالات إنه طالما أن كل شعب له لغة وحياة اجتماعية فمن الممكن أن يكو ن لكل شعب مسرح ولكن اكتشاف شكل المسرح هذا بالذات هو الشئ الجديد وأنا لم أقل قط بالسامر لأنه مسرح بشكل واضح فيوجد أشكال فنية كثيرة جدا موجودة ولم تكتشف أن هذا مسرح مثل الكثير من عادتنا الجلوس على المقاهى مثلا.. اجتماعنا فى الأفراح والمآتم مسرح واستلهام من هذه الأشكال قدمت مسرحية الفرافير، لماذا لم أستمر..

لأن أنا لست كاتبا محترفاً فأنا أدخل فى حالة تنافس مع نفسى.. فأنا عندما أكتب قصة قصيرة وبعد أسبوع تأتى لى فكرة قصة قصيرة أخرى وأجدها تشبه القصة التى كتبتها من قبل لا أكتبها.. وكم من عشرات بل مئات القصص ذهبت منى لأن لها علاقة بقصة أخرى مع أن القارئ لن يشعر أبداً بذلك ولكنى اعرف.. فأنا لاأستطيع أن أقدم عمل على نسق عمل اخر ولذلك بعد الفرافير كان ممكن أقدم عشرات المسرحيات على غرار الفرافير واستعمل شخصية فرفور عدة مرات ودخلت بعد ذلك فى تجارب أخرى فى محاولة استنباط اشكال مسرحية أخرى.. فدخلت فى تجربة المهزلة الأرضية والمخططين.. انا لست كاتبًا محترفًا فليس عملى أن أقدم مسرحيات كل فترة متقنة الصنع أنا كاتب مجرب طليعى يكتشف نفسه فى النهاية أنا سوف استقر وأبدأ أنتج إنتاجا أغزر من ذلك،

• دائما بعد عرض مسرحياتك تفاجئنا بعدم رضائك عن عرض وإخراج المسرحية.. لماذا هذا الاختلاف الذى يحدث بينك وبين المخرجين دائما ؟

ـ لأن هذا هو المسرح. المسرح اختلاف وليس اتفاق فهذه علامة صحيحة ولكن لأننا نعتبر الاختلاف خصوصية.. لابد أن يكون هناك اختلاف لكى تنشأ وجهة النظر الجديدة الخلاقة.

والمسرح أساسا يكون هناك رؤية للكاتب ورؤية للمخرج ولابد من الاختلاف... وإذا اتفقوا فى الرؤية إما أن يكون الاثنان غير موهوبين أو يجاملون بعض ولكن من المحتمل أن نختلف.. وهذا الخلاف يثرى المخرج بوجهة نظر الكاتب ويثرى الكاتب بوجهة نظر المخرج.

ولكن المفروض ألا يستعمل أى منهم سلطة ديكتاتورية فى فرض وجهة نظره على الآخر فالخلافات الصاخبة التى تنشأ بينى وبين بعض المخرجين بيكون سببها أن المخرج كان يستعمل سلطته لأن فى يده التنفيذ لأنه هو قائد خشبة المسرح أحيانا ينحى الكاتب خارج المسرحية. وهذا طبعا ضار جدا بالعمل المسرحى.

● لديك ميزة الحكى أن تحكى أنت حكاء كبير فعندما نقرأ لك نشعر كما لو كنت جالسا معنا وتحكى لنا وتحكى ونستمتع نحن نشعر بجودة وحميمية شديدة عندما نقرأ لك نشعر أنك تكتب لكل قارئ على انفراد وله هو بالذات؟

ـ الحكى هو موهبة الحكى ليس بمعنى ان يقص ولكن أن يقدم وجهة نظره وشعوره بطريقة ممتعة ويشدك لها.

● أنت تعتبر من أكثر الأدباء التى ترجمت أعمالهم للغات الأجنبية. فما رأيك فى هذه الترجمات ومارأى القراء الأجانب فى رأيك؟

ـ بالنسبة لآرئهم فأنا دهشت جدا لنقد النقاد الأجانب لأدبى وفى انجلترا وصفوا قصصى القصيرة بأنها أدب يهز العقول والمشاعر فعلا المشكلة هى العثور على مترجمين على مستوى جيد ينقلوا الحركة الأدبية العربية المعاصرة.. وهذا شئ خطير جدا لأننا بذلك نكون قد نقلنا حضارتنا التى يوجد فيها عصارة تفكيرنا وقدرتنا الخلاقة إلى الآخرين.

● فى بعض مقالاتك تكاد تكون قد ادنت كتاباتك القديمة وكتابات بعض الأدباء الآخرين واتهمت هذه الكتابات

ووصفتها بأنها خارج الموضوع حتى فى حديث قلت إنك اكتشفت أن عليك رسالة يجب أن تؤديها فما هى هذه الرسالة ولماذا؟

ـ أنا لم أدن ولكنى ثرت.. وأنا دائما أثور على كتاباتى حتى عندما أكتب مقاله ثم أصححها أكاد أمزقها فقد لايكون قد مر أكثر من يومين على كتابتها.. المفروض أن يثور الكتاب على انتاجهم ومن الأولى أن يثور على الآخرين.

● هذا نوع من التطور؟

نعم .. القدرة الخلاقة هى القدرة على اكتشاف وجهات نظر جديدة مستمرة أو رؤية جديدة مستمرة

● ماهى الرسالة التى اكتشفت أن عليك أن تكتب لها؟

ـ أنا رسالتى لاأستطيع أن أحددها بالضبط ولذلك أنا أكتب لكى أراها وأعملها.

● مازلت تكتشف نفسك.

ـ بالضبط ماذا أريد أن أعمل.. ماذا أريد من الناس أن تفعل هذه الأشياء أفعلها وأنا أكتب وأنا بأكتب أراها وأعملها.

● مارأيك فى الحركة الفنية والأدبية المعاصرة؟

ـ رأى سئ جدا لأن عدد الكتاب قليل جدا والجيدون منهم أقل.. القراءة مقصورة على شريحة صغيرة جدا من المجتمع.. المجتمع لايقرأ كثيرا. الثقافة تدهورت بشكل خطير.. فقارنى المسرح الآن بمسرح الستينيات ايضا السينما تراجعت حقيقة أحنا نعيش فى مرحلة من الجذر أو الردة الثقافية.

● هل الأمل موجود ؟

ـ نعم ولكن الأمل لايأتى من الحركة الثقافية إنما يأتى من الحركة الشعبية والتربوية فيجب أن ينصلح التعليم أولا .. التعليم .. التعليم .. التعليم

● ماذا تتمنى للحركة الأدبية ؟

ـ أتمنى أن يقال عنا إننا كنا أناساً صادقين مع أنفسنا ومع عصرنا ومع شعبنا

وبالقطع كان كاتبنا المبدع صادقا حتى النخاع

ولذلك اختلف وخط تياراً جديداً بديعاً فى

الأدب العربى يصعب أن يفلت منه أحد أو

لا يعجب به أحد ....

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٨٤٥٠ / ٢٠٠١

I.S.B.N 977 - 01 - 7662 - 1

يعيش الإنسان سواء الفرد أو الجماعة بالذكريات وأجمل الذكريات، هى ما تفيض به نفوس المبدعين والخلاقين من أهل الفكر والفن جميعاً.. وحينما بدأت هذا البرنامج «برنامج حديث الذكريات بإذاعة صوت العرب» لم يكن يخطر ببالى أن يتجمع لدى هذا النبع المتدفق من تجارب هؤلاء وما تفيض به نفوسهم من خلجات وعواطف وأمنيات وأحلام.

وأدركت أن هذا تراث من نوع جديد لابد أن يقدم للجيل المعاصر الذى سمع عن هؤلاء ولم يقدر له أن يراهم وجهاً لوجه. وقد كان لكل منهم سحره الخاص وجاذبيته الشخصية المتفردة وحضوره الحى. ولكن هذه الأفكار والآراء والحوارات لابد أن ترسب ويكون دائماً دافعاً قوياً يحثهم على الإضافة إليها وعلى إثرائها.. وحينما يأخذ جيل على عاتقه أن يضيف ذكرياته إلى تراث من سبقوه سوف نضمن دائماً
الروحية والثقافية معيناً لا ينضب أبداً.

المؤل

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٥٠٠ قرش